الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

# الإعجاز العلمي في آيات بداية الكون ونهايته

## دراسة موضوعية

**إعداد**

الطالبة: هبه سعيد فارس

**إشراف**

الدكتور: محمود هاشم عنبر

قدمت هذه الرسالة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}

(فصلت: ٥٣)

# الإهداء

إلى والِديَّ الحبيبين..أطال ربي في عمرهما..

إلى زوجي الغالي..نوَّر الباري دربه بالإيمان..

إلى إخواني وأخواتي الأعِزَّاء..حرسهم الحنَّان بعينه التي لا تنام..

إلى كل من قدَّم روحه رخيصةً في سبيل الله..

إلى أمة الإسلام العظيم..

إلى كل باحث عن حقيقة الإيمان بخالق هذا الكون البديع ..

أهدي بحثي المتواضع..

# شكـــر وتقديـــــر

الحمد لله ملء السموات والأرض وما فيهن، الحمد لله أن أتم علي نعمته، بأن وفقني لإنهاء بحثي المتواضع، فلك يا ربي الحمد والشكر أولاً وأخيراً، حتى ترضى، وإذا رضيت، وبعد الرضا..

ثم أتقدم بالشكر الجزيل إلى مشرفي وأستاذي الدكتور الفاضل محمود هاشم عنبر على ما قدم لي من ملاحظات سديدة، ومتابعة حثيثة، حتى خرج البحث في أبهى حلة، فجزاه الله عني وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

ولا يفوتني أن أشكر أستاذيَّ الكريمين اللذين تفضلا مشكورين بقبول مناقشة الرسالة على ما سيقدمانه لي من نصائح وتوجيهات، سيكون لها عظيم الأثر في إثراء هذه الرسالة، وهما:

**الدكتور: رياض محمود قاسم حفظه الله.**

**الدكتور: زهدي محمد أبو نعمة حفظه الله.**

كما وأتقدم بالشكر الجزيل لأساتذة قسم التفسير وعلوم القرآن خاصةً، وأساتذة كلية أصول الدين عامةً على ما بذلوه من عناية وتوجيه، فجزاهم الله كل خير.

أمَّا والدي الحنون، وأمي الحبيبة، فيعجز اللسان عن شكرهما، على ما زرعاه في قلبي من حب لله ودينه، وما قدماه لي من مساندة ودعاء.

وإلى زوجي الغالي الدكتور أحمد المزين، من كان له الدور الكبير في اختيار موضوع البحث، وتوفير المصادر والمراجع اللازمة له، جزاه الله كل خير على ما قدم لي من مساندة ومشورة.

أما إخواني وأخواتي الأعزاء فلهم كل الشكر والتقدير لما قدماه لي دوماً من تشجيع وتحفيز منذ بداية التحاقي ببرنامج الماجستير.

وشكري لكل من قدم لي يد العون والمساعدة في سبيل إنهاء البحث بأجمل حلة.

فإلى هؤلاء جميعاً خالص شكري وتقديري، وجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين كل خير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

## المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، محمد بن عبد الله، عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم من الإله القدير، المبدئ والمعيد، سبحانه هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، رفع السماء بلا عمد، وسخر الأرض للإنسان وخلقه في أحسن تقويم، فتبارك الله أحسن الخالقين... ثم أما بعد

فقد وضع الله سبحانه وتعالى في كتابه العظيم أسراراً لا تنتهي، وعجائب لا تنقضي، فهو الذي لا يشبع منه العلماء، ولا يَخلق على كثرة الرد.

وهو الكتاب الجامع المانع الذي يسّره الله للعالمين، وتحدى به الثقلين على أن يأتوا بمثله، كما قال سبحانه وتعالى:﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾(الإسراء: ٨٨).

وإعجاز القرآن أمرٌ لا يحتاج إلى استدلال؛ لاعتراف الجميع بعجزهم أمام إعجازه، ولظهور ذلك واضحاً جلياً، فالشمس لا يحتاج إثبات ضيائها دليل، ولكن اختلف العلماء في بيان مجالات إعجازه؛ فمنهم من يرى أنه بياني فقط، وهذا فيه تحجيم لمعجزة القرآن، وتضييق لمجال من تشملهم الدعوة، فإنما تدعى الفئة بالمعجزات التي تناسب ثقافاتها، لذا فإن قصر المعجزة على الإعجاز البياني يتنافى مع عالمية الدعوة الإسلامية وشموليتها، بل وامتدادها لكل الأجيال على مر الأزمان إلى قيام الساعة، مع الإقرار بأهمية الإعجاز البياني.

فالدينُ الخالدُ يحتاج إلى معجزةٍ متجددةٍ، ولو كان الإعجاز بيانياً فقط؛ فما الخطاب المناسب لدعوة من لا يفهم لغة القرآن من غير المسلمين، بل وحتى من المسلمين في هذا الزمان؟.

ففي كل زمان تبرز في القرآن معجزةٌ تناسب احتياج أهل ذلك الزمان وثقافتهم، فهو كتاب خالد، يتميز بالقدرة على العطاء، والامتداد والاستجابة لمعالجة مشكلات العصر ومتغيراته، فلما كان حظ العرب في وقت نزول الرسالة من الثقافة العلمية قليلاً، وكانت براعتهم في مجال اللغة؛ برز جانب الإعجاز البياني ليناسبهم، وأمَّا في هذا الزمن زمن التقدم العلمي؛ كان الاحتياج للإعجاز العلمي كلغة دعوة يُخاطب بها الدعاة المدعوين بنفس لغة عصرهم.

ومما تحدث القرآن عنه في مواضع كثيرة قضية بداية الكون ونهايته، والناظر المتفحص لهذه القضية يجد أنها من الأمور التي سعى الإنسان في كل الحضارات لمعرفتها، فحاول وضع النظريات بل وحتى الأساطير أحياناً حول بداية خلقه وكيف نشأ؟ ولذلك جاء الحديث عن هذا

الموضوع في الكتب السماوية لتبين أن الخلق كله بيد الله ﷻ، وأن الكون والحياة محكومان بقوانين وضعها الخالق.

فموضوع بداية خلق الكون ونهايته من الأمور التي لا يمكن للعلم المكتسب أن يصل إليها؛ لأن الإنسان لم يشهدها فلا يمكن معرفتها والتوصل إليها؛ إلا من خلال ما أخبر الله تعالى عباده بها، إلى جانب ما تركه للإنسان في صخور الأرض وجنبات الكون ما يعين على فهم هذه الآيات.

ولأهمية هذا الموضوع لكل من الدعاة والمدعوين والبشرية عامة، فقد اخترت هذا الموضوع القرآني بعد هداية من الله تعالى وتوفيق منه سبحانه، والذي بعنوان:

**الإعجاز العلمي في آيات بداية الكون ونهايته**

**" دراسة موضوعية "**

أسأل الله ﷻ أن يكون جهداً خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به خاصة المسلمين وعامتهم، وأن يكون لي ذخراً في الحياة، وينفعني بثوابه بعد الممات.

**أولاً: أهمية الموضوع:**

تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يجمع بين التفسير الموضوعي والإعجاز العلمي، فموضوع البحث من موضوعات القرآن الكريم الهامة، حيث يبحث في بداية هذا الكون ونهايته، ويُظهر وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني، ألا وهو الإعجاز العلمي، والذي يُعدُّ في هذا الزمان وسيلة جديدة معاصرة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى تتماشى ولغة العصر، كما سيرُّد هذا الموضوع على كل أصحاب الفكر العقيم الذين يُلبسون الحقائق العلمية ثوب الصدفة والإلحاد تبعا لمعتقداتهم الباطلة وأفكارهم السقيمة.

**ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:**

لاختيار هذا الموضوع أسباب عديدة، أذكر أهمها:

١) كثرة الآيات التي تتحدث عن موضوع بداية الكون ونهايته، وهي تزيد عن مائة وخمسين آية.

٢) حاجة الأمة لإظهار ما في القرآن الكريم من كنوز ومكنونات علمية، وذلك بسبر أغواره، وتفهم ألفاظه، وتدبر معانيه.

٣) الحديث عن الإعجاز العلمي فيه استنهاض للفكر، وإعمال للعقل، واستثارة للتفكير الإبداعي، وفي ذلك مواكبة لحضارة العصر بل سبقها.

٤) افتقار المكتبة الإسلامية إلى موضوع قرآني يتناول آيات بداية الكون ونهايته في إطار دراسة تفسيرية محكمة.

**ثالثاً: أهداف البحث وغاياته:**

إن لهذا البحث أهدافاً وغاياتٍ كثيرة، أذكر أهمها:

١) ابتغاء مرضاة الله سبحانه أهم هدف وأسمى غاية أرجوها من كتابة هذا البحث.

٢) تفسير بعض الآيات تفسيراً علمياً، وتصحيح بعض التفسيرات القديمة والتي تُخرج بعض الآيات عن معناها العلمي؛ لتوافق ما توافر في زمانهم من معارف.

٣) تأييد الدين وتوضيح مفاهيمه وأحكامه بمنطق العلم والاكتشافات المعاصرة، وزيادة اليقين لدى الدعاة، وكذا المدعوين.

٤) الدعوة إلى الله بأسلوب عصري، وبقالب جديد قريب من أذهان وأفهام البشرية المعاصرة.

٥) إظهار عمق المدلول القرآني بإسقاط حقائق العلوم الكونية على الآيات التي تحتوي على الإشارات العلمية فتتسع مدارك الدعاة والمدعوين.

٦) إعادة النظر في طريقة التعامل مع القرآن الكريم؛ لفهم مراد الله ﷻ، وذلك من خلال الاستدلال بآيات الكتاب المقروء ( القرآن) على الكتاب المنظور (الكون).

٧) التأكيد على حقيقة عدم تناقض النص القرآني مع الحقائق العلمية الثابتة، حيث إنه لا يمكن للعلم الصحيح أن يتناقض مع النص الصريح.

٨) إثراء المكتبة الإسلامية بموضوع قرآني يجمع بين التفسير الموضوعي والإعجاز العلمي في إطار دراسة تفسيرية متخصصة.

**رابعاً: الدراسات السابقة:**

بعد البحث المستفيض، والمراسلات العديدة لمراكز البحوث العلمية، والمكتبات الجامعية، تبين أن موضوع الإعجاز العلمي في آيات بداية الكون ونهايته، موضوع جديد على المكتبة الإسلامية، لم تتطرق إليه الدراسات السابقة، وقد ورد الحديث عنه مفرقاً في بعض كتب الإعجاز العلمي، منها موسوعة الإعجاز العلمي للأستاذ الدكتور زغلول النجار، والإعجاز

العلمي في القرآن والسنة للأستاذ عماد زكي الباروني، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية للدكتور أحمد مصطفى متولي.

وعند مراسلة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية حول هذا الموضوع؛ رد المركز بأنه ليس مدوناً في قاعدة بيانات المعلومات.

**خامساً: منهج الباحثة:**

اتبعت الباحثة بعون من الله تعالى المنهج الاستقرائي الموضوعي، وذلك من خلال ما يلي:

١) جمع الآيات القرآنية التي تتناول موضوع بداية الكون ونهايته.
٢) دراسة هذه الآيات دراسة وافية من خلال أمهات كتب التفسير القديمة والمعاصرة التي تعنى بالإعجاز العلمي، بالإضافة إلى كتب الإعجاز العلمي عامة؛ وذلك لإثراء البحث والخروج بأفضل النتائج والتصورات.
٣) وضع العناوين المناسبة للفصول والمباحث والمطالب مستخدمةً الألفاظ القرآنية.
٤) توزيع الآيات القرآنية التي تم جمعها على فصول البحث ومباحثه ومطالبه ما أمكن.
٥) مراعاة البعد المعاصر للآيات القرآنية بما يخدم وضع تصور يسهم في خدمة الحياة الإنسانية من خلال القرآن الكريم.
٦) التواصل مع العلماء والباحثين في الإعجاز العلمي لرصد آخر الحقائق العلمية الثابتة المتعلقة بموضوع البحث؛ للتأكد من صحة الإسقاط القرآني عليها.
٧) ترجمة الأعلام غير المشهورة والتعريف بالأماكن الغريبة التي قد ترد في البحث.
٨) تخريج الأحاديث النبوية من مظانها، ونقل حكم العلماء عليها ما أمكن.
٩) توضيح معاني بعض الكلمات الغريبة، وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب اللغة العربية ومعاجمها.
١٠) عمل الفهارس اللازمة التي تخدم البحث، وتُسهل الوصول للمعلومات.

**سادساً: خطة البحث:**

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة وفهارس.

**المقدمة:**

وتشتمل على أهمية الموضوع، أسباب اختيار الموضوع، أهداف البحث وغاياته، الدراسات السابقة، ومنهج الباحثة.

**التمهيد: وقفات مع الإعجاز العلمي وفيه:**

أولاً: تعريف الإعجاز لغة واصطلاحاً.

ثانياً: تعريف الإعجاز العلمي.

ثالثاً: الإعجاز العلمي بين المؤيدين والمعارضين.

رابعاً: ضوابط علم الإعجاز العلمي.

## الفصل الأول

## آيات بداية الكون والإعجاز العلمي فيها.

وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول: الكون بين الفتق والرتق.**
- **المبحث الثاني : اتساع الكون وتمدده.**
- **المبحث الثالث: دخانية الكون.**
- **المبحث الرابع: أيام خلق الكون.**

## الفصل الثاني

## آيات وصف السماء وأجرامها، والإعجاز العلمي فيها

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: آيات وصف السماء، والإعجاز العلمي فيها.**

وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول: وصفها بذات الرجع.**
- **المطلب الثاني: وصفها بذات الحبك.**
- **المطلب الثالث: رفعها بغير عمد.**
- **المطلب الرابع: وصف طبقات السماء.**

- **المبحث الثاني: آيات وصف أجرام السماء، والإعجاز العلمي فيها.**

وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول: الشمس والقمر.**
- **المطلب الثاني: الليل والنهار.**
- **المطلب الثالث: النجوم.**
- **المطلب الرابع: الشهب والنيازك.**

## الفصل الثالث

## الإعجاز العلمي في آيات خلق الأرض وما فيها

وفيه ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: الإعجاز العلمي في آيات خلق الأرض.**

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: دحي الأرض.**
- **المطلب الثاني: بسط الأرض وتمهيدها.**
- **المطلب الثالث: إنزال الحديد وتكون الغلاف الجوي.**

- **المبحث الثاني: الإعجاز العلمي في آيات خلق ما في الأرض.**

وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول: حكمة خلق الجبال وحركتها وألوانها.**
- **المطلب الثاني: تصريف الرياح وتسخير السحاب.**
- **المطلب الثالث: تسخير النبات وإحياء الأرض بالماء وإسكانه فيها.**
- **المطلب الرابع: خلق الإنسان، واستخلافه في الأرض؛ لإعمارها.**

## الفصل الرابع

## آيات نهاية الكون والإعجاز العلمي فيها

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: آيات نهاية السماء وأجرامها والإعجاز العلمي فيها:**

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: آيات نهاية أجرام السماء والإعجاز العلمي فيها.**
- **المطلب الثاني: آيات نهاية السماء وتبديلها والإعجاز العلمي فيها.**

▪ **المبحث الثاني: آيات نهاية الأرض والإعجاز العلمي فيها:**

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: تبديل الأرض غير الأرض، ونسف جبالها.**
- **المطلب الثاني: تسجير البحار وتفجيرها.**

**الخاتمة:** واشتملت على أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الباحثة.

**الفهارس:** واشتملت على:

١) فهرس الآيات القرآنية.

٢) فهرس الأحاديث النبوية.

٣) فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤) فهرس المصادر والمراجع.

٥) فهرس الموضوعات.

# التمهيد

## وقفات مع الإعجاز العلمي

وفيه:

**أولاً: تعريف الإعجاز لغة واصطلاحاً**

**ثانياً: تعريف الإعجاز العلمي**

**ثالثاً: الإعجاز العلمي بين المؤيدين والمعارضين**

**رابعاً: ضوابط علم الإعجاز العلمي**

# تمهيد

## وقفات مع الإعجاز العلمي

وفيه:

**أولاً: تعريف الإعجاز لغةً واصطلاحاً:**

أصل كلمة الإعجاز عند ابن منظور[١] من العَجْز: نحو عجزَ عن الأمر يعجِزُ وعَجِزَ عَجْزاً، ورجلٌ عَجِزٌ وعَجُزٌ عَاجِز، ويقال: أعْجَزْتُ فلاناً، إذا ألقيته عاجزاً، والمَعْجِزَةُ والمَعْجَزَة: العَجْزُ، والعَجْزُ: الضعف: تقولُ عَجَزْتُ عن كذا أعْجِزُ، وأعجزه الشيء: عَجَزَ عنه، ومعنى الإعجاز: الفوتُ والسبق: يقال: أعجزني فلان، أي: فاتَني، والمعجزة: واحدة من معجزات الأنبياء عليهم السلام[٢].

أما أصلها عند الفيروز أبادي [٣] فقد ذكر أنها من أعْجَزَهُ الشيء: فاته، وأعجز فلاناً: وَجَدهُ عاجزاً، وصيره عاجزاً، والتعجيز: التثبيط، ومُعْجِزَةُ النبي ﷺ : ما أعْجزَ به الخصم عند التحدي، والهاء للمبالغة، وفلان: سابقه فعَجَزَهُ: فسبقه[٤].

وقد ذكر محمد مرتضى الزبيدي[٥] أن أصل الإعجاز: التأخر عن الشيء وحُصولُه عند عَجُزِ الأمر، أي مؤخره كما ذكر في الدُّبُر، وصار في العُرف اسماً للقصور عن فِعل الشيء،

---

[١] هو محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، صاحب لسان العرب، الإمام اللُّغوي الحجة، وُلد بمصر وقيل في طرابلس المغرب عام ٦٣٠هـ الموافق ١٢٣٢م، وتوفي بمصر عام ٧١١هـ-١٣١١م، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره. انظر: (الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) خير الدين الزِرِكْلي، ج٧، ص١٠٨.

[٢] انظر: (لسان العرب) محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، م٣ ص٢٨١٦.

[٣] هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، محمد الدين الشيرازي، الفيروز أبادي، من أئمة اللغة والأدب، وُلد بكازرين عام (٧٢٩هـ-١٣٢٩م) وانتقل إلى العراق، كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، تُوفي في زبيد عام (٨١٧هـ-١٤١٥م)، حيث رحل إليها فسكنها وولي قضاءها، أشهر كتبه: "القاموس المحيط"، "وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز". انظر: (الأعلام) الزركلي، ج٧، ص١٤٦.

[٤] انظر: (القاموس المحيط) محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، محمد الدين الشيرازي، الفيروز أبادي ، ص٦٦٤.

[٥] هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، علّامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، أصله من واسط في العراق وولد بالهند عام (١٢٠٥هـ-١١٤٥م) وتوفي بالطاعون في مصر عام(١٧٣٢هـ- ١٧٩٠م) من كتبه: تاج العروس في شرح القاموس، و"كشف اللثام عن آداب الإيمان والإسلام. انظر: (الأعلام) الزركلي، ج٧، ص٧٠.

وهو ضد القدرة، وأَعْجَزْتُ فلاناً، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه، وأَعْجَزَ فلاناً: وجده عَاجِزاً، وفي التكملة أعْجَزَه: صيَّره عاجزاً، أي عن إدراكه، واللّحُوقِ به، ويقال: عجز فلان رأياً، إذا نسبه إلى قلةِ الحزم، كأنه نَسبَه إلى العَجْز، وعاجز فلان مُعَاجَزَه: ذهب فلم يوصل إليه[1].

ومن خلال المعاني اللُّغوية السابقة يتبين للباحثة أن الإعجاز في اللغة ورد بالمعاني التالية:

١) الإعجاز: الفوتُ والسبق: يقال: أعجزني فلان أي فاتَني، وأَعْجَزَ فُلاناً أي: صيره عاجزاً عن إدراكه واللحوق به.

٢) أعْجَزْتُ فلاناً، إذا ألقيته عاجزاً.

٣) التعجيز: التثبيط، والنسبة إلى العَجْزِ.

٤) التأخر عن الشيء وحُصولُه عند عَجُزِ الأمر.

٥) وفي العُرف هو اسم للقصور عن فِعل الشيء.

أما الإعجاز اصطلاحاً: فقد اختلف العلماء في تعريفهم له على النحو التالي:

١) عرّفه الزرقاني بقوله: " إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به"[2].

وقد ذكر – رحمه الله- أن معجزات الأنبياء بصفة عامة، ليس المقصود بها تعجيز الخلق لذات التعجيز، وإنما المقصود لازمه، بمعنى إثبات أنها من عند الله ﷻ، وأن من أجرى على أيديهم هذه المعجزات صادقون فيما يبلغون عنه سبحانه[3].

٢) وعرَّف الدكتور فضل حسن عباس الإعجاز بقوله: " عجز الناس عن أن يأتوا بمثله، فكلمة إعجاز مصدر، وإضافتها إلى القرآن، من إضافة المصدر لفاعله"[4].

٣) أما الدكتور زغلول النجار فقال: " إعجاز القرآن الكريم معناه: تفوقه وسبقه في كل أمر من أموره، بحيث عجز الخلق أجمعون – إنسهم وجنهم، على أن يأتوا بشيء من مثله، رغم تحديه لهم وتصديهم لمعارضته"[5].

---

(1) انظر: (تاج العروس في شرح القاموس) محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، ص١٩٩-٢١٦.

(2) انظر: (مناهل العرفان في علوم القرآن) الإمام محمد عبد العظيم الزرقاني، م٢، ص٣٣١.

(3) مناهل العرفان، م٢، ص٣٣١ ( بتصرف).

(4) إعجاز القرآن الكريم، د.فضل حسن عباس، ص٢٨.

(5) قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكري\م وضوابط التعامل معها، د.زغلول النجار، ص٤١.

٤) والإعجاز عند الدكتور منصور حسب النبي هو: " إظهار صدق الرسل –عليهم جميعاً السلام– بإظهار أمور على أيديهم، يعجز البشر عن معارضتها، أو صنعها "[١].

ومن خلال التعريفات الاصطلاحية السابقة، ترى الباحثة– والله أعلم– أن التعريف الضابط والحاصر للإعجاز، هو تعريف الدكتور منصور حسب النبي مع إضافة بسيطة، فيكون التعريف: إظهار صدق الرسل – عليهم جميعاً الصلاة والسلام– بإظهار أمور على أيديهم، يعجز البشر عن معارضتها أو صنعها بنفس الوسائل المتاحة والمتوفرة في عصر من جاء بها. لذا يُسمَّى مثلاً إبراء نبي الله – تعالى– عيسى عليه السلام الأكمة والأبرص معجزة؛ لأنه كان يُبرئ هذين المرضين في زمن عجز الطب فيه عن إبرائهما بوسائله المتاحة، مع ملاحظة استطاعة العلم اليوم بالوسائل الحديثة إبراء الأبرص مثلاً، وبالرغم من ذلك ما زالت تسمى معجزة نبي الله عيسى عليه السلام معجزة، حتى لو أتى البشر بمثلها اليوم.

**ثانياً: تعريف الإعجاز العلمي:**

يتكون هذا المصطلح من مفردتين (الإعجاز والعلم) وقد جاء فيما سبق مفهوم كلمة إعجاز، وتعريف العلماء لإعجاز القرآن، أمَّا العلم فهو إدراك الأشياء على حقائقها، أو هو صفة ينكشف بها المطلوب انكشافاً تاماً[٢].

وقد تباينت آراء العلماء في تعريفهم للإعجاز العلمي، وذلك على النحو التالي:

١) عرَّفه الدكتور محمد راتب النابلسي بأنه: " إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية، في زمن الرسول ﷺ ، مما يظهر ويؤكد صدقه فيما أخبر به عن ربه سبحانه وتعالى، والمعجزة القرآنية – بما تتضمنه من حقائق علمية – دليل على عالمية الرسالة الإسلامية "[٣].

٢) أما الدكتور خالد فائق العبيدي فقد عرّفه بأنه: " محاولة ربط اكتشافات علمية ونظريات تطبيقية في هذا العصر، وخصوصاً بعد عصر الثورة الصناعية إلى الآن، مع ما تطرق له القرآن العظيم قبل أكثر من ١٤٠٠ عام؛ لجعل المستمع أو المتلقي أو القارئ أمام حقيقة واضحة وجلية أن كون الله المنظور يطابق كون الله المقروء، وعليه فإن هذا الكتاب وهذا الدين

---

[١] الآيات الكونية في ضوء العلم الحديث، د.منصور حسب النبي، ص٥.

[٢] مقال: الفرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي، ص٥٩، مجلة الإعجاز ١٢، مجلة فصلية تصدر عن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

[٣] موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، أ.د. محمد راتب النابلسي، ص١٩.

هو حق مطلق شامل وكامل لكل زمان ومكان، وبالتالي فهو الأولى بالاتباع والتصديق والعمل"[١].

٣) ويُعرِّف الدكتور زغلول النجار الإعجاز العلمي بقوله: " هو موقف من مواقف التحدي الذي نريد أن نثبت به للناس كافة، أن هذا القرآن الذي أنزل قبل ألف وأربعمائة سنة على النبي الأمي ﷺ في أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين، يحوي من حقائق هذا الكون ما لم يستطع العلماء إدراكه إلا منذ عشرات قليلة من السنين "[٢].

وقد تحدّث في موضع آخر عن معنى الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بقوله:

"سبق هذا الكتاب العزيز بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وظواهره، التي لم تتمكن العلوم المكتسبة من الوصول إلى فهم شيء منها، إلَّا بعد قرون عديدة من تنزُّل القرآن الكريم، يزيد عددها على عشرة قرون كاملة في أقل تقدير لها، ولا يمكن لعاقل أن يتصور لهذه الحقائق القرآنية العلمية مصدراً غير الله الخالق – سبحانه وتعالى- حيث لم يكن ممكناً لأي من البشر إدراكها في زمن الوحي، ولا لقرون عديدة من بعده، وفي إثبات ذلك تأكيد لأهل العلم في عصرنا، أن القرآن الكريم هو كلام الله الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وتصديق للرسول الخاتم ﷺ الذي تلقى القرآن الكريم في نبوته ورسالته، وفي التبليغ عن ربه"[٣].

٤) كما عرَّفه الدكتور عبد المجيد الزنداني بقوله: " هو إخبار القرآن الكريم بحقيقة أثبتها العلم التجريبي أخيراً، وثبت عدم إمكان إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسولﷺ "[٤].

٥) أمّا الدكتور عبد الرحيم ماريديني فتعريف الإعجاز العلمي عنده: " توسيع مدلول الآيات القرآنية، وتعميق معانيها في الوجدان والفكر الإنساني، بالانتفاع بالكشوف العلمية المعاصرة في توسيع هذا المدلول، وتعميق هذه المعاني عن طريق الاستئناس بالموافقات الدقيقة، والمقارنات العلمية العميقة الملحوظة للعلماء المتخصصين، والخبراء الباحثين في مجالات الكون والحياة في شتى علومها ومعارفها "[٥].

---

[١] المنظار الهندسي للقرآن الكريم، م.خالد فائق العبيدي، ص٥٦.

[٢] من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (١-٢)، د.زغلول النجار، تقديم أحمد الفراج، ص٣٦.

[٣] قضية الإعجاز العلمي، ص٤٣.

[٤] الآيات الكونية في ضوء العلم الحديث، د. منصور حسب النبي، ص١٣.

[٥] موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص١٩.

٦) واختصر أ.د.حسن أبو العينين تعريف الإعجاز العلمي بقوله: " أمر خارق لما توصل إليه العلم الوصفي من مفاهيم ونتائج "[١].

٧) وأخيراً عرّفه الدكتور منصور حسب النبي بقوله: " إظهار صدق الرسول محمد ﷺ بما حمله الوحي إليه من علم إلهي ثبت تحققه، ويعجز البشر عن نسبته إلى محمد ﷺ، أو إلى مصدر بشري في عصره "[٢].

ومن خلال التعريفات السابقة، استنبطت الباحثة تعريفاً جامعاً ومانعاً للإعجاز العلمي، وهو: ربط المكتشفات والحقائق العلمية، والدراسات المُثْبَتة، بما تطرق له القرآن الكريم من حقائق وإشارات، تُظهرُ سبقه للعلم المعاصر بوسائله وتقنياته، وتُثبتُ توافق كتاب الله المنظور- الكون -، لكتاب الله المقروء- القرآن الكريم -، وصِدْق الوحي والنبوة.

**ثالثاً: الإعجاز العلمي بين المؤيدين والمعارضين:**

تباينت الآراء حول قضية الإعجاز العلمي والتفسير العلمي للقرآن الكريم، وأسهب بها العلماء ما بين مؤيد ومعارض، وحاول كل فريق أن يثبت وجهة نظره بسرد الأدلة والحجج على صحتها، وقد انقسم العلماء ما بين مضيقٍ وموسع ومعتدل، كما سيتضح في السطور التالية:

**الفريق الأول: المضيقون أو المعارضون:**

من أبرز العلماء القدامى المعارضين لقضية الإعجاز العلمي، وتفسير آيات القرآن الكريم تفسيراً علمياً الإمام الشاطبي.

أما المعارضون من المحدثين فمن أبرزهم: الشيخ أمين الخولي، والشيخ محمود شلتوت – شيخ الأزهر الأسبق-[٣].

**وقد تلخصت آراؤهم بالنقاط التالية:**

١) إن تفسير الآيات الكونية في ضوء المعارف والمكتشفات الحديثة، تفسير بالرأي – الذي لا يجوز – [٤].

---

[١] من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، أ.د.حسن أبو العينين، ص١٩.

[٢] الآيات الكونية في ضوء العلم الحديث، د. منصور حسب النبي، ص٣.

[٣] انظر: ( إعجاز القرآن الكريم) د. فضل عباس، ص٢٥١ ،٢٥٤.

[٤] قضية الإعجاز العلمي، د.زغلول النجار، ص٥٧ (بتصرف).

وقد استدل أصحاب هذا الرأي بالحديث، عن عبد الله بن عباس ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: **(من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)** [١]، وحديث جندب بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ : **(من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ)** [٢].

٢) إن القرآن الكريم لم ينزل ليحدّث الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون، وإنما هو كتاب هداية وإرشاد، وبيان للتكاليف والأحكام [٣].

٣) إن القرآن الكريم حق ثابت، والنظريات العلمية متغيرة، فتفسير آيات القرآن الخالدة الباقية، بنظريات تتبدل وتتغير مع الزمن، قد يودي إلى اضطراب ثقة الناس بالقرآن، وذلك بتغير النظريات المعتمد عليها بالتفسير العلمي للآيات، كما أنه إذا تبين عدم صحة أي نظرية تم تأويل آية من القرآن الكريم بمقتضاها، كان ذلك دافعاً لأعداء الإسلام لرمي الآيات بالبهتان والخطأ[٤].

٤) إن رواد العلم والحضارة اليوم، ينطلقون في مكتشفاتهم ونظرياتهم، من منطلقات مادية بحتة، تنكر الغيب، ولا تؤمن بوجود خالق، وهذا يختلف مع الأصول الثابتة في الكتاب والسنة، وتفسير الآيات على أساس هذه المعطيات، قد يدفع المتحمسين إلى التأويل المتكلف[٥].

٥) قصر إعجاز القرآن على ما يتحقق فيه شرط التحدي، وقد تحدى الله ﷻ العرب ببيان وفصاحة وبلاغة القرآن؛ لبراعتهم في هذا المجال، وهذا ما اقتضته سنن الأنبياء أن يأتي النبي بمعجزة من جنس ما برع به قومه؛ لذا فهم ضيقوا أوجه الإعجاز القرآني إلى هذا الوجه فقط – لأنه الوجه الذي يتعذر على البشر أن يصلوا إليه– ورفضوا القول بالإعجاز العلمي؛ وذلك لأن ما يقتضيه المعنى اللُّغوي لإعجاز القرآن، هو إثبات عجز الخلق في الوجه الذي تحداهم به،

---

[١] سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول ﷺ باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، ص٦٥٩، ٦٦٠، ح٢٩٥٠، وقال عنه: ضعيف.

[٢] سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، ص٦٦٠، ح٢٩٥٢، وقال: هذا حديث غريب.

[٣] انظر: (مقال: تفنيد حجج المعارضين) أ.غازي توبة، مجلة الإعجاز العلمي١٧، ص٤٦، (مقال: المعارضون للإعجاز العلمي)، أ.د.كارم غنيم، كتاب الإعجاز ٣، ص١٨، كتاب غير دوري يصدر عن جمعية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة–جمهورية مصر العربية.

[٤] انظر: (مقال: تفنيد حجج المعارضين) أ.غازي توبة، ص٤٦، (قضية الإعجاز) د. زغلول النجار، ص٦٨، (مقال: المعارضون للإعجاز العلمي) أ.د.كارم غنيم، ص١٩.

[٥] قضية الإعجاز، د. زغلول النجار، ص٦٩ (بتصرف).

والقول بأن الله ﷻ قد تحداهم في هذا الوجه من العلم، يعني أنه قد أثبت عجزهم فيه، ولكن بوصول العلوم المكتسبة إلى شيء من ذلك، فقد سقط عنصر التحدي، وانتفت المعجزة؛ لأنهم قد وصلوا بالفعل إلى شيء مما جاء القرآن به من حقائق الكون، لذا يقرر أصحاب هذا الرأي أن مثل هذه الحقائق لا تعدو عن كونها دلائل على صدق النبي ﷺ وأن القرآن من عند الله ﷻ[١].

٦) إن الوجه المتحدى به في الآية القرآنية: ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾ (الإسراء: ٨٨) هو البيان والنظم والفصاحة والبلاغة، وهو المقصود بالمثلية في الآية الكريمة، وليست المثلية في أمر آخر[٢].

٧) إن القرآن الكريم نزل على أمة أمية؛ ليفهمه العرب في الصدر الأول من الإسلام وأن على المسلمين أن يحذو حذوهم فيما فهموه من آياته بحسب مدلولات ألفاظه المفهومة؛ لأنهم أدرى بلغتهم، وأقدر على فهم معاني كلماتها، لذا لا يجوز تفسير الآيات بما لم يكن معروفاً عند الذين نزل القرآن فيهم[٣].

٨) إن بعض المفسرين الذين تعرضوا لتأويل آيات الإشارات الكونية الواردة في القرآن الكريم، قد أخطئوا بتكلفهم في تفسير الآيات، بمحاولة التوفيق بين أفكارهم وتأويلاتهم، مع ما ورد بالآية من إشارات، عن طريق ليِّ أعناق الآيات، وتحميلها ما لا تحتمل من المعاني[٤].

**الرد على آراء المعارضين للإعجاز العلمي وتفنيدها:**

١) الرد على الرأي الأول القائل بأن تفسير الآيات الكونية في ضوء المعارف والمكتشفات الحديثة، تفسير بالرأي غير الجائز.

**أولاً:** إن الرأي المقصود في الحديث هو الهوى، وهذا واضح بقوله ﷺ **(من قال في القرآن بغير علم...)** لا الرأي المنطقي الذي يرتكز على الحجة الواضحة، ويشده البرهان، ويشهد له الدليل

---

[١] انظر: (إعجاز القرآن الكريم) د.فضل حسن عباس، ص٢٧٠، ٢٧١ ، (قضية الإعجاز) د. زغلول النجار، ص٦٣، ٦٤، ٧٠ ، (مجلة الإعجاز ١)، ص٤٧.

[٢] قضية الإعجاز، د. زغلول النجار، ص٦٤ ( بتصرف).

[٣] انظر: (إعجاز القرآن) د. فضل عباس، ص٢٦٩، (مقال: المعارضون للإعجاز العلمي) ص١٨.

[٤] قضية الإعجاز العلمي، د. زغلول النجار، ص٦٩ (بتصرف).

المقبول، والمؤسَس على قواعد صحيحة من حقائق الدين والعلم، وبما يلزم من أدوات التفسير، ومن شروط المفسر وآدابه[١].

**ثانياً**: إن الأقوال الواردة على لسان بعض الصحابة والتابعين، مما يوحي التحرج من القول بالرأي في القرآن الكريم، هو من قبيل الورع والتأدب في الحديث عن كلام الله تعالى[٢].

وقد قال ابن تيمية –رحمه الله-:" هذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف، محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغةً وشرعاً، فلا حرج عليه " [٣].

وقد قلَّ القول بالرأي في القرآن الكريم عندهم؛ للأسباب التالية:

١) أنهم فطروا على فهم اللغة العربية، وفطنوا بها وبأسرارها.

٢) أنهم عايشوا رسول الله ﷺ عن قرب، وهو الموصول بالوحي، فاستعانوا به على فهم ما وقفوا دونه.

٣) كانوا على اطلاع بأسباب نزول الآيات القرآنية، ولا يخفى على أحد الدور الكبير لمعرفة أسباب النزول في فهم الآيات القرآنية[٤].

**ثالثاً**: أن هنالك أدلة على جواز التفسير بالرأي وفق قواعد وأسس، ومن هذه الأدلة:

أ- قول الله ﷻ: ﴿... **لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ** ...﴾ (آل عمران:١٨٧)، فالآية تبين أنه وكما يجب على الإنسان السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب عليه الإجابة عما سُئل عنه مما يعلمه ولا يكتمه[٥].

ب- أن التفسير بالمأثور لم يشمل القرآن كله فالرسول الكريم- عليه الصلاة والسلام- لم يفسر كل آية من آيات كتاب الله – تعالى-، وأن الصحابة الكرام ﷺ قد اجتهدوا في فهم ما لم يُنص عليه [٦].

---

[١] انظر: (التفسير والمفسرون) الدكتور محمد حسين الذهبي، ج١، ص٢٦٨ ، (كيف نتعامل مع القرآن العظيم) د. يوسف القرضاوي، ص٢١٠،٢١١، (قضية الإعجاز) د. زغلول النجار، ص٥٨.

[٢] التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، ص٢٧٠ ( بتصرف).

[٣] كيف نتعامل مع القرآن، د. يوسف القرضاوي، ص٢١٢.

[٤] انظر: (قضية الإعجاز) د. زغلول النجار، ص٥٨-٦٠.

[٥] انظر: (كيف نتعامل مع القرآن)، د. يوسف القرضاوي ، ص٢١٢(بتصرف يسير).

[٦] قضية الإعجاز، د. زغلول النجار، ص٦٠ (بتصرف).

فإحجامهم كان مقيداً بما لم يعرفوا وجه الصواب فيه، أمَّا ما عرفوه فكانوا لا يتحرجون من إبداء ما يظهر لهم، ولو بطريق الظن، ومثل ذلك: سُئل أبو بكر الصديق ﷺ عن الكلالة فقال: " أقول فيها برأيي فإن كان صواباً فمن الله وإن كان غير ذلك فمني ومن الشيطان: الكلالة كذا وكذا " [١].

ج- أن الرسول – عليه أفضل الصلاة والتسليم- قد دعا لابن عباس ﷺ بقوله: **(اللهم فقهه في الدين وعلِّمه التأويل)** [٢] وهذا دليل على جواز التفسير بالرأي[٣].

٢) الرد على الرأي الثاني كون القرآن الكريم كتاب هداية، وليس كتاب علوم:

لا يمنع ورود إشارات علمية في القرآن الكريم يوضحها التعمق في العلم الحديث، كون القرآن كتاب هداية، فحديثه وإشاراته لمثل هذه العلوم، هو إحدى الطرق التي سلكها لهداية الناس [٤].

فقد شاءت حكمته – سبحانه- أن ينوع وسائل هدايته لخلقه، فكما أنه كتاب هداية بالأحكام، هو أيضاً كتاب هداية بالنظر والتأمل في بديع صنع الله ﷻ، فهو تارة يخاطبهم بما يمس قلوبهم، وتارة يخاطبهم بما يقرع عقولهم بحضهم على التدبر في آيات خلقه وصنعه، وإلا فما هي الحكمة الربانية من وراء ذكر هذه الآيات الكونية في القرآن الكريم [٥].

٣) الرد على الرأي الثالث بأن القرآن الكريم حق ثابت، والنظريات العلمية متغيرة، فتفسير آيات القرآن الخالدة الباقية، بنظريات تتبدل وتتغير مع الزمن، قد يؤدي إلى اضطراب ثقة الناس بالقرآن:

بداية وقبل الرد على هذه الشبهة، يجب التفصيل قليلاً في أقوال العلماء بالأخذ بالحقائق والنظريات العلمية، ومن ثم الرد بناءاً على كل رأي:

**أولاً:** من العلماء من يرى أنه لا يجوز تفسير آيات القرآن الكريم إلا في ضوء الحقائق العلمية المؤكدة، ومن أصحاب هذا الرأي الدكتور منصور حسب النبي [٦].

وفي ضوء هذا الرأي يمكن الرد على الشبهة السابقة بما يلي:

---

[١] انظر: (التفسير والمفسرون) د. محمد حسين الذهبي، ص٢٧٩.

[٢] مسند الإمام أحمد: مسند عبد الله بن عباس ﷺ، ج٥، ص١٦٠، ح ٢٠٣٢، إسناده قوي على شرط مسلم.

[٣] التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، ص٢٧٠ (بتصرف).

[٤] الآيات الكونية، د. منصور حسب النبي، ص٤٢ (بتصرف).

[٥] انظر: (مقال: المعارضون للإعجاز العلمي) أ.د. كارم السيد غنيم، كتاب الإعجاز ٣، ص٣١.

[٦] انظر: ( الآيات الكونية) د. منصور حسب النبي، ص٤٢.

إن ربط القرآن الكريم لا يكون إلا مع الحقائق العلمية الثابتة التي لا تتغير، ولا تبطل مع الزمن أبداً، ولكنها تتسع وتنمو بنماء جهود العلماء المتتابعة، وهذا لا ينتقص من صدق الملاحظات العلمية التي ترتقي لمرتبة الحقيقة، أو القاعدة، أو القانون، فلا يمكن التعارض مع صحيح المعقول وصريح المنقول، ومن أبرز علماء السلف المتحدثين بهذا المبدأ ابن تيمية – رحمه الله– الذي ألف كتاباً أسماه "درء تعارض النقل والعقل".

كما أن تغير العلوم، لا يمكن أن يقدح بثبات القرآن الكريم، وإنما يتجدد فهم الناس له كلما اتسعت دائرة معارفهم، وذلك فيما لم يرد في شرحه شيء من المأثور الموثق.

وهذا ما تدعو إليه الآية الكريمة: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ (القمر: ١٧) والذكر هنا كما يجمع المفسرون يشمل التلاوة والتدبر معاً، وهي دعوة للتدبر والفهم لكافة العصور والأزمان [١].

**ثانياً:** من العلماء من يرى أن الأخذ فقط بالحقائق العلمية هو تحفظٌ مبالغ فيه، وهو ما تراه الباحثة، والرد علي الشبهة انطلاقاً من هذا الرأي:

إن الأمر هنا يشبه اختلاف دارسي القرآن الكريم في فهم بعض الدلالات اللفظية، والصور البيانية، وغيرها من القضايا اللُّغوية، وهم بذلك لا يتحرجون من اختلافهم في سبيل فهم آيات القرآن الكريم، لذا فلا حرج من استخدام المعارف العلمية المتاحة في فهم الإشارات العلمية الواردة في القرآن الكريم، حتى ولو لم ترتقِ إلى مرتبة الحقيقة، مع التأكيد على أن ذلك كله يبقى في إطار الاجتهاد البشري الذي لا يخلو من الخطأ والنقص، وتبقى محاولات البشر في حدود هذا الإطار، ولا يمكن أن تكون حجة على كتاب الله ﷻ سواء أصابت أم أخطأت، وإن وقع الخطأ فهو يعود على المفسر نفسه، ولا ينسحب على جلال كلام الله ﷻ وإلا لما احتوى القرآن على هذا الكم من الآيات التي تدعو إلى التأمل في ملكوت الله – تعالى– لاستخلاص سنن الله – سبحانه– في الكون، وتوظيف تلك السنن في عمارة الأرض[٢]، ومن هذه الآيات: قوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ (محمد:٢٤) وقوله:﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ * وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ**﴾ (النحل: ١٢،١٣).

---

[١] انظر: (قضية الإعجاز العلمي) د. زغلول النجار، ص٧٩–٨١ ، (مقال: تفنيد حجج المعارضين) أ.غازي توبة، ص٤٦.

[٢] انظر: (قضية الإعجاز) د. زغلول النجار، ص٨١– ٨٨

وقوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (المؤمنون:٨٠)، وقوله ﷻ: ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً ﴾ (النساء:٨٢).

والتأمل لا يعدو عن كونه تفكراً، وهو إعمال للعقل في محاولة لفهم سنن وأسرار خلق الله ﷻ ، وقد يفلح العقل في الوصول إلى النتيجة المنشودة من وراء ذلك أو يخفق، وبالرغم من ذلك فهو مأمور بالتأمل، مع التأكيد على أنه ومهما اتسعت معارف الإنسان يبقى كلام الله – جل شأنه– هو المهيمن عليها، والمحيط بها.

٤) أما الرد على الرأي الرابع بأن رواد العلم والحضارة اليوم، ينطلقون في مكتشفاتهم ونظرياتهم، من منطلقات مادية بحتة، تُنكر الغيب، ولا تؤمن بوجود خالق، وهذا يختلف مع الأصول الثابتة في الكتاب والسنة، وتفسير الآيات على أساس هذه المعطيات، قد يدفع المتحمسين إلى التأويل المتكلف.

فيمكن الرد عليهم من خلال أمرين:

**الأمر الأول:** أن الانطلاق من منطلقات مادية بحتة، تُنكر أو تتجاهل الغيب، ولا تؤمن بالله ﷻ هو أسلوب بعيد عن طبيعة العلوم الكونية، وإنما يرجع إلى العقائد الفاسدة التي أفرزتها الحضارة المادية المعاصرة والتي تحاول فرضها على كل استنتاج علمي [١].

**الأمر الثاني:** القول بتباين العلوم التجريبية مع الأصول الإسلامية الثابتة، قول على إطلاقه غير صحيح؛ لأنه إذا جاز ذلك في بعض الاستنتاجات الجزئية الخاطئة، أو في بعض العصور، فإنه لا يجوز اليوم، وقد بلغت المعارف حداً لم تبلغه البشرية من قبل، حيث أصبحت الاستنتاجات الكلية لتلك المعارف، تؤكد ضرورة الإيمان بالله الخالق المصور، ومن أهم هذه الاستنتاجات – والتي يعترف بها علماء الغرب قبل الشرق– أن هذا الكون المتناهي الأبعاد، الدائم الاتساع، المحكم البناء، لا يمكن أن يكون قد وُجد بالمصادفة، كما أن علماء الفلك اليوم يعترفون بحتمية وجود مرجعية للكون، لا يحدها الزمان والمكان، ولا تُشكلها قوالب المادة والطاقة، وقد بدأت بوادر هذا التحول الفكري تظهر بإقبال أعداد كبيرة من العلماء والمتخصصين على الإسلام، وقد توصلوا إلى الإيمان بالله – تعالى– عن طريق النظر المباشر في الكون، والوقوف على عدد من الإشارات العلمية في القرآن الكريم أو في السنة النبوية[٢].

---

[١] قضية الإعجاز العلمي، د. زغلول النجار ص٨٨ (بتصرف).

[٢] انظر: (قضية الإعجاز العلمي) د. زغلول النجار، ص٩١-١٠٠

٥) الرد على الرأي الخامس وهو كون الإعجاز العلمي لا يتحقق فيه شرط التحدي:

من المعلوم أن مصطلح المعجزة مصطلح جديد، لم يرد في القرآن ولا في السنة، وقد استخدم كل منهما لفظ "الآيات" للدلالة على المعجزات، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم: قوله تعالى:﴿ **وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا**﴾ (الإسراء:٥٩)

وقوله سبحانه:﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا** ﴾ (الإسراء:١٠١)

وكذلك السنة النبوية: قال ﷺ ( **ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي وأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**)[١]

أما لفظ المعجزة فهو مصطلح اصطلحه العلماء، وقد تباينت تعريفاتهم له، فعلى سبيل المثال:

١) عرف الإمام الزرقاني المعجزة بقوله: " هي أمر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، أو هو أمرٌ خارق للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة، يخلقه الله تعالى على يد من يدعي النبوة، عند دعواه إياها؛ شاهداً على صدقه"[٢]، والملاحظ في تعريف الإمام الزرقاني أنه لم يشترط التحدي للمعجزة في تعريفه.

٢) كما عرف الإمام السيوطي المعجزة بقوله: " المعجزة أمرٌ خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة، وهي إما حسية أو عقلية، فأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية؛ لبلادتهم، وقلة بصيرتهم، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية؛ لفرط ذكائهم، وكمال أفهامهم؛ ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة، خصت بالمعجزات العقلية الباقية؛ ليراها ذووا البصائر"[٣].

٣) أما الدكتور فضل عباس فقد عرَّف المعجزة بقوله: " المعجزة في الاصطلاح هي ما يدل على تصديق الله تعالى للمدعي في دعواه الرسالة، أو هي تأييد الله مدعي النبوة بما يؤيد دعواه لتصديقه المرسل إليهم." [٤]

---

[١] صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، ص٧٤، ح١٥٢.

[٢] مناهل العرفان، ج١، ص٧٣.

[٣] الإتقان في علوم القرآن، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ج٤ ، ص٣.

[٤] إعجاز القرآن الكريم، د.فضل عباس، ص٢١.

٤) وقد عرَّف عدد من العلماء المعجزة بأنها: " أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، مع عدم المعارضة من المرسل إليهم." [١]

فالمعجزة حسب هذا التعريف اشترطوا لها ثلاثة شروط:

أ- حدوث أمر خارق للعادة.

ب- تحدي الناس المعاصرين بهذا الأمر الخارق.

ت- عجز الناس المعاصرين عن المعارضة.

وبإسقاط هذه الشروط على معجزات الأنبياء، تخرج الكثير منها، من هذا المصطلح بأركانه الثلاثة، فمثلاً: معجزات موسى – عليه السلام– التسع، تنطبق الشروط على معجزتين فقط منها، وهما: العصا، واليد، حيث وقع بهما شرط التحدي، أما باقي المعجزات السبع، كمعجزة شق البحر، وضرب العصا؛ لتفجير اثنتي عشرة عيناً، فلا ينطبق عليها شرط التحدي، وإنما تتجلى حكم عديدة في ذلك منها: زيادة يقين بني إسرائيل بنبوة موسى – عليه السلام–، وحضهم على تنفيذ تعليمات التوراة، وإجزال النعم عليهم من أجل تعميق إيمانهم بالله تعالى [٢].

وهذا ما يركز عليه المؤيدون لقضية الإعجاز العلمي، ألا وهو أن هذا الوجه من أوجه إعجاز القرآن تتجلى فيه هذه الحكمة، وهي تعميق الإيمان بالله– تعالى – وإثبات أن هذا الدين هو الحق، وهي الحكمة من كافة المعجزات التي يؤيد الله ﷻ بها أنبيائه، حتى الوجه الذي اتفق عليه العلماء أنه وجه إعجاز القرآن الكريم المتمثل في بيانه ونظمه، هو أيضاً لا يخرج عن إطار هذا الهدف.

لذا لا يُمكن رفض الإعجاز العلمي، لمجرد أنه لا ينطبق عليه شرط التحدي، فالكثير من المعجزات كما تبين لا ينطبق عليها ذلك، وإن كان إدراج ورود الإشارات العلمية في القرآن الكريم، ضمن مفهوم التحدي أيضاً ممكناً، وباب التحدي أن يأتوا بمثل هذه الآيات والحقائق، مع عدم توفر الأدوات المعينة على ذلك.

فالقرآن الكريم أُنزِل على محمد ﷺ في عصر افتقر إلى مثل هذه الأدوات، وبالرغم من ذلك أشار إلى الكثير من الحقائق العلمية، التي لم ولن تكتشف إلا في زمن توفر الأدوات المعينة على ذلك.

---

[١] الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د.عبد السلام اللوح، ص٦.

[٢] انظر: (مجلة الإعجاز١٧) ص ٤٧.

لذا فرفض بعض العلماء اعتبار ورود مثل هذه الإشارات العلمية في القرآن الكريم من الإعجاز القرآني، بحجة عدم توفر شرط التحدي بها، وأنها لا تخرج عن كونها دليلاً على صدق النبيﷺ، واعتبار الوجه البياني هو وجه إعجاز القرآن الوحيد فيه تضييق لوجوه الإعجاز القرآني.

إذن فكلها آيات ودلائل على صحة هذا الدين، وصدق محمد ﷺ، ولكن الفرق الوحيد هو بكيفية وأسلوب الخطاب بهذه الآيات، فكل له وقته وفئته، فمن الفئات من ناسبها الآية البيانية، وأخرى لا يصلح معها إلا الآية العلمية؛ لأنه لا يعقل توحيد الخطاب لكل الفئات مع اختلاف أفهامها.

كما أن رفضهم للإعجاز أو التفسير العلمي تضييقٌ منهم لإعجاز القرآن على بيانه ونظمه فقط، بدعوى أنه الجانب الذي تحدى به العرب فيما كانوا يُجيدونه، هم بذلك نسوا أن التحدي الذي اشترطوه لم يكن للعرب فقط، بل للجن والإنس، وليس جميع الإنس والجن يعرف اللغة العربية فضلاً عن إجادتها؛ لذا فلا يعقل أن يُتحَدوا بما لا يعلمونه [١].

ويرد الدكتور فضل عباس على اشتراط شرط التحدي في المعجزة من خلال النقاط التالية:

١) إن المقصود من التحدي إثبات أن القرآن من عند الله ﷻ، وأن محمداً ﷺ رسول الله – تعالى– وإذا كانت الحقائق العلمية وغيرها، تدل على هذا فذلك هو الإعجاز.

٢) إنه عند دراسة مراحل التحدي يُلاحظ أن بعضها كان خطاباً للعرب وحدهم، أما المرحلة الأخيرة فهي للناس جميعاً، وبذلك فهي تختلف عن سابقاتها من حيث المخاطب؛ لأنهم الناس جميعاً، ومن حيث التنزل؛ لأنها نزلت في المدينة المنورة، وكذا من حيث الأسلوب، ولا يخفى على أحد الدقة المحكمة في ألفاظ القرآن، فهذا يدل على أن التحدي كان عاماً للناس جميعاً، ولا يعقل أن يتحدى الناس جميعاً بالأسلوب وحده.

٣) ثم أليس إشارة القرآن الكريم لحقائق الكون والتاريخ والتي لم تكن معروفة من قبل، من أبين الأدلة على الإعجاز؟ ما دام هناك اتفاق على أن إعجاز القرآن ليس خاصاً بعصر دون عصر، أو ببلد دون بلد، أو فئة دون فئة.

٤) وكذلك القرآن الكريم ليس ديوان شعر، وسوره وآياته ليست بقصائد يقولها الشاعر في ظروف معينة وتقنية معينة، وإنما هو كتاب الله تعالى على مر الأزمان، وما دامت البشرية؛ لذا لا بد أن تكون فيه الجدة دائما [٢].

---

[١] قضية الإعجاز العلمي، د. زغلول النجار، ص٧١ (بتصرف).

[٢] إعجاز القرآن الكريم، د. فضل عباس، ص٢٧١، ٢٧٢ (بتصرف).

أما رفض المعارضين للإعجاز العلمي؛ لأن العلوم الحديثة قد جاءت بمثل الحقائق التي أشار إليها القرآن، فيمكن الرد على هذه الشبهة بقول الإمام الزرقاني:

" إن القرآن الكريم في طريقة عرضه ومجيئه بمثل هذه الإشارات، كان موفقاً كل التوفيق بل معجزاً أبهر الإعجاز؛ لأن حديثه عن تلك الكونيات، كان حديث العليم بأسرارها، الخبير بدقائقها، والذي جاء بها هو رجل أمي من أمة أمية، لا صلة لها بتلك العلوم ومعارفها، بل إن بعض هذه العلوم لم تنشأ إلا بعد عهد النبوة، ومهبط الوحي بقرون فهنا يكمن الإعجاز، فأنَّى لرجلٍ أمي كمحمد ﷺ بكتاب جامع لتلك المعارف، إن لم يكن تلقاه من لدن حكيم عليم؟ وقد قال الله – تعالى– مقرراً لهذا الإعجاز العلمي: ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ، بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ** ﴾ (العنكبوت:٤٨، ٤٩)." [١]

٦) الرد على الرأي السادس بأن المثلية التي جاء بها التحدي هي مثلية النظم والبيان:

إن اعتبار المثلية التي جاء بها التحدي هي مثلية النظم والبيان، فيه تضييق لرسالة القرآن العظيم، وإجحاف كبير بفضله؛ لأنه – ومع التسليم بالإعجاز البياني للقرآن الكريم– إلا أن البيان والنظم يُعتبر إطاراً لمحتوى، والمحتوى أهم من الإطار، ومحتوى القرآن الكريم هو الدين بركائزه الأربعة: العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات، بالإضافة إلى ما جاء من قصص السابقين، وإنباء بالغيب وإشارات كونية، فالتحدي وقع بالقرآن، وما يحتويه، وليس فقط ببيانه [٢].

٧) الرد على الرأي السابع بأن القرآن الكريم نزل على أمة أمية، ليفهمه العرب في الصدر الأول من الإسلام، لذا لا يجوز تفسير الآيات بما لم يكن معروفاً عند الذين نزل القرآن فيهم:

إنَّ القرآن الكريم نزل للبشرية إلى قيام الساعة، على اختلاف ثقافاتها، ومعارفها، وكل عقلٍ يفهم منه ما يطيق، وينتفع مما يفهمه، فإذا عجز عن إدراك وفهم بعض المعاني، وجب عليه أن يستعين بأهل الذكر والباحثين، ﴿ ... **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ (النحل:٤٣) ، وكم من العلماء استنبط من آيات القرآن الكريم معانٍ وأحكاماً جديدة لم يعرفها السابقون؟ فالدارس للقرآن يأخذ منه بمقدار فهمه وثقافته ومعرفته، لذا فكلما اتسعت مدارك الإنسان، وتنوعت معارفه وعلومه، أدرك من القرآن ما لم يُدركه سواه من قبله، كما أن استخدام

---

[١] مناهل العرفان، الزرقاني، م١٠، ص ٦٢.

[٢] قضية الإعجاز العلمي، د. زغلول النجار، ص٧١ (بتصرف).

العلوم الكونية في تجلية آيات القرآن الكريم، وبيان نقاط الإعجاز فيها، إنما هو فعل من جنس فعل اللُّغويين وأصحاب البيان، فهم يستخدمون علوم اللغة العربية في بيان أوجه الإعجاز القرآني، وهذا الأسلوب لم يكن موجوداً في عصر النبوة، والعلماء يُجمعون على إجازته، فلماذا يُجاز لعلماء اللغة تسخير علومهم في إظهار إعجاز القرآن ولا يجاز لعلماء الكونيات؟[١]

٨) الرد على الرأي الثامن: أن بعض المفسرين الذين تعرضوا لتأويل آيات الإشارات الكونية الواردة في القرآن الكريم، قد أخطئوا بتكلفهم في تفسير الآيات، بمحاولة التوفيق بين أفكارهم وتأويلاتهم، مع ما ورد بالآية من إشارات، عن طريق لي أعناق الآيات، وتحميلها ما لا تحتمل من المعاني:

فالرد يتلخص في أن ذلك لا يعتبر ضمن المنهج العلمي للتفسير، ولا يقدح في آيات القرآن الكريم؛ لأنه يبقى جهداً بشرياً منسوباً لصاحبه، بما فيه من خطأ ونقص وبُعد عن الكمال، وإن كان بعض المجتهدين وقع في هذا الخطأ، إلا أنَّ هناك العديد من العلماء من وفق في هذا المجال، وحقق انجازات وفيرة، فخطأ بعض المجتهدين لا يستدعي هذا الرفض والتضييق، ولا يقدح بالمنهج نفسه، كما أن خطأ العديد من المفسرين سواء في استشهادهم بالإسرائيليات، أو تعصبهم لمذهب بعينه، وغير ذلك مما لا يقبله العقل السليم لا يقدح في علم التفسير نفسه، ولا يعني أبداً خطؤهم أن يتوقف علم التفسير عند حدود جهود السابقين – على فضلهم وفضل ما قدموه للأمة الإسلامية من تراث ديني وفكري، في حدود ما توفر لديهم من معارف– [٢].

**الفريق الثاني: الموسِّعون بالقول في الإعجاز العلمي:**

حيث يقوم أصحاب هذا الرأي بتبويب آيات الكونيات في كتاب الله –جلَّ وعلا– وتصنيفها حسب مختلف التصنيفات المعروفة في مختلف مجالات العلوم البحتية والتطبيقية، ثم زاد بعضهم بالتأكيد على أن جميع حقائق العلوم البحتة والتطبيقية موجودة في القرآن الكريم، وقد استدلوا بقوله سبحانه:

**﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾** (الأنعام: ٣٨)

---

[١] مقال: المعارضون للإعجاز العلمي، كتاب الإعجاز٣، ص١٩-٢١ ( بتصرف).

[٢] انظر: (قضية الإعجاز العلمي) د. زغلول النجار، ص١٠٥، ١٠٦.

وقوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾ (النحل:٨٩)

وهذا الأمر مرفوض لما فيه من تكلف واضح في تحميل الآيات ما لا تحتمل، ولي أعناقها؛ لإثبات وجهة نظر معينة، ويعتبر هذا الموقف الموسع، من الأسباب الرئيسة لتحفظ المتحفظين من الخوض في تفسير الآيات الكونية الواردة في كتاب الله – تعالى– على أساس معطيات العلوم الكونية [١].

**الفريق الثالث: المعتدلون:**

يُعد الإمام الغزالي والإمام الرازي من العلماء القدامى المعتدلين في القول بالإعجاز العلمي، أما المعتدلون المحدثون فمنهم: الشيخ محمد رشيد رضا والأستاذ مصطفى صادق الرافعي والدكتور محمد عبد الله دراز [٢].

ومن المعاصرين: د.عبد المجيد الزنداني، د. زغلول النجار، د. منصور حسب النبي، د. كارم غنيم، م. عبد الدائم كحيل، م. خالد فائق العبيدي، د. مسلم شلتوت، د. عبد الباسط السيد، د. عبد الجواد الصاوي، د. أحمد القاضي.

ويتلَّخص رأيهم في ضرورة مدارسة الآيات الكونية الواردة في القرآن الكريم، والاستفادة من كل أنواع المعارف المتاحة في تفسيرها، وإظهار جوانب الإعجاز فيها، تأكيداً لإيمان المؤمنين، ودعوى منطقية لغير المسلمين، بالخطاب الدعوي الذي يناسبهم، وبلغة العلم التي يفهمونها [٣].

مع التأكيد على أن هذه الدراسة لا بد وأن تكون وفق منهج علمي مدروس، وضوابط علمية معروفة، يجب الالتزام بها؛ لتجنب الوقوع في خطأ تحميل الآيات ما لا تحتمل، أو لي أعناقها؛ لتوافق رأياً أو استنتاجاً محدداً، أراده الباحث مسبقاً.

وهذه الضوابط مجملة في المحور التالي:

---

[١] انظر: (قضية الإعجاز) د. زغلول النجار، ص١٠٩-١١١.

[٢] انظر: (إعجاز القرآن الكريم) د. فضل عباس، ص٢٥٨، ٢٦٥.

[٣] قضية الإعجاز، د. زغلول النجار، ص١١٢ (بتصرف).

**رابعاً: ضوابط التعامل مع قضية الإعجاز العلمي:**

قبل الحديث عن أسس وضوابط التعامل مع قضية الإعجاز العلمي هناك أصول وقواعد عامة ينبغي للباحث في مجال الإعجاز العلمي معرفتها:

١) يقول المهندس خالد العبيدي: " علم الله هو العلم الشامل الذي لا يعتريه خطأ ولا يشوبه نقص، وعلم الإنسان محدود يقبل الازدياد ومعرض للخطأ " [١]، فهذا المبدأ أساسي يجب أن يعيه الباحث في مجال الإعجاز العلمي.

٢) إن هناك فرق بين الحقيقة العلمية والنظرية العلمية أو الفرضية: فالحقيقة العلمية: " هي التي لا تحتاج إلى إثبات مثل طلوع الشمس من الشرق، حيث أصبحت هذه الظاهرة حقيقة علمية وموضوع حقيقي، أما النظرية العلمية: فهي تتألف من مفاهيم تشمل ملخصاً عن ظاهرة ملاحظة ويعبر عنها بخواص محددة مع قوانين علمية، والتي تصف أو تعبر عن علاقة بين المشاهدات لهذه المفاهيم". [٢]

أما منهج الباحث في الأخذ بالحقيقة العلمية والنظرية العلمية؛ لإظهار جوانب الإعجاز العلمي في الآيات الكونية أو تفسيرها فيتمثل بالنقاط التالية:

**أولاً: الحقيقة العلمية:**

أ- الأصلُ في هذه القضية أن العلم الصحيح لا يمكن أن يتناقض مع النص الصريح، مع العلم أن الحقيقة العلمية إذا وصلت لمستوى الحقيقة الثابتة، لا تتغير ولا تبطل بمرور الزمن، وإنما تزداد إيضاحاً مع ازدياد المعارف الإنسانية؛ لذلك فهي لا يمكن أن تتناقض و نص قرآني صريح قطعي الدلالة، مع التأكيد على أن كلام الله ﷻ هو الأصل فهو الخالق، والكون صنعته وإبداعه [٣].

ب- إن بدا تناقض بين حقيقة علمية ثابتة ونص قرآني، فلا بد في هذه الحالة من وجود خلل ما، إما في صياغة الحقيقة العلمية، أو في فهم النص القرآني [٤].

**ثانياً: النظرية العلمية:**

يتلَّخص منهج الأخذ بالنظريات العلمية، في النقاط التالية:

---

(١) المنظار الهندسي، ص٥٦.

(٢) ملتقى المهندسين العرب: http://www.arab-eng.org/vb/t٢٥٢٦٢٢.html

(٣) انظر: (قضية الإعجاز العلمي) د. زغلول النجار، ص٤٦،٥٢،٥٦.

(٤) المرجع السابق، ص٥٦ ( بتصرف).

أ- إذا وقع التوافق بين دلالة قطعية النص، وبين نظرية علمية، كان النص دليلاً على صحة تلك النظرية، ويُرتقي بها إلى مقام الحقيقة.

ب- وإذا وقع التعارض، رُفضت هذه النظرية؛ لأن العلم بالنقل، آكد من العلم بالعقل، فهو وحي من الذي أحاط بكل شيء علماً [1].

مع التأكيد على أن هناك نظريات قد لا تتوافق بعض جزئياتها مع النص القرآني، ففي هذه الحالة يُؤْخَذ منها ما يتفق مع عقيدة الإسلام، ويُتْرَكُ ما لا يتفق.

وذلك كله مع ضرورة الحذر الشديد عند الخوض بمثل هذه القضايا، ومراعاة الدقة العلمية في التفكير والاستنتاج، فقد نهى الله ﷻ عن التسرع في استنباط المعلومات، والقفز إلى استنتاجات ظنية غير مدعومة بالأدلة العلمية، والمعرفة اليقينية، وهذا من أساسيات وأصول المنهج العلمي[2].

أما ما يخص الغيبيات، ومنها الذات الإلهية وموعد الساعة، فلا يجوز الخوض فيها؛ لأنها من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا، فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا، إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا** ﴾ (النازعات: ٤٢-٤٤ )

وعلى هذا فإن على الباحث في مجال آيات خلق الكون، أو أي من الأمور الغيبية، أن يكون على دراية تامة بهذا المبدأ.

**٣)** أما الأصل الثالث الذي ينبغي على الباحث في مجال الإعجاز العلمي معرفته هو أنه وعلى الرغم من أن القرآن الكريم ليس كتاب علوم، إلا أنه جاء بوصف شامل عن العالم المادي في صورة أصول وجوامع من العلم الدقيق الصحيح، وساق الكثير من الحقائق العلمية التي لم يتوصل إليها إلا بعد مئات السنين من تنزيله [3].

**٤)** القرآن الكريم لا تنتهي عجائبه ولا يَخْلَقُ على كثرة الرَّد، وما يتوصل إليه أي باحث في مجاله من فهم وتصورات للآية الكريمة في زمانٍ ما، حسب ما توفر لديه من معطيات ومعارف، ليس منتهى الفهم، فالآيات الكونية في كتاب الله تتسع دلالتها مع اتساع دائرة المعرفة

---

[1] انظر: (المنظار الهندسي) م. خالد العبيدي، ص٥٦، (من علوم الأرض القرآنية) د. عدنان الشريف، ص١١.

[2] انظر: ( أسس ومبادئ البحث العلمي في دراسة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم) أ.د.عبد الحي حمودة الأعصر، ص٢٨ ، (من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم) أ.د.حسن أبو العينين، ص٤٨.

[3] انظر: (وجوه من الإعجاز العلمي) أ. مصطفى الدباغ، ص١١٧.

الإنسانية، في تكامل لا يعرف التضاد؛ حتى يظل القرآن مهيمناً على المعارف الإنسانية مهما اتسعت دوائرها، وهذا من أعظم جوانب الإعجاز في كتاب الله ﷻ [1].

ومن جانب آخر، قد تتعدد أوجه الإعجاز التي يراها الباحثون في الآية الواحدة، كل حسب مجاله، وهذا يدعو الباحث في هذا المجال إلى عدم التقليل من جهد أي مجتهد، طالما أنه قد التزم بضوابط البحث في قضية الإعجاز العلمي التي اتفق عليها العلماء.

٥) الباحث في مجال الإعجاز العلمي قد تتكشف له بعض الأخطاء في تفسير العلماء الأوائل للآيات، وهذا بالتأكيد لا يَعيبهم، فقد اجتهدوا وبذلوا وأبدعوا، ولو أكمل المسلمون اليوم ما بدءوا، لتغير الحال، كما أنهم بشر يُؤخذ من كلامهم ويُرد، وأخطاؤهم تعزو إلى قلة ما توفر لديهم من معارف وعلوم، فما على الباحث إزاء هذه الأخطاء إلا إعادة النظر فيها، والاجتهاد في تفسيرها على الوجه الصحيح. [2]

وقد تحدَّث العلامة الدكتور يوسف القرضاوي عن هذه القضية تحت عنوان: تقليد الأقوال بلا بصيرة بقوله: " ومن دلائل القصور العلمي، أخذ الأقوال التي تُنقل عن قدامى المفسرين، على أنها قضايا مسلّمة، من باب التقليد لأصحابها، مع ضعفها وفسادها، دون النظر فيما تَستند إليه، أو تعول عليه من أدلة واعتبارات شرعية أو لُغوية أو عقلية، وهي أقوال صحيحة النسبة إلى قائليها من جهة الرواية ، ولكنها سقيمة أو مردودة من جهة الدراية، وليس هذا بمستغرب ما دامت صادرة عن غير معصوم، فكل بشر يصيب ويخطئ، وهو معذور في خطئه، بل مأجور أجراً واحداً إذا كان بعد تحرٍّ واجتهاد ... وإذا كان ابن عباس ﷺ وهو ترجمان القرآن، وحبر الأمة – قد ثبت عنه آراء في التفسير اعتبرها جمهور علماء الأمة ضعيفة وشاذة، وخالفه فيها عامة الصحابة، مثل أقواله في المواريث ونحوها، فكيف بمن دون ابن عباس، ومن دون تلاميذ تلاميذه؟ ". [3]

٦) يجب على الباحث وطالب العلم أن يجتنب الكبر والزهو فكل علم هو مُحصِله، ما كان لولا توفيق الله ﷻ: ﴿...**وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ (هود:٨٨).

وفي هذا يقول الأستاذ أحمد حسن رضوان: " إذا أردت أن تجلس في مجلس علم مع كتاب الله، أي مع كلام الله ومع الله، فاخلع رداء العالم، وتزين برداء العابد، ورداء العابد خفيف مليء

---

[1] انظر: (قضية الإعجاز) د. زغلول النجار، ص٥٣،٥٤.

[2] الآيات الكونية في ضوء العلم الحديث، د. منصور حسب النبي، ص٢٧(بتصرف).

[3] كيف نتعامل مع القرآن الكريم، ص٣٦٥.

بالثقوب فإذا سئلت من أنت؟، قل: أنا عبد الله، وإذا سئلت وماذا تريد أن تعلم؟ قل: ما ينعم الله به علي، فإذا سئلت ولماذا تريد أن تعلم؟ قل: لكي أعمل به، ولكي أنقل ما علمت ما استطعت إلى من استطعت، وقل: إن ذلك من عطاء الله ومن فضله، وعلى قدر نيتك وقصدك وإخلاصك فيما أجبت، يكون العطاء، فهو يقاس بالصحيح فيمن أنت ولماذا تريد وهو يوزن بما تحتمل، وما تتحمل فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها." (١)

٧) يجب على الباحث عدم الجزم بصحة ما توصل إليه، أو أن يَقطع أن مُراد الله ﷻ من الآية كذا وكذا بغير دليل قوي يستند إليه، وهذا مما تحدث عنه الإمام الذهبي في معرض حديثه عن الأمور التي يجب على المفسر أن يتجنبها في تفسيره. (٢)

٨) تنحصر أبحاث الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية في اتجاهين:

**أولاً: المطابقة:** فيه تكون الاكتشافات والحقائق العلمية معروفة مسبقاً، وتطابق بعض ما ورد في القرآن الكريم أو السنة النبوية من حقائق.

**ثانياً: التطبيق:** فيه تكون الحقائق والاكتشافات العلمية المرتبطة بموضوع الآية مجهولة ولم تُكتشف بعد.

**ففي الأول:**

دور الباحث يكمن في توضيح العلاقة بين هذه الاكتشافات وبين الحقائق الواردة في القرآن والسنة النبوية، وهذا الأسلوب يشمل معظم الدراسات والبحوث في هذا المجال.

**أما الثاني وهو التطبيق:**

فيتخذ فيه الباحث من الإشارات العلمية الواردة في كتاب الله ﷻ، أو في سنة المصطفى ﷺ منطلقات لدراسات علمية، ومرتكزات لبحوث تجريبية تقودهم إلى اكتشافات مهمة، وهذا الأسلوب هو الأهم والمطلوب؛ لما له من دور في جعل القرآن الكريم والسنة النبوية مصدرين للحقائق العلمية، وعدم الانتظار إلى ما بعد ظهور الحقيقة، لفهم الآية أو الحديث (٣).

وقد ذكر العلماء ضوابط تفصيلية في قضية التعامل مع الإعجاز العلمي، أذكر أهمها:

---

(١) مقال: من الإعجاز إلى الإنجاز، كتاب الإعجاز ٦، ص٦٧.

(٢) انظر: (التفسير والمفسرون) ج١، ص٢٨٣.

(٣) المشكاة، كتاب غير دوري يصدر عن المجمع العلمي لبحوث القرآن والسنة بجمهورية مصر العربية، أ.د.كارم السيد غنيم، ص٩ (بتصرف).

١) الالتزام بالقواعد السابقة[١]، والالتزام بآداب المفسر، وقواعد التفسير كما ذُكرت في كتب مناهج المفسرين، ومنها: ألا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية، وأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، مع مراعاة السياق القرآني للآية دون اجتزاء النص؛ لما لدلالة السياق من أهمية في فهم الآية.[٢]

٢) مراعاة المعاني اللُّغوية للألفاظ الواردة في الآية مناط البحث، ومراعاة القواعد النحوية والبلاغية وأساليب التعبير المختلفة [٣].

٣) معرفة وفهم علوم القرآن المختلفة من ناسخ ومنسوخ، مطلق ومقيد، خاص وعام، ومحكم ومتشابه؛ لما لمعرفة هذه العلوم من أهمية في فهم سياق الآية [٤].

٤) الإلمام بما ورد في الآيات من أسباب نزول، مع الاستئناس بالقراءات القرآنية لألفاظ الآية، إن وُجِد. [٥]

٥) جمع النصوص القرآنية المتعلقة بالموضوع الواحد، وفهم دلالة كل نص وربطه بالآخر، مع جمع الأحاديث النبوية في موضوع النص القرآني، وأقوال الصحابة والتابعين، ومعرفة أقوال المفسرين الواردة في كتب التفسير القديمة والمعاصرة.[٦]

٦) احترام قدسية كلام الله ﷻ، واعتبار القرآن متبوعاً لا تابعاً، وأصلاً يرجع إليه، مع عدم التكلف في بيان مراده سبحانه من الآيات؛ لتوافق فكرة أو رأياً اقتنع به الباحث مسبقاً، وأراد إثباته من خلال الآيات، فما يَلبث أن يُحاول ليّ أعناق الآيات لتطويعها لفكرته، أو تحميل معناها ما لا يَحتمل، وذلك يتنافى مع أصول البحث العلمي.[٧]

---

[١] انظر: (ضوابط التعامل مع قضية الإعجاز العلمي)، ص١٩.

[٢] انظر: (قضية الإعجاز العلمي) د. زغلول النجار، ص٥٠، (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة) د. محمد راتب النابلسي، ص٢٧، (المنظار الهندسي) م. خالد فائق العبيدي، ص٥٧.

[٣] انظر: (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة) ص٢٧، (قضية الإعجاز العلمي) د. زغلول النجار، ص٤٩.

[٤] قضية الإعجاز العلمي، د. زغلول النجار، ص٤٩ (بتصرف).

[٥] المنظار الهندسي، م. خالد فائق العبيدي، ص٥٧ (بتصرف).

[٦] انظر: (قضية الإعجاز العلمي) د. زغلول النجار، ص٤٩، (المنظار الهندسي) م. خالد فائق العبيدي، ص٥٧.

[٧] انظر: (كيف نتعامل مع القرآن الكريم) د.يوسف القرضاوي، ص٢٥٦، (قضية الإعجاز العلمي) د. زغلول النجار ص٥٠.

٧) البحث في مجال الإعجاز العلمي يَهدف إلى المطابقة بين ما يدل عليه النص، مع الحقيقة العلمية؛ لبيان وجه الإعجاز في الآية الكريمة، لذا فسرد الحقائق العلمية يكون في سياق هذا الهدف، مع مراعاة التدرج في سردها، دون الدخول في تفاصيل علمية دقيقة لا تخدم السياق [١].

٨) ضرورة مراعاة التخصصية في أبحاث الإعجاز العلمي، خاصة وأن الباحث في هذا المجال تَعْرِضُ في طريقه إشارات عديدة من العلوم المختلفة من فلك وطب في الآية الواحدة، فمن طبيعة القرآن الكريم إيراد العديد من الحقائق المتتابعة، وفي نفس الوقت غير مرتبطة ببعضها البعض؛ لذا فالواجب على الباحث التحقيق العلمي لكل قضية، وعرضها على ذوي الاختصاص كل في مجاله [٢].

---

[١] انظر: (قضية الإعجاز العلمي) د. زغلول النجار، ص٥٠، (مقال: الظواهر الجغرافية بين الآيات القرآنية والنظريات العلمية) د.حسني حمدان الدسوقي حمامة، (كتاب الإعجاز ٣)، ص٤٢.

[٢] قضية الإعجاز العلمي، د. زغلول النجار، ص٥٢،٥٣ (بتصرف).

# الفصل الأول

# آيات بداية الكون والإعجاز العلمي فيها

وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول: الكون بين الفتق والرتق**
- **المبحث الثاني : اتساع الكون وتمدده**
- **المبحث الثالث: دخانية الكون**
- **المبحث الرابع: أيام خلق الكون**

# الفصل الأول

# آيات بداية الكون والإعجاز العلمي فيها

حاول الإنسان منذ قديم الزمان، التعرف على الكون وأسراره، وكيف نشأ؟ إلا أن محاولاته كانت تبوء بالفشل؛ لاصطدامها: إما بخرافات سادت في ذلك الزمان، مثل: أن الأرض مستوية والسماء سقفُها، والنجوم مسامير تُثبت السقف، وغيرها الكثير، أو بنصوص من التوراة والإنجيل، تتناقض مع افتراضاتهم ونظرياتهم.

أما وبعد نزول القرآن الكريم ودعوة الله ﷻ الصريحة فيه للبحث والتفكر في نشأة الكون بقوله سبحانه: ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ**﴾ (العنكبوت:٢٠) اجتهد علماء المسلمين في تفسير آياته وإشاراته إلى خلق الكون، وتمدده، وفتق السماوات السبع، ودحو الأرض وإثبات عدم استوائها، – كما كان المعتقد السائد– وغيرها الكثير من الآيات والحقائق التي حدَّث بها القرآن الكريم، والتي لم تكن معروفة في زمان نزولها، وضعها سبحانه كمنارات تُعين المجتهدين والمتفكرين على فهم أسرار الكون.

ولكن مع قصور الوسائل والعلوم المتاحة، لم تتعد آراء المفسرين عن كونها اجتهادات في إطار الفهم البشري، المُقَيد بما يتوفر لديه من علوم وتقنيات تعينه عليه.

وبعد تطور العلوم خاصة في علم الفلك والفضاء، تكشَّفت للإنسان العديد من المشاهدات والأدلة حول بداية الكون، فبدأ في صياغتها من خلال النظريات والفروض العلمية، بعض هذه النظريات أثبتها العلم من خلال الآثار التي ظهرت جلياً عبر عمليات الرصد الفلكي المتطورة لأجرام السماء.

الباحثة في هذا الفصل ستعرض الآيات القرآنية الواردة في مراحل خلق الكون وبدايته، والدراسات المُثْبتة علمياً إلى الآن، وقد ورد ذكر هذه المراحل في ثلاثة مواضع رئيسة قسمتها الباحثة إلى ثلاثة مباحث والآيات هي قوله تعالى:

١) ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ (الأنبياء:٣٠)

٢) ﴿ **وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** ﴾ (الذاريات:٤٧)

٣) ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** ﴾ (فصلت:١١)

بالإضافة إلى المبحث الأخير وهو أيام خلق الكون، وآراء العلماء في طبيعتها.

هدف هذا العرض، إثبات ذِكر القرآن الكريم لهذه الحقائق، بل وإثبات سبقه لكل العلوم الكونية في سرده لآلية نشأة الكون، ودقة مصطلحاته التي عبَّر بها عن أصله.

مع قناعة الباحثة أن ذلك معلوم النتيجة مسبقاً، فالقرآن الكريم بالنسبة للمسلمين هو حق، وهو كلام خالق هذا الكون ومبدعه، إذن هي محاولة لفهم الآيات وفق ما توفر من دراسات مثبتة، بالإضافة إلى الهدف الأساس لمثل هذا الأسلوب – أقصد بيان الإعجاز العلمي في الآيات– وهو كونه صفعة لكل من يُنكر وجود الله ﷻ، أو ينكر رسالة الإسلام العظيم، وصدق النبي محمد ﷺ.

سائلة المولى ﷻ أن يعينني ويوفقني، فإن أصبت فبتوفيقه ومنّه علي – سبحانه– وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

# المبحث الأول: الكون بين الفتق والرتق

جاء ذكر أصل السماوات والأرض في القرآن الكريم في قوله تعالى:

**﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾** (الأنبياء:٣٠)

والرتق الوارد في الآية القرآنية مصدر رتقه: إذا سده، بمعنى الضم والالتحام، وهو الاتصال والتلاصق بين أجزاء الشيء، وقوله تعالى: ﴿**كَانَتَا رَتْقاً**﴾: أي كانتا شيئاً واحداً ملتصقتين ليس فيهما ثقب [١].

أمَّا الفتق: فهو ضد الرتق، معناه الانفصال والتباعد بين الأجزاء والفصل بين الشيئين المتصلين، وقوله سبحانه: ﴿**فَفَتَقْنَاهُمَا**﴾ أي: ففصلناهما وشققناهما وصدعناهما وفرجناهما، والمراد: فصلنا السماء عن الأرض فرفعنا السماء، وأبقينا الأرض مكانها.[٢]

وقد اختلف المفسرون في معنى الرتق والفتق الوارد في الآية الكريمة على النحو التالي:

١) كانت السماء رتقاً لا تمطر، والأرض رتقاً لا تنبت، ففتق السماء بالمطر فأمطرت، وفتق الأرض فتشققت وأنبتت، وقد ورد هذا الرأي عن ابن عباس – رضي الله عنه– حيث قال: كانت السماوات رتقاً لا تمطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت فلما خلق للأرض أهلاً فتق هذه بالمطر، وفتق هذه بالنبات.

وعنه أيضاً: كانتا ملتصقتين ، فرفع السماء ووضع الأرض. [٣]

٢) وقد ذكر الطبري رأياً آخراً في تفسير قوله تعالى: ﴿**فَفَتَقْنَاهُمَا**﴾ : أن الليل كان قبل النهار، ففتق النهار، وأورد هذا القول عن ابن عباس، حيث قال: خلق الليل قبل النهار، ثم قال: ﴿**كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا**﴾ [٤].

---

[١] انظر: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري، م١٠، ص٢١ ، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) أبو السعود، ج٤، ص٦٦٥ ، (الأساس في التفسير) سعيد حوي، ج٧، ص٣٤٥١، ٣٤٥٢.

[٢] انظر: (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، ج٢، ص٨٦ ،٨٧ ، (أضواء البيان) ج٤، ص٥٦٣ ، (محاسن التأويل) القاسمي، ج١٠، ص٤٢٦٧

[٣] انظر: (جامع البيان) الطبري، م١٠،ص٢١، (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) النسفي، ج٢، ص٨٦ ،٨٧، (الأساس في التفسير) سعيد حوى، ج٧، ص٣٤٥١ ،٣٤٥٢، ٣٤٥٤.

[٤] جامع البيان، ج١٠، ص٢١ (بتصرف يسير).

٣) إن السماوات كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها الله ﷻ وجعلها سبع سماوات، وكذلك الأرض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع أرضين.(١)

وذكر هذا الرأي أيضاً الإمام الطبري، حيث نقل قولاً لمجاهد(٢) يؤيده حيث قال: " قوله تعالى: ﴿رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ أي: فتقهنّ سبع سموات بعضهن فوق بعض، وسبع أرضين بعضهنّ تحت بعض." (٣)

٤) وذكر ابن عاشور احتمال أن تكون كل سماء رتقاً على حده، والأرض رتقاً على حده، وكذلك الاحتمال في قوله تعالى: ﴿رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾. (٤)

٥) يُحتمل أن يراد بالرتق العدم، وبالفتق الإيجاد (٥).

٦) ويحتمل أن يراد بالرتق الظلمة وبالفتق النور (٦).

٧) أو هو اتحاد الموجودات حين كانت مادة واحدة (٧).

وبالنظر في العلوم الكونية، يتبين أن هناك عدة دراسات تتحدث عن كيفية بداية الكون، ستحاول الباحثة عرض أهمها، ومن ثم ترجيح أقربها إلى مفهوم الآية الكريمة.

**النظرية الأولى: "Big Bung" الانفجار العظيم:**

تفترض هذه النظرية أن كل موجودات الكون من مجرات، وغازات، وسحب الغبار الكوني، كانت مندمجة معاً في الماضي السحيق على هيئة كتلة مركزية شديدة الكثافة، ثم انفجرت هذه الكتلة فجأة، وتطايرت أشلاؤها في كل اتجاه في الفراغ، وبدءوا في افتراض الأحداث بالدقائق الأولى بعد الانفجار، حيث انتقلت الحرارة الناتجة عنه إلى سحابة الدخان الناتج، وسمحت بعدة تفاعلات نووية أدَّت إلى تكون أبسط أنواع الذرات، وهي الهيدروجين،

---

(١) انظر: (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) النسفي، ج٢، ص٨٦ ،٨٧.

(٢) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي مولى بني مخزوم تابعي مفسّر من أهل مكة، قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين أخذ التفسير عن ابن عباس قرأه عليه ثلاث مرات، واستقر في الكوفة وقيل أنه مات وهو ساجد. انظر: (الأعلام)، الزركلي، ج٥، ص٢٧٨.

(٣) جامع البيان، ج١٠، ص٢١.

(٤) التحرير والتنوير، ج٨، ص٥٣.

(٥) انظر: ( التحرير والتنوير) ج٨، ص٥٥ ، ( تفسير القرآن العظيم) د. عبد الله شحاته، ج٩، ص٣٢٧٠.

(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٨، ص ٥٥.

(٧) المرجع السابق، ج٨، ص ٥٥.

الذي يُعد -حسب فرضهم- أول أنواع المادة التي ظهرت في هذا الكون، ومن ثم تحولت ذرات الهيدروجين إلى ذرات غاز الهيليوم، وبذلك تكونت المادة الأولية الأساسية التي تكون منها الكون، وهي عنصري الهيدروجين والهيليوم، وهما أكثر العناصر الكيميائية انتشاراً اليوم.(١)

وفي سنة ١٩٨٩م أرسلت مؤسسة ناسا الأمريكية مركبة فضائية، أطلق عليها اسم مستكشف الخلفية الإشعاعية – كوب- وزُوِّد بأجهزة فائقة الحساسية، فأثبتت وجود أشعة أثرية متبقية من عملية الانفجار العظيم، وكان هذا الاكتشاف التفسير المنطقي لسبب الأزيز اللاسلكي المنتظم الذي يعج به الكون، وهو بمثابة صدى لعملية الانفجار الكبير، وقد قامت هذه المركبة الفضائية بإرسال ملايين الصور إلى الأرض عن بقايا الدخان الأول، الذي نتج عن عملية الانفجار العظيم على مسافة تقدر بعشرة مليارات من السنين الضوئية، وبذلك توصل العلماء إلى الدليل المادي الملموس لدعم نظرية الانفجار العظيم، فارتقوا بها إلى مقام الحقيقة شبه المؤكدة، مما دفع بالغالبية الساحقة من علماء الفلك والفيزياء الفلكية إلى الاعتقاد بصحتها.(٢)

**النظرية الثانية: نظرية الحالة الثابتة:**

وتفترض هذه النظرية أن الكون متجانس في كل موضع فيه، وفي كل زمان، كما أن هناك تناسقاً تاماً في توزيع المادة في الفضاء، وكثافة المادة في وحدة الحجوم في هذا الكون ثابتة على الدوام، ولا تتغير بمرور الزمن، والكون في حالة خلق مستمر للمادة في الفضاء الواقع بين المجرات، بحيث إنه إذا تباعدت هذه المجرات عن بعضها، لا يلاحظ هذا التباعد لتخلق مادة جديدة، ومجرة جديدة بينهما، وأول ما يظهر منها يكون على هيئة ذرات هيدروجين، ثم يتكون منها بعد ذلك العناصر الأثقل منها، مما يؤدي إلى تكون المجرات، وما بها من نجوم بعد زمن طويل، وبالتالي كثافة المادة في الكون تبقى ثابتة على الدوام، ولا تتغير أبداً، ويبدو الكون في حالة ثابتة لا تتغير. (٣)

من خلال استعراض أهم نظريتين للعلم الحديث في آلية بداية الكون، يلاحظ أن نظرية الانفجار العظيم هي الأقرب إلى مفهوم الآية، حيث إن هذه النظرية تفترض وجود كتلة مركزية

---

(١) انظر: (الكون في فكر الإنسان قديماً وحديثاً) د. أحمد مدحت إسلام، ص١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، (السماء في القرآن الكريم) د. زغلول النجار، ص١٠١.

(٢) السماء، د. زغلول النجار، ١٠٢، ١٠٣ (بتصرف يسير).

(٣) انظر: (الكون في فكر الإنسان قديماً وحديثاً) د. أحمد مدحت إسلام، ص١٦١، ١٦٢.

واحدة أو بيضة كونية، كما أسموها "Cosmic Egg" كانت مندمجة معاً – وهذا هو مفهوم الرتق في قوله تعالى: ﴿كَانَتَا رَتْقاً﴾ حيث إن الرتق في اللغة بمعنى التلاحم والتلاصق ، ثم انفجرت هذه الكتلة، وتطايرت أشلاؤها في كل اتجاه، وهو مفهوم الفتق في الآية الكريمة ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾.

والمتأمل في الآية الكريمة، يلمس الدقة والروعة في التعبير عن حقيقة فتق الكون بعد الرتق، وقد جاء بها منذ أكثر من ١٤٠٠عام، في إجمالٍ معجِز، وصياغة معجزة، حيث يفهم أهل كل عصر معنى من المعاني تتناسب مع المستوى العلمي المتوفر لديهم، مع ترك المجال واسعاً لجهود العلماء والمفكرين؛ ليجتهدوا وينظروا ويتأملوا في بديع خلقه، وهذا الإعجاز غير مستغرب، فالقرآن الكريم كلام الله ﷻ خالق هذا الكون ومبدعه، لذا فكل حرف وكلمة فيه، حقيقة مطلقة مسلم بها، أما النظريات العلمية فالملاحظ حداثتها، فنظرية الانفجار العظيم التي أكدتها الغالبية الساحقة من علماء الفلك والفيزياء الفلكية، فلم تتأكد إلا منذ فترة وجيزة.

حيث اكتشف العالمان "أرنوبنزياس وروبرت ويلسون" عام ١٩٦٤م بقايا أثرية لإشعاع حراري كوني، وفي عام ١٩٨٩م أثبتت مركبة فضائية تابعة لمؤسسة ناسا الأمريكية، وجود تلك الأشعة الأثرية المتبقية الناتجة عن عملية الانفجار العظيم. (١)

ومن المعروف أنّ أي انفجار ينتج عنه بعثرة للمادة في كل اتجاه دون نظام أو انسجام بين مادته الأصلية وما صارت عليه شظاياه المتناثرة بعد الانفجار، لكن ما حدث حسب نظرية الانفجار العظيم كان العكس تماماً، إذ كان الانفجار غاية في الدقة والنظام والانضباط بين مكوناته.

ومن الجدير بالذكر أن أحد علماء التبشير سابقاً، العالم الكندي جاري مولر، قد أسلم بعد أن بهرته آية الفتق والرتق.(٢)

وفي رأي الباحثة أن النظرية الأكثر موافقة لدلالة معاني الآية، هي نظرية الانفجار العظيم، أو ما يمكن تسميتها نظرية الفتق بعد الرتق، مع التأكيد أن هذا ليس منتهى الفهم للآية، وكما هو الأصل، يبقى الباب مفتوحاً لاجتهادات العلماء وإبداعاتهم.

---

(١) انظر: (السماء) د. زغلول النجار، ص١٠٢، ١٠٣.

(٢) من آيات الله في أرضه وسماه، أ.د. حيدر سليم عنان، ص٩٧ (بتصرف).

مع إضافة ملاحظة أن نظرية الانفجار العظيم عليها مأخذ مهم في جزئية من جزئياتها ألا وهو: " افتراضها أن العنصر الوحيد الذي كان موجوداً بعد الانفجار هو الهيدروجين، في حين أن الآية القرآنية تدلل صراحة على وجود الماء قبل الخلق، وذلك في قوله سبحانه: ﴿**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ** ﴾ (هود: ٧) وتلمح أيضاً إلى أنه هو العنصر الأساس في الخلق، وليس الهيدروجين، إذ يُتْبِع الله ﷻ الجزء الخاص بالفتق والرتق بقوله سبحانه: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ (الأنبياء: ٣٠) وكأنما منطوق الآية أنه بعد الفتق والرتق كان الإيجاد لكل شي من العنصر الأساس ألا وهو الماء" [١].

وهذا ما لم تتحدث عنه نظرية الانفجار العظيم أو أي نظرية أخرى.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.

---

[١] محاضرة بعنوان: الفتق والرتق في القرآن الكريم، د. أحمد المزين، مركز الإعجاز العلمي للبحوث والدراسات – فلسطين، ٣/٢٠١١.

## المبحث الثاني: اتساع الكون وتمدده

تحدَّث الله سبحانه وتعالى عن حقيقة اتساع الكون وتمدده، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ (الذاريات:٤٧)

والأيد، والآد في لغة العرب بمعنى قوة، ورجل أيد قوي، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**﴾: أي قويناه به، والمعنى: والسماء بنيناها بقوة [١].

﴿**وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾: أي: لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة، والموسع القادر على الإنفاق، أو لموسعون السماء، أو ما بينها وبين الأرض أو الرزق [٢].

وقد جمع الإمام القرطبي أقوال العلماء في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾:

- فعن ابن عباس: ﴿**وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ أي: لقادرون.
- وقيل: أي وإنا لذو سعة، وبخلقها وخلق غيرها لا يضيق علينا شيء نريده.
- وقيل: أي وإنا لموسعون الرزق بالمطر.
- وقيل أغنيناكم؛ دليله: ﴿**عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ**﴾ (البقرة: ٢٣٦).
- وقيل أي: ذو سعة على خلقنا.
- وهناك من قال: جعلنا بينهما وبين الأرض سعة.
- وأوسع الرجل: أي صار ذا سعة وغنى، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ أي أغنياء قادرون. [٣]

أما الأستاذ سعيد حوى فقد فسَّر قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾: بقوله: " أي لموسعون هذه السماء بإصرار فهي دائماً في توسع، أو قد جعلناها واسعة." [٤]

وأضاف الدكتور وهبه الزحيلي في تفسيره: " لقد بنينا السماء بقوة ومقدرة، وإنا لذووا قدرة وسعة على خلقها وخلق غيرها، فنحن قادرون، لا نعجز عن ذلك، ولا يمسنا تعب فقوله: (لموسعون) نوسع الأشياء قوة وقدرة " [٥].

---

[١] أضواء البيان، الشنقيطي، ج٧، ص٦٦٩ (بتصرف يسير).

[٢] إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج٦، ص٢٠٧.

[٣] الجامع لأحكام القرآن، م٩، ج١٧، ص٤٠ (بتصرف يسير).

[٤] الأساس في التفسير، م١٠، ص٥٥٢٢ .

[٥] التفسير الوسيط، د. وهبة الزحيلي، ج٣، ، ص٢٥٠٨.

ومن الملاحظ أنه -وإلى مطلع العقد الثاني من القرن العشرين- كان الاعتقاد السائد ثبات الكون وعدم تغيره، وهي نظرية قال بها فريق من العلماء، وعلى رأسهم عالم فلك روسي "فورنتزوف فيليافينوف" وسميت بنظرية الكون الثابت، تنص على أن الكون لم يزل منذ الأزل هو نفسه لم يتغير، في محاولة منهم لنفي الخلق، وتعميم معتقداتهم الإلحادية التي ترتكز على إنكار وجود الله تعالى، وأزلية المادة.[١]

فإثبات بداية الكون، يقتضي بالضرورة إثبات وجود الله ﷻ لأن ما له بداية، فلا بد له من مُبْدِئ، ولا يمكن أن يكون قد بدأ بنفسه، كما أن إثبات بداية الكون من الجرم الابتدائي ذو الطاقة الهائلة، والذي نتج عنها توسع وتمدد هذا الكون، يستلزم إثبات أن تصل هذه الطاقة إلى نقطة النهاية، فيتوقف الكون عن التمدد، ويصل إلى النتيجة الحتمية، ألا وهي الانكماش على نفسه - بمعنى نهايته-، وهذا يستلزم وجود نهاية للخلق، أي يوم بعث كما تُثْبت ذلك جميع الشرائع السماوية، وهذا ما لا يؤمن به الملحدون، وأُولى الملاحظات العلمية بعد نظرية الكون الثابت، كانت لعالِم فلك يُدعى "سلايفر"، ففي عام ١٩١٢م تبين له أن المجرات تتباعد عن مجرة درب التبانة بصورة متزايدة، وبدأ الفلكيون في مناقشة دلالة ذلك، وهل يمكن أن يشير إلى تمدد الكون المدرك؟، وبحلول عام ١٩٢٥م، تمكَّن العالِم نفسه من إثبات تحرك أربعين مجرة قام برصدها بسرعات فائقة متباعدة عن مجرة درب التبانة، وعن بعضها البعض. [٢]

وفي عام ١٩٢٩م أكد العالمان همسن وهبل نظرية توسع الكون، " حيث تمكن هبل من الوصول إلى الاستنتاج الفلكي الدقيق الذي مؤداه: أن سرعة تباعد المجرات عنا تتناسب تناسباً طردياً مع بُعدها عنا، والذي عرف من بعد باسم قانون هبل" [٣]، وبذلك ثبتت نظرية توسع الكون وباتت حقيقة علمية، وقد سُئل العالِم الفلكي المعاصر هيوبرت ريفز عن هذه النظرية، وهل هي حقيقة علمية؟ فأجاب: "نستطيع القول اليوم أن توسع الكون هو شبه مؤكد" [٤].

أما المنادون بنظرية الكون الثابت، وعلى رأسهم مجموعة البحث العلمي بجامعة كمبردج وأبرزهم هيرمان بوندي، فقد ظلوا ينادون بثبات الكون إلى مشارف الخمسينات من القرن العشرين، ثم اضطروا اضطراراً إلى الاعتراف بحقيقة توسع الكون المدرك. [٥]

---

[١] انظر: (الكون في القرآن الكريم) بهاء الدين اليماني، ص٤٧ ، (السماء) د. زغلول النجار، ص٨٤.

[٢] انظر: (من علم الفلك القرآني) د. عدنان الشريف، ص٣٣ ، (السماء) د. زغلول النجار، ص٨٤ ،٨٥.

[٣] السماء، د. زغلول النجار، ص٨٥.

[٤] انظر: (من علم الفلك القرآني) د. عدنان الشريف، ص٣٣.

[٥] السماء، د. زغلول النجار، ص٨٥ (بتصرف يسير).

بعد هذا العرض العلمي، وبالنظر إلى الآية الكريمة: ﴿ **وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ (الذاريات:٤٧) وما بها من إشارات مبهرة، يجد المتأمل عدة حقائق، مفادها، أن هذا الكون ليس مجرد فراغ ثابت المعالم لا يتغير- كما كان يُعتقد إلى عهد قريب- وإنما هو بناء بناه الله ﷻ (بأيد): أي بقوة وحكمة.

والتعبير بقوله تعالى: ﴿...**وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ يوحي باستمرار عملية التوسعة والتمدد.

وبذلك وبكلمات قليلة بيَّنت الآية الكريمة حقائق اختلف العلماء عليها إلى أمدٍ قريب، ولكنها جاءت واضحة جلية، فالكون مخلوق له بداية، وليس من العدم كما كان الاعتقاد سائداً، وهو بناء محكم -وليس بفراغ- ، وفي تمدد وتوسع مستمر وليس ثابتاً.

فأين العلم والتقدم الآن من هذه الحقائق الجلية، والتي أشار إليها القرآن في زمن افتقد إلى أبسط وسائل العلم والتقدم، بالمقابل عجز العلماء في عصر العلوم المتقدمة عن الوصول إلى هذه الحقائق إلا متأخراً، ولا زال القرآن يبهر قارئه بما هو أعظم، وصدق القائل في كتابه العزيز: ﴿... **وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ (الإسراء: ٨٥).

وبكلام الله ﷻ وما جاء بالآية الكريمة من إشارات واضحة، يُمكن الارتقاء بالنظرية العلمية القائلة بتوسع الكون، إلى درجة الحقيقة الثابتة، أثبتها القرآن الكريم منذ أكثر من ١٤٠٠ عام، وهذا هو الإعجاز بعينه.

## المبحث الثالث: دخانية الكون

جاءت في القرآن الكريم إشارة واضحة لمرحلة من مراحل خلق الكون، وصفت حال الكون في هذه المرحلة بالدخان، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** ﴾ (فصلت:١١)

حيث فسَّر الإمام القرطبي قوله سبحانه: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء**﴾ أي عمد إلى خلقها وقصد لتسويتها، ونقل رأياً عن ابن عباس ﷺ في معنى قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء**﴾ أي: صعد أمره إلى السماء. [١]

قال المفسرون: هذا الدخان هو بخار الماء، وخصَّ سبحانه الاستواء إلى السماء مع كون الخطاب المترتب على ذلك متوجهاً إليها، وإلى الأرض.[٢]

واختلف المفسرون في ترتيب خلق السماء والأرض، فمنهم من رأى تقديم خلق السماء على الأرض، ومنهم من قال بعكس ذلك، وقد ارتكز بعضهم على قوله تعالى: ﴿**وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا**﴾ (النازعات:٣٠) فقدم خلق السماء عن الأرض، ومنهم من ارتكز على الترتيب المذكور في الآية ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء**﴾ فقال بتقديم خلق الأرض عن السماء، وتلخصت آراؤهم كالتالي: ذكر الشوكاني في تفسيره أنه: " قد استشكل الجمع بين قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى ...**﴾ وقوله سبحانه: ﴿**وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا**﴾، فإن قوله: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء**﴾ مشعر بأن خلقها متأخر عن خلق الأرض، وظاهره يخالف قوله: ﴿**وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا**﴾ ... فقال: ﴿**ثُمَّ**﴾ في ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء**﴾ وهي ليست للتراخي الزمني بل للتراخي الرتبي، فيندثر الإشكال من أصله، وعلى تقدير أنها للتراخي الزمني فالجمع ممكن؛ لأن خلق الأرض مقدم على خلق السماء، ودحوها بمعنى بسطها، هو أمر زائد على مجرد خلقها، فهي متقدمة خلقاً، متأخرة دحواً، وهذا ظاهر " [٣]،

---

[١] انظر: (الجامع لأحكام القرآن) م٨، ج١٥، ص٢٤٩ .

[٢] انظر: (فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ج٤، ص٦٢٨.

[٣] فتح القدير، ج٤، ص٦٢٩.

وأضاف الإمام الزمخشري: " قيل كان عرشه قبل خلق السماوات والأرض على الماء، فأخرج من الماء دخاناً، فارتفع فوق الماء، وعلا عليه، فأيبس الماء فجعله أرضاً واحدةً، ثم فتقها فجعلها أراضين، ثم خلق السماء من الدخان المرتفع"(١).

أما الإمام النسفي فقال: " تقول العرب: فعل فلان كذا، ثم استوى إلى عمل كذا، يريدون أنه أكمل الأول، وابتدأ الثاني، ويفهم منه أن خلق السماء كان بعد خلق الأرض وبه قال ابن عباس رضي الله عنه حيث قال: أول ما خلق الله تعالى جوهره طولها وعرضها مسيرة ألف سنة في مسيرة عشرة آلاف سنة، ونظر إليها بالهيبة فذابت واضطربت، ثم ثار منها دخان بتسليط النار عليها فارتفع واجتمع زبد فقام فوق الماء فجعل الزبد أرضاً، والدخان سماء." (٢)

وترى الباحثة أنه يمكن الجمع بين هذه الآراء بالقول: إن أول الخلق كان للعناصر الأساسية المكونة لمادتي السماء والأرض، وتلا ذلك دحي الأرض، ومن ثم استوى سبحانه إلى السماء وهي دخان، هذا والله تعالى أعلم، وسيأتي تفصيل المسألة في المبحث القادم بإذن الله.

أما أبرز النظريات العلمية في هذا السياق: نظرية الدوامة، وقد تضافر على وضعها عدد غفير من العلماء، وتتلخص في أنه في البدء كانت في الفضاء غيمة كبيرة من الغبار والغاز، مكونة من هيدروجين وهيليوم، وعناصر ثقيلة أخرى مثل: الكربون والأوكسجين والحديد، وأن هذه الغيمة كانت في حالة هيجان ما لبث أن هدأ تدريجياً، ثم أخذت الغيمة في الدوران البطيء بشكل دوامة نشأت بها دوامات أصغر منها، ومن أكبر هذه الدوامات نشأت الشمس الأولية في مركز الغيمة، ومن الدوامات الصغيرة نشأ تسعة أقراص دوارة حول الشمس، شكلت الكواكب السيارة، وقد اتفق العلماء أن أصل المادة التي تكونت منها المجموعة الشمسية غيمة كبيرة من الغبار والغاز. (٣)

وتشير دراسات الفيزياء النظرية في أواخر القرن العشرين إلى أن جرماً بمواصفات الجرم الابتدائي للكون عندما ينفجر، لا بد وأن يتحول إلى سحابة من الدخان، تخلقت منه الأرض، وكل أجرام السماء. (٤)

---

(١) الكشاف، ج٣، ص٤٤٥.

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج٢، ص٤٩١.

(٣) انظر: ( الكون في القرآن الكريم) بهاء الدين اليماني، ص٢٤، ٢٥ ،٣٥.

(٤) السماء، د. زغلول النجار، ص١١٢.

وفي نوفمبر ١٩٨٩م أطلقت وكالة الفضاء الأمريكية ناسا، مركبة فضائية، حيث أرسلت ملايين الصور والمعلومات إلى الأرض، عن آثار الدخان الأول الذي نتج عن عملية الانفجار العظيم للكون، وهي حالة دخانية معتمة سادت الكون قبل خلق الأرض والسماوات. [١]

من خلال ما سبق يلاحظ التقاء جزيئات كبيرة من النظريات السابقة مع مفهوم الآية القرآنية ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ**﴾، فالآية القرآنية تشير وبوضوح إلى أصل مادة الكون، أو السماء بالتعبير القرآني، ألا وهو الدخان.

وخلاصة النظريات السابقة تقول إن أصل المجموعة الشمسية غبار وغاز، ومن المعلوم أن الدخان لا يعدو عن كونه غبار وغاز، بل إن التعبير القرآني أدق من تعبير العلماء، حيث عبَّر الله ﷻ عنه بالدخان. وإذا كان العلم يفترض أن المجموعة الشمسية كلها –الشمس والقمر والأرض والكواكب– كانت جزءاً من الغيمة البدائية الغازية، ولما كانت المجموعة الشمسية جزءاً من السماء، وهذا مفهوم منطوق الآية:

﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا**﴾ (الأنبياء:٣٠) فهي تؤكد أن السماوات والأرض كانت قطعة واحدة قبل انفصالهما عن بعضهما، فهي إذن من الدخان المكون من الغازات، وذرات الغبار الدقيقة. [٢]

وهكذا التقت المكتشفات العلمية مع ما جاء في القرآن الكريم مع ملاحظة قصور هذه النظريات والمكتشفات عن تفسير الكثير من النقاط.

بالمقابل فإن القرآن الكريم قد سبق كل المعارف الإنسانية والنظريات العلمية بإشارته إلى مثل هذه الحقائق، وحقيقة كون الغبار والغاز أو الدخان – بالمصطلح القرآني الأدق– هو مرحلة من مراحل الخلق.

فسبحان من قال في كتابه الحكيم قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام:

﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾ (فصلت:١١)

---

[١] السماء في القرآن الكريم، ص١١٢ (بتصرف).

[٢] انظر: (الكون في القرآن الكريم) بهاء الدين اليماني، ص٣٦، ٣٧.

# المبحث الرابع: أيام خلق الكون

جاء ذكر أيام خلق الكون في القرآن الكريم في سبعة مواضع، ذَكر فيها سبحانه أيام الخلق إجمالاً أنها ستة أيام، ثم فصَّل هذه الأيام بموضع ثامن في أربع آيات متتاليات من سورة واحدة، وهي سورة فصلت.

وستعرض الباحثة بإذن الله ﷻ أحد المواضع المجملة، ومدلولاتها في كتب التفسير، وكذا آراء المفسرين في الموضع المفصَّل من سورة فصلت، على أن تذكر فيما بعد بعض الدراسات والنظريات العلمية، وتقديرات العلماء لمراحل خلق الكون، وربطها بالآيات القرآنية، في محاولة لفهم مقصود هذه الأيام ومقدارها، مع قناعة الباحثة أنه ومهما كانت الاجتهادات في معرفة مقدار مراحل خلق الكون، وتفاصيلها، سيبقى هذا الأمر في إطار الاجتهاد، أما العلم الأكيد، والحقيقة الكاملة فهي عند خالق الكون وصانعه.

يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ (الأعراف:٥٤).

يقول الإمام الشوكاني: " قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ** ﴾ هذا نوع من بديع صنع الله وجليل قدرته، وتفرّده بالإيجاد، الذي يوجب على العباد، توحيده وعبادته." (١)

أما آراء المفسرين في المقصود باليوم في قوله تعالى: ﴿... **فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ** ﴾ فقد تلخصت بما يلي:

١) قيل: أيام جمعُ يوم، وهو من أيام الدنيا، وهو المدّة التي تُقدر من مبدأ ظهور الشّمس في المشرق إلى ظهُورها في ذلك المكان ثانية، وعلى هذا التّفسير فالتّقدير في ما يماثل تلك المدّة ستّ مرّات، قال مجاهد: أوّلها الأحد، وآخرها الجمعة. (٢)

٢) وقد قيل: إنّ الأيّام هنا، جمع اليوم من أيّام الله تعالى، ومدته ألف سنة، فتكون السّتّة أيام الواردة في الآية الكريمة عبارة عن ستّة آلاف من السّنين؛ نظراً لقوله تعالى:﴿ **وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**﴾ (الحج: ٤٧)

---

(١) فتح القدير، ج٢، ص٢٦٣.

(٢) انظر: (الجامع لأحكام القرآن) القرطبي، م٤، ج٧، ص ١٥٨، (التحرير والتنوير) ابن عاشور، م٥، ج٨، ص١٦٢.

وقوله: ﴿**يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**﴾ (السجدة:٥). [١]

٣) وورد أن معنى ﴿**فِي ستَّةِ أَيَّامٍ**﴾ أي من أيام الآخرة، كل يوم ألف سنة؛ لتفخيم خلق السموات والأرض [٢].

٤) وقيل المراد: في ستّة أوقات، فإنّ اليوم يطلق على الوقت كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ...**﴾ (الأنفال: ١٦) أي حين إذ يلقاهم زَحْفاً، فيكون مقصود الآية أنّ السماوات والأرض خُلقت عالَماً بعد عالم، فاختلفت أوقات تكوينها [٣].

والحكمة من ذكر هذه المدّة ولو أراد خلقها في لحظة لفعل؛ إذ هو القادر على أن يقول لها كوني فتكون، أنه:

- أراد أن يُعلِّم العباد الرفق في الأمور، ولتظهر قدرته للملائكة شيئاً بعد شيء.
- أو أنه أراد سبحانه أن يكون خلق السّماوات والأرض مُدَّرجاً؛ ليكون هذا الخلق مَظْهَراً لصفتي علم الله تعالى وقدرتِه، فالقدرة موجودة لخلقها دفعة، لكنّ العلم والحكمة اقتضيا هذا التّدرج. [٤]

ويقول سبحانه في موضع آخر، يتحدث فيه عن خلق الأرض:

﴿ **قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ* وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ* ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ* فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾ (فصلت:٩-١٢).

وقوله تعالى: ﴿ **قل أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بالَّذِي خَلَقَ الأرْضَ فِي يَوْمَيْنِ** ﴾ من العلماء من قال أنهما يومي الأحد والاثنين[٥]، و﴿**الْأَرْضَ**﴾: هي الكرة الأرضية بما فيها من يابس وبحار، واليومان: تثنية يوم، وهو الفترة التي بين طلوع الشمس من المشرق، وطلوعها ثانية[٦].

---

[١] التحرير والتنوير،ابن عاشور، م٥، ص١٦٢ (بتصرف يسير).

[٢] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي م٤، ج٧، ص١٥٨.

[٣] التحرير والتنوير، ابن عاشور، م٥، ج٢، ص١٦٢(بتصرف يسير).

[٤] انظر: (الجامع لأحكام القرآن) القرطبي، م٤، ص ١٤٠، (التحرير والتنوير) ابن عاشور، ص١٦١.

[٥] جامع البيان، الطبري، م١٢، ج٢٢، ص١٠٣.

[٦] التحرير والتنوير، ابن عاشور، م١١، ص ٢٤٢ (بتصرف يسير).

أما قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ**﴾، فالظاهر أن معنى قوله هنا في أربعة أيام: أي: " في تتمة أربعة أيام، وتتمة الأربعة حاصلة بيومين فقط؛ لأنه تعالى قال:﴿ **قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ** ﴾(فصلت: ٩) ثم قال في أربعة أيام، أي في تتمة أربعة أيام، ثم قال: ﴿ **فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ** ﴾ (فصلت: ١٢) فتضم اليومين إلى الأربعة السابقة، فيكون مجموع الأيام التي خلق فيها السماوات والأرض وما بينهما، ستة أيام. " [١]

والكلمة في القرآن الكريم لها معانٍ كثيرة، وذلك تبعاً للسياق الذي وردت فيه، ومن الأمثلة على ذلك: معنى كلمة يوم الوارد في الآية الكريمة، وهو مدة زمنية نسبية مرتبطة بالمكان والسرعة، كما اكتشف العلماء حديثاً. [٢]

فالزمن نسبي وليس مطلقاً؛ لأنه يتوقف على المكان المقاس فيه الزمن، فعلى سبيل المثال عند مقارنة عمر طفلين مولودين في لحظة واحدة، أحدهما على الأرض، والآخر – فرضاً– على المشتري، فإن الأول يصل إلى سن الستين، بينما يكون عمر الثاني خمس سنوات من سنوات كوكب المشتري، وذلك طبقاً لسرعة دورانه حول نفسه، وحول الشمس، وبهذا فإن الزمن نسبي مرتبط بالحركة أو المكان، ويُشير القرآن الكريم إلى نسبية الزمن في إعجاز علمي رائع بقوله تعالى: ﴿.. **وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ** ﴾ (الحج:٤٧). [٣]

وإشارته سبحانه إلى خلق الكون في ستة أيام، لا تتعارض مع العلم الحديث، ما دام اليوم الإلهي يُمثل مرحلة زمنية، أو طوراً، قد يمتد لآلاف أو ملايين السنيين من سنين الأرض، أو أيامها، طالما أنه سبحانه لم يصف هذه الأيام الست بقوله: ﴿**مِّمَّا تَعُدُّونَ**﴾ في سياق حديثه عن خلق السماوات والأرض. [٤]

ويختلف مفهوم كلمة يوم في القرآن الكريم، تبعاً لسياق الآية الوارد فيها، فمثلاً:

١) اليوم بالنسبة لمن يعيش على الأرض أو اليوم الأرضي، هو المدة الزمنية التي يتطلبها دوران الأرض حول نفسها دورة كاملة، ومدته ٢٤ ساعة تقريباً.

---

[١] أضواء البيان، الشنقيطي، ج٧، ص١١٦.

[٢] من علم الفلك القرآني، د. عدنان الشريف، ص١٤١ (بتصرف).

[٣] الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، د. منصور حسب النبي، ص٩٤ (بتصرف).

[٤] المرجع السابق، ص٩٥ (بتصرف).

٢) واليوم بالنسبة لتدبير أمر الله ﷻ يعادل ألف سنة من أيام الدنيا، وانظر إن شئت إلى قوله تعالى: ﴿**يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ**﴾ (السجدة:٥).

٣) أما يوم القيامة أو يوم الحساب، ففترة زمنية لا يعرف توقيتها ومدتها إلا الخالق.[١]

٤) وأما الأيام الست التي خلق الله – تعالى – بها الكون، فمن الواضح أنها تختلف عن كل هذه المفاهيم التي ذُكرت، بدليل أنه سبحانه لم يذكر مقدارها في أي من المواضع التي تحدث بها عن خلق السماوات والأرض، كما ذكر في مواضع أخرى: كذكر مقدار اليوم الذي يعرج فيه الأمر إليه، كما لم يذكر أنها مما يعد البشر، إذن فاليوم من الأيام الستة التي خلق اللهﷻ بها الكون، يمثل مرحلة زمنية تختلف عن الأيام التي يعدها البشر، ولا يعلمها إلا الله –سبحانه– قد تمتد إلى آلاف أو ملايين السنين.

والواقع أن العلم لم يصل حتى الآن إلى تقسيم دقيق لمراحل خلق الكون، ولم تعدُ محاولاته عن كونها نظريات واجتهادات، أهمها:

**أولاً:** أيام الخلق من منظور العلوم المكتسبة كما ذكرها الدكتور زغلول النجار:

١) مرحلة الجرم الابتدائي الأولي الذي بدأ منه الخلق وهي مرحلة الرتق.

٢) مرحلة انفجار الجرم الابتدائي الأولي (مرحلة الفتق) وتوسع الكون.

٣) مرحلة السماء الدخانية، وفيها تخلَّقت العناصر المختلفة، عبر تخلُّق المادة والمادة المضادة، وتكوُّن أنوية الهيدروجين والهيليوم وبعض الليثيوم.

٤) مرحلة انفصال دوامات من الغلالة الدخانية، وتكثفها على ذاتها بفعل الجاذبية لتكوين كل من الأرض، وباقي أجرام السماء.

٥) مرحلة دحو الأرض، وتكوين أغلفتها الغازية والمائية والصخرية، وبدء تحرك ألواح الغلاف الصخري للأرض، وتكون كل من المحيطات والقارات والجبال، وتكون التربة وبدء دورة الماء حول الأرض، وتسوية سطحها، وخزن الماء.

٦) مرحلة خلق الحياة من أبسط صورها إلى مختلف مستوياتها، وهي مرحلة المباركة وتقدير الأقوات.[٢]

---

[١] انظر: (من علم الفلك القرآني) د. عدنان الشريف، ص١٤١، ١٤٢.

[٢] السماء، د.زغلول النجار، ص١٦٥.

**ثانياً:** تصور علمي لأحقاب نشأة الكون كما نقلها الدكتور عدنان الشريف عن أحد علماء الفلك: قسّم عالم الفلك المعاصر "هيوبرت ريفز" في كتابه: التطور الكوني، مختلف مراحل نشأة الكون وتسويته إلى ست أحقاب زمنية:

١) الحقبة الأولى: هي حقبة الجبلة الأولى التي ابتدأ منها الكون، وفيها تكوّنت جزئيات النواة من اتحاد الكوارك[١] بين بعضها.

٢) الحقبة الثانية: وهي حقبة تكوّن نواة الذرات.

٣) الحقبة الثالثة: تكوّن الذرات والعناصر البسيطة، والغبار على سطح الأرض، وبين النجوم.

٤) الحقبة الرابعة: تكوّن العناصر العضوية في المحيط البدائي.

٥) الحقبة الخامسة: تكوّن الخلايا في المحيط البدائي.

٦) الحقبة السادسة: تكوّن النبات والحيوان في المحيط البدائي والقارات.[٢]

وبالتأمل في الآيات الكريمات يتبين أن الله تعالى قد قسَّم في شرح مفصل الأيام الستة للخلق إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ﴿**خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ**﴾.

القسم الثاني: ﴿**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ**﴾.

القسم الثالث: ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ**﴾

وكل قسم من هذه الأقسام يعادل يومين من أيام الخلق بالمفهوم النسبي للزمن وهي – كما أوضحها الدكتور منصور حسب النبي– كالتالي:

**أولاً:** يومان لخلق الأرض من السماء الدخانية الأولى: وذلك طبقاً لقوله تعالى: ﴿**خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**﴾ (الأنبياء:٣٠) وهذا دليل على أن السموات والأرض كانتا في بيضة كونية واحدة ﴿**رَتْقاً**﴾ ثم انفجرت ﴿**فَفَتَقْنَاهُمَا**﴾.

---

[١] الكوارك: هو أصغر جزئ في الذرة متفق عليه حتى الآن. انظر:(من علم الفلك القرآني) د.عدنان الشريف، ص١٤٥.

[٢] من علم الفلك القرآني، ص١٤٥ (بتصرف يسير).

**ثانياً**: يومان لتسوية السموات السبع: طبقاً لقوله سبحانه: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ، فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ**﴾، وهذا يشير إلى الحالة الدخانية للسماء بعد الانفجار بيومين حيث بدأ بتشكيل السموات فأبدعهن سبع سموات في يومين آخرين.

**ثالثاً**: يومان لتدبير الأرض جيولوجياً، وتسخيرها للإنسان: يقول الله تعالى: ﴿**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا**﴾: مما يشير إلى جبال نيزكية سقطت واستقرت على قشرة الأرض فور تصلبها بدليل قوله تعالى: ﴿**مِن فَوْقِهَا**﴾، ﴿**وَبَارَكَ فِيهَا**﴾: أي أكثر من خيراتها بما جعل فيها من المياه والزروع، ﴿**وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا**﴾: أي قدر أرزاق أهلها ومعاشهم بمعنى خلق فيها أنهارها وأشجارها ودوابها استعداداً لقدوم الإنسان، ﴿**فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ**﴾: أي في تمام أربعة أيام كاملة متساوية. [(١)]

وترى الباحثة أنه يمكن أن يكون مقصود الآية الكريمة في تقسيم مراحل خلق الكون، كما يلي:

إجمالي مدة خلق السماوات والأرض ستة أيام من أيام الله ﷻ كما جاء في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ (الأعراف:٥٤)، مع ملاحظة أن اليوم نسبي تبعاً للمكان والحركة، كما ذُكر سابقاً، فمفهوم وتقدير هذه الأيام الستة يختلف عن مفهوم وتقدير الأيام الأربع التي تحدثت عنها الآيات في سورة فصلت ﴿**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ**﴾ فيوم من الأيام التي قدَّر فيها الله تعالى أقوات الأرض قبل استوائه إلى السماء، سيختلف تقديره عن اليوم من الأيام الستة التي ذكر سبحانه أنه خلق فيهن السماوات والأرض وقضى السموات سبعاً في يومين منها، كاختلاف مقدار اليوم على الأرض عن اليوم على المشتري، وعن اليوم الذي يعرج فيه أمر الله –تعالى–، وفقاً لمفهوم الزمن النسبي الذي بات حقيقة.

لذا فقد يكون المقصود من قوله تعالى في أربعة أيام هو ظاهر ذلك، وليس تتمة أربعة أيام،– كما ذكر غالبية المفسرين – بأن يكون خلقها يومين – وهما نفس اليومين اللذين خلق فيهما

---

(١) الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، د. منصور حسب النبي، ص٢٩٤، ٢٩٥ (بتصرف).

المادة الأساسية للسموات والأرض- وجعْل الرواسي وتقدير أقوات الأرض أربعة أيام ولكن لا يمكن أن يكون تقدير يوم من هذه الأيام الأربعة نفس تقدير اليوم من اليومين من الأيام الست اللذين خلق الله تعالى فيهن الأرض والسماء معا، لذا لم يجمعهما سبحانه وفصل هذين اليومين عن الأربعة، بل وذكر أن الأيام الأربعة سواء أي متساوية فلا يمكن جمعهما مع اليومين الأولين - لاختلافهما واختلاف تقديرهما- أو جمعهما مع اليومين اللذين قضى فيهما السموات سبعاً وفقاً لمفهوم الزمن النسبي، إذن فخلق السماوات والأرض استمر ستة أيام - بمفهومها وتقديرها الخاص الذي لا يعلمه إلا الله تعالى- وهي شاملة:

- يومين لخلق السموات والأرض معاً.
- يومين من الأيام الست لتقدير الأقوات في الأرض وهذا يعطي إشارة إلى أن يومين من الأيام الست التي خلق الله تعالى بهن السموات والأرض مقدارهما مساوي لمقدار الأربعة أيام من أيام الأرض في لحظة تقدير أقواتها.
- ويومين لقضاء السماء سبع سموات.

فيكون خلق الكون قد تم في مراحل ثلاث:

١) مرحلة خلق المادة الأساسية للسموات والأرض وفتقهما.

٢) مرحلة دحي الأرض وتقدير أقواتها وجعل الرواسي فيها وتجهيزها لهبوط الإنسان.

٣) مرحلة قضاء السموات السبع.

فيكون المجموع ستة أيام كما جاءت في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**﴾ (الأعراف:٥٤)

هذا والله تعالى أعلى وأعلم،،

## الفصل الثاني

## آيات وصف السماء وأجرامها والإعجاز العلمي فيها

وفيه مبحثان:

**المبحث الأول: آيات وصف السماء والإعجاز العلمي فيها**

**المبحث الثاني: آيات وصف أجرام السماء والإعجاز العلمي فيها**

# الفصل الثاني

## آيات وصف السماء وأجرامها والإعجاز العلمي فيها

ذُكِرت السماء في القرآن الكريم ثلاثمائة وعشر مرات، جمعاً وإفراداً، كما وردت بأكثر من معنى، فقد يُقصد بها الغلاف الغازي المحيط بالأرض، أو تأتي بمعنى السماء الدنيا المزينة بالكواكب والنجوم والمجرات، وفي بعض المواضع يُقصد بها الكون في جملته – خاصة إذا جاءت بلفظ الجمع–. [١]

أما عن نظرة الناس قديماً للسماء والكون إجمالاً، فتتلخص في أنه يعمل وفق نُظم مودعة في كل من تكويناته بشكل مستقل، تعمل دونما ارتباط واعتماد فيما بينها، وبجمع هذه التكوينات والأجزاء الصغيرة بعضها فوق بعض، يتكون الكون، وأما المُتحكِم بهذه الأجزاء فهي نفوسٌ علويةٌ، وعقولٌ ذاتيةٌ تُسيرها، وهذا ما توصل إليه العقل اليوناني على عهد أرسطو طاليس وأفلاطون.

في حين نفى أصحاب العقيدة الإسلامية أن يكون لهذه الأفلاك أية صفة نفسية خاصة، أو قدرة ذاتية، بل اعتبروها جزءاً من الخلق المسخر للإنسان.

والمتأمل في نتائج الكشوف التجريبية، والنظرة العلمية الحديثة إلى السماء، يجد أيضاً فهماً مختلفاً وأكثر عمقاً ودقة، ولا يمكن مقارنته مع فهم الأقدمين، فبعد استخدام الإنسان للمناظير الفلكية البصرية، وتطور تقنيات الرصد الفلكي باستخدام الأقمار الصناعية والمسابر الفضائية التي تحمل أجهزة ومعدات كشف بالأشعة تحت الحمراء، وأشعة جاما، وغيرها، مكَّنت هذه التقنيات علماء الفلك من تطوير المعرفة العلمية عن أجزاء الكون وحالاته، ويشهد العالم تسابقاً في تطوير هذه التقنيات؛ لاكتشاف المزيد، هذه الكشوف العلمية بالنسبة للمسلمين، هي بمثابة آيات جديدة تشهد بالخلق الدقيق والمترابط والعلاقات والروابط الدقيقة بين أصغر الأشياء في هذا الكون وأكبرها عظماً، مما يجعلها جميعاً وحدة واحدة تشهد على وحدة الخالق[٢].

---

[١] انظر: (السماء) د.زغلول النجار، ص٢٩٧.

[٢] انظر: (خلق الكون بين العلم والإيمان) د. محمد باسل الطائي، ص١١٠، ١١١.

وفـي هذا الفصـل سـتحاول الباحثـة أن ترصـد أهـم الدراسـات الكونيـة الخاصـة بالسـماء وأجرامها، ومـن ثَـم إسقاط هذه الدراسات علـى بعض الآيـات التـي يصـف فيها الله ﷻ السماء وأجرامها، فـي محاولـة لفهمها وفهم ألفاظها، ضـمن مـا تـوفر من دراسـات وحقائق علميـة، ومن جانب آخر إثبات سبق القرآن الكريم للعلوم الكونية في إخباره عن هذه الحقائق، كيف لا وقد جاءت من لدن عليم خبير.

## المبحث الأول: آيات وصف السماء والإعجاز العلمي فيها

وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول: وصفها بذات الرجع**
- **المطلب الثاني: وصفها بذات الحبك**
- **المطلب الثالث: رفعها بغير عمد**
- **المطلب الرابع: وصف طبقات السماء**

## المبحث الأول: آيات وصف السماء والإعجاز العلمي فيها

### المطلب الأول: وصفها بذات الرجع:

وصف الله تعالى السماء بأنها ذات رجع، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَالسَّماءِ ذَاتِ الرَّجْعِ**﴾ (الطارق آية:١١)

وقد نقل الإمام الطبري مجموعة من الآراء حول معنى قوله تعالى: ﴿ **ذَاتِ الرَّجْعِ**﴾ تلخصت فيما يلي:

١) أن المقصود بالآية الكريمة السحاب فيه المطر، وقد نقل هذا الرأي عن ابن عباسﷺ .

٢) القطر والرزق كل عام، وهذا الرأي ورد أيضاً عن ابن عباس ﷺ، وقيل تَرجِع بأرزاق الناس كلّ عام، وقد نقل الإمام الطبري هذا الرأي عن قتادة[١] والحسن، حيث يقول الحسن في قوله تعالى: ﴿**وَالسَّماءِ ذَاتِ الرَّجْعِ**﴾: " تَرجِع بأرزاق الناس كلّ عام، وسُئِل عنها عكرِمة[٢]، فقال: رجعت بالمطر، وعن مجاهد قال: السحاب يمطر، ثم يَرجع بالمطر."[٣]

٣) أن شمسها وقمرها يغيب ويطلُع. [٤]

وقد أضاف الإمام الشوكاني نقلاً عن الزجاج[٥] أن الرجع هو المطر؛ لأنه يجيء ويرجع ويتكرر، وقال بعض المفسرين: ﴿ **ذَاتِ الرَّجْعِ**﴾: ذات الملائكة لرجوعهم إليها بأعمال العباد، وقال بعضهم: معنى ذات الرجع: ذات النفع، ووجه تسمية المطر رجعاً مأخوذ من

---

[١] هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عُزيز أبو الخطاب السدوسي البصري، مفسر حافظ ضرير أكمه، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان رأساً بالعربية ومفردات اللغة، وقد يدلس في الحديث، وُلد عام (٦١هـ–٦٨٠م) وتوفي في واسط بالطاعون عام (١١٨هـ–٧٣٦م). انظر: (الأعلام) الزركلي، ج٥، ص١٨٩.

[٢] هو عكرمة بن عبد الله البربري المدني أبو عبد الله مولى عبد الله بن عباس، تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمقاريء، طاف البلدان وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل، وكانت وفاته بالمدينة عام ١٠٥هـ–٧٢٣م. انظر: (الأعلام) الزركلي، ج٤، ص٢٤٤.

[٣] جامع البيان، م١٥، ج٣٠، ص١٦٣.

[٤] انظر: (جامع البيان) الطبري، م١٥، ج٣٠، ص١٦٣، ١٦٤.

[٥] هو إبراهيم بن السرّي بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة، وُلد عام (٢٤١هـ–٨٥٥م) ومات في بغداد عام (٣١١هـ–٩٢٣م) من كتبه: معاني القرآن، الاشتقاق، وخلق الإنسان. انظر: (الأعلام) الزركلي, ج١،ص٤٠.

ترجيع الصوت، وكذا المطر لكونه يعود مرّة بعد أخرى سمي رجعاً، وقيل: إن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض، ثم يرجعه إلى الأرض، وقيل: لأن الله يُرجعه وقتاً بعد وقت. (١)

ولفظة السماء في القرآن الكريم تأتي بعدة معانٍ، فقد تأتي بمعنى الغلاف الغازي المحيط بالأرض، وقد تأتي بمعنى السماء الدنيا.

**أولاً: السماء بمعنى الغلاف الغازي:**

من المعروف علمياً أن الغلاف الغازي المحيط بالأرض يتكون من سبع طبقات، وأن من خصائص هذه الطبقات إعادة الأشياء على النحو التالي:

١) فهي تُرجِع إلى الأرض بخار الماء المتصاعد إليها من الأرض على شكل المطر.

٢) كما تُرجِع إلى الأرض موجات الراديو الطويلة والمتوسطة، وبعض الموجات القصيرة الآتية من الأرض، كما تعكس نفس هذه الموجات إذا كانت آتية من الفضاء الخارجي وتُرجِعها إليه.

٣) والحزام المغناطيسي الأرضي يُرجِع ويَرُّد إلى الفضاء الخارجي الإشعاعات الكونية الضارة بالحياة والآتية إلى الأرض كأشعة جاما وألفا، والقسم الأكبر من الأشعة الحمراء والمجهولة. (٢)

**ثانياً: السماء بمعنى السماء الدنيا بما فيها من مجرات ونجوم:**

بات من المعروف كحقيقةٍ علميةٍ عند علماء الفلك، أن كل جرم من أجرام السماء الدنيا يمر في دورة حياة تنتهي بالعودة إلى دخان السماء عن طريق الانفجار أو الانتثار، ومن ثم تنشأ نجوم جديدة من هذه الغيمة الدخانية بفعل تكثف بعض المواد، فتتحول إلى نجم هائل متفجر، ما يلبث أن ينفجر ثم يموت؛ ليرجع كما بدأ غيمة كونية، ومن ثم يتكون نجم آخر، وهكذا في دورة متواصلة ما بقيت السماوات والأرض، والله تعالى أعلم.(٣)

وبنظرة سريعة لاعتقاد الناس في عصر نزول القرآن الكريم عن الماء ونزوله من السماء، حيث كان اعتقادهم مبنياً على نظرية فلاسفة الإغريق، وهي أن الماء مُحتجَز في السماء، يُنزِله إله المطر إلى الأرض عندما يريد، ولسوف يأتي يوم ينتهي فيه مخزون الماء في السماء، فينقطع المطر، ولم يكن مفهوماً مصدر ماء السماء حتى اكتشف العلماء في عصور

---

(١) فتح القدير، ج٥، ص٣٥٠، ٣٥١ (بتصرف يسير).

(٢) من علم الفلك القرآني، د. عدنان الشريف، ص٦٠، ٦١ (بتصرف).

(٣) من علم الفلك القرآني، د.عدنان الشريف، ص٦١ (بتصرف).

العلم المتقدمة، دورة حياة الماء بين السماء والأرض، والتي تتلخص في أن أشعة الشمس تسبب تبخر الماء من سطح البحار، ويصعد هذا البخار إلى طبقات الجو العليا، فيتكثف ويصير سحاباً ثم يرجع إلى الأرض مطراً، فالماء الذي تبخر من الأرض إلى السماء رجع من السماء إلى الأرض مرة أخرى.(١)

أما في حالة كون المقصود بالسماء في الآية الكريمة، السماء الدنيا وما فيها من نجوم ومجرات وما بينهما من غيوم، فكل شيء في السماء يرجع إلى ما كان عليه، كما أثبتت الحقائق العلمية وحديثها عن دورة حياة النجوم ورجوعها إلى أصلها، ومن ثم تتكون نجوم جديدة وهكذا في دورات متتالية.

من خلال عرض الحقائق العلمية المرتبطة بمفهوم الآية الكريمة، يتبين السبق القرآني لحقيقة اتصاف السماء بصفة الرجع، بل إن منطوق الآية القرآنية يشمل مفهوماً أوسع من كون المقصود بالرجع، رجع المطر فقط، إذ كان التعبير القرآني والسماء ذات الرجع، وليس ذات المطر، فيدخل في مفهومها حقيقة رد الغلاف الغازي المحيط بالأرض لموجات الراديو الطويلة والقصيرة، ورده لموجات الغاز غاما الضارة والأشعة الكونية بأنواعها المختلفة وإرجاعها ومنعها من الوصول إلى الأرض، ومثل هذه الحقائق لم تُعرف إلا بعد غزو الفضاء في القرن العشرين، أي بعد أكثر من أربعة عشر قرناً من نزول هذا اللفظ المُحْكم.

ومن المؤكد أن الآية الكريمة تشمل مفاهيم أوسع وأعمق تَعُم الكون كله، فقد يكون مقصود السماء الكون –بسماواته وأراضيه السبع– ، والتي لم يتوصل العلماء إلا لجزء يسير لم يتعدَّ ١٠% من الجزء المدرك منه، في زمن يشهد تسابق حثيث لاستكشاف أسراره ومكنوناته، وكلما تكشفت هذه الأسرار، ازداد يقين المؤمن بأن هذا الكتاب به من الأسرار ما يَعجز أمامها المنصف العاقل، فما يلبث عن شهادة الصدق بأنه من عند خالق هذا الكون ومُدبره ومَن صدق بقوله سبحانه:

**﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾** (النجم:٣-٥)

---

(١) فتح العليم في تفسير القرآن الكريم وبيان أوجه الإعجاز العلمي فيه، أ.د. أحمد شوقي إبراهيم، ج٣٠، ص٣٤٠ (بتصرف).

**المطلب الثاني: وصفها بذات الحبك:**

فقد وصف الخالق سبحانه السماء بأنها ذات حبك، وذلك في قوله تعالى: ﴿**والسماء ذات الحبك** ﴾ (الذاريات:٧).

يقسم المولى سبحانه وتعالى بالسماء المنسقة المحكمة التركيب، وقد تكون هذه إحدى هيئات السحب في السماء حين تكون مجعدة تجعد الماء والرمل إذا ضربته الريح، وقد يكون هذا وضعاً دائماً لتركيب الأفلاك ومداراتها المتشابكة المتناسقة. [١]

وقد لخص الإمام القرطبي الآراء الواردة في معنى لفظة الحُبك فيما يلي:

١) ذات الخَلق الحسن المستوي، قاله ابن عباس وقتادة ومجاهد: وقال عكرمة: ألم تر إلى النسّاج إذا نسج الثوب فأجاد نسجه؛ يقال منه حَبَك الثوبَ يَحبِكُه بالكسر حَبْكاً أي أجاد نسجه، ومثله قال ابن الأعرابي[٢]: كل شيء أحكمته وأحسنت عمله فقد احتبكته.

٢) ذات الزينة؛ قاله الحسن وسعيد بن جبير.

٣) ذات النجوم، وقد نُقل عن الحسن أيضاً.

٤) وقال الضحاك[٣]: ذات الطرائق؛ يقال لما تراه في الماء والرمل إذا أصابته الريح حُبُك.

٥) أن المراد بالطرق المَجرّة التي في السماء؛ سميت بذلك لأنها كأثر المَجَرّ. [٤]

ومن خلال العرض السابق لأقوال المفسرين، يتبين أن هناك عدة آراء في معنى كلمة حُبك، أهم هذه الآراء بالنسبة لموضوع البحث: الرأي القائل بأنها تعني: ذات الطرائق، والمتقنة البنيان.

**أولاً: الرأي القائل بأن ذات الحبك بمعنى ذات الطرائق:**

من الأمور المبهرة حقاً للعلماء كثرة الأجرام في الجزء المدرك من السماء الدنيا ففي الكون طرائق كثيرة منها أفلاك (orbites) أي مسارات الكواكب والنجوم والسُّدم، حيث تجري

---

[١] في ظلال القرآن، سيد قطب، م٦، ص٣٣٧٣، ٣٣٧٤ (بتصرف يسير).

[٢] محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي، أبو عبد الله، راوية، علّامة باللغة من أهل الكوفة، له تصانيف كثيرة منها: تاريخ القبائل، وأبيات المعاني، ولد في( ١٥٠هـ-٧٦٧م)، وتوفي في (٢٣١ هـ-٨٤٥م). انظر: (الأعلام) الزركلي، ج١، ص٢٣٠

[٣] هو الضحاك بن مزاحم البلخي الخرساني، أبو القاسم: مفسّر، وله كتاب في التفسير، كان من أوعية العلم، وليس بالمجود لحديثه، وهو صدوق في نفسه، قال سفيان الثوري عنه: كان الضحّاك يُعلّم ولا يأخذ أجراً، توفي في خراسان عام (١٠٥هـ-٧٢٣م) . انظر: (سير أعلام النبلاء) الذهبي، ج٤، ص٥٩٨، ٥٩٩ ، (الأعلام) الزركلي، ج٣، ص٢١٥.

[٤] انظر: (الجامع لأحكام القرآن) القرطبي، م٩، ج١٧، ص٢٢ ،٢٣.

هذه الأفلاك في مسارات متعددة متباينة المستويات، حتى على مستوى الجرم الواحد، دون أدنى قدر من التضارب أو التصادم؛ إلا بالقدر المقنن، والمحسوب بدقة لحكمة معينة، فمثلاً هناك طريقٌ تسير فيها الأرض في مسار بيضاوي حول الشمس، طوله التقريبي ٩٦٠٠ مليون كم، من دون أن يصطدم بها بلايين النجوم والكواكب.

أما إن كان مقصود السماء في الآية الكريمة السماء أي الغلاف الجوي الأرضي، فهناك عدة حقائق مرتبطة بهذا السياق:

١) فهناك طرائق تمنع الأشعة الكونية القاتلة وملايين الشهب الحارقة عن الأرض.

٢) وطرائق تنظف الأرض من الغازات الضارة المتصاعدة منها.

٣) وطرقاً كشفها الإنسان، واستطاع أن يسلكها بطريقه إلى استكشاف الكون في القرن العشرين.[١]

" فكل مركبة فضائية يجب أن تسير في مسار معين خلال انطلاقها من الأرض ونفاذها من الغلاف الجوي المحيط بها، وخلال رجوعها إلى الأرض، وإلا احترقت أو بقيت في الفضاء الخارجي، كما أن بعض طبقات الغلاف الجوي تلعب دور الطرق بتحويلها مسار الإشعاعات الكونية المضرة بواسطة طبقة الحزام المغناطيسي الأرضي، قبل أن تصل إلى الأرض، وقد كشف العلم مؤخراً منذ سنوات أن في الطبقات السفلى من الغلاف الجوي طُرقاً ومنافذ سميت بمواسير التنفيس وهي أشبه بمواسير تنفيس غازات الاحتراق في المحركات والمعامل، وظيفتها أن تُخلّص جو الأرض وتُنقيه من الغازات المتأتية من انفجار البراكين واحتراق النفايات ودخان المعامل والمحركات." [٢]

**ثانياً: الرأي القائل بأن ذات الحبك بمعنى ذات الترابط الشديد المتقن البنيان:**

إن هذه الأعداد المذهلة من الأجرام السماوية التي عرفها الإنسان في الجزء المدرك من السماء الدنيا، لابد لها من قوة جعلها الله سبحانه بقدرته وحكمته سبباً لتعمل على إحكام تماسكها وترابطها، وسبحان القائل: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾** (فاطر: ٤١).

---

[٢] انظر: (من علم الفلك القرآني) د. عدنان الشريف، ص٦٢، (السماء) د. زغلول النجار، ص٣٢١.

[٢] من علوم الأرض القرآنية، د.عدنان الشريف، ص٧٢، نقلاً عن: مجلة " العلم والإيمان" الفرنسية ( عدد آذار ١٩٨٦ ص٦٨).

هذه القوى استطاع الإنسان التعرف على شيء منها، وهي باختصار:

١) القوى النووية الشديدة: وهي القوى التي تقوم بربط الجسيمات الأولية للمادة في داخل نواة الذرات، وهي أشد أنواع القوى المعروفة للإنسان في مادة الجزء المدرك من الكون.

٢) القوة الذرية الضعيفة: وتعمل على تفكك الجسيمات الأولية للمادة في داخل الذرة وهي تؤثر على جميع أنواع تلك الجسيمات.

٣) القوة الكهرومغناطيسية: وتؤدي إلى حدوث الإشعاع الكهرومغناطيسي بموجاته المختلفة ( جاما، الراديو، السينية، الفوق بنفسجية، وغيرها) وهي تؤثر في جميع التفاعلات الكيميائية.

٤) قوة الجاذبية: اكتشفها إسحاق نيوتن وهي أضعف القوى المعروفة على المدى القصير لأنها لا تُرى، ولكن نظراً لطبيعتها التراكمية فهي تتزايد باستمرار حيث تمسك بمختلف أجرام السماء وتجمعاتها بإرادة الله الخالق سبحانه وتعالى، وتحدد أبعادها عن بعضها في التجمع النجمي الواحد بالاتزان الدقيق بين قوى الجاذبية والقوة الطاردة المركزية الناتجة عن دوران تلك النجوم. (١)

بعد هذا العرض العلمي فإنه لو اطلع الإنسانُ على شيء من حقائق علم الفلك، ثم خلا بنفسه وتفكر في عوالم النجوم والمجرات، لعلِم أن ما يراه من النجوم ما هو إلا جزء يَسير من مئة مليار مجرة أُحصِيت حتى الآن، يتألفُ أصغرها من عشرة ملايين نجم، ويصل تعداد نجوم بعضها إلى آلاف المليارات، وكلها تدور في مسارات خاصة لا تصادم ولا تضارب بينها، وكل في فلكه يَسبَح في رِباط وثيق، أهم عناصره القوى الأربعة التي تحدث عنها العلماء، وأهمها قوة الجاذبية التي سخرها الله ﷻ لتمسِك بمختلف أجرام السماء، وتُحدِد أبعادها عن بعضها، ولو زال هذا الرباط المُحْكَم الذي أوجده الخالق سبحانه بعلمه وحكمته، لانفرط عقد هذا الكون، فسبحان القائل في كتابه العزيز:

﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (الحج:٦٥)

والقائل أيضاً: ﴿**أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ** ﴾ (ق:٦).

---

(١) انظر: ( السماء) د. زغلول النجار، ص٣١٩، ٣٢٠ ، (بناء الكون) د.هشام طالب، ص٢١٧.

وترى الباحثة أن الناظر في الآية الكريمة يتجلى له دقة الوصف القرآني للسماء، فمن خلال عرض الدراسات العلمية السابقة، يتبين أن هناك العديد من المعاني التي يُمكن إسقاطها على الآية.

فلو أُرِيدَ بالسماء الغلاف الجوي الذي يعلو الأرض- على رأي البعض- فيُمكن إسقاط معنى ذات الحُبك -أي ذات الطرائق- على الطرائق الخاصة بمنع أشعة الكون الضارة من المرور إليها، أو الطرائق التي تتخلص عن طريقها الأرض من الغازات الضارة الصاعدة منها، كما يُمكِن أن يُفْهم من الوصف القرآني الطرائق التي سلكها الإنسان للولوج إلى الفضاء الخارجي.

وإن كان مقصود السماء في الآية الكريمة السماء الدنيا، بما فيها من مجرات وأجرام، فحقيقة القوى الأربعة المعروفة حتى الآن، هي أقرب ما يمكن إسقاطه على المفهوم الثاني للحُبك، أي المُحْكم البنيان، المُترابط فيما بينه.

وفي الحالتين، ومن خلال ما سبق، يتجلى الجانب المُعجِز في الآية الكريمة والدقة البالغة الجامعة لكل صفات السماء، وما بها من طرائق وقوى تربط بين أجرامها، وهذا كله لم يعرفه الإنسان إلا في العقود المتأخرة.

مع تأكيد الباحثة أن هذا ليس منتهى الفهم للوصف القرآني، فقد يأتي زمان يرى فيه الناس مفهوماً أوسع مما فهمه العقل البشري المعاصر، وتتكشف للعلماء المزيد من خصائص السماء، ومفاهيم أكثر لقوله تعالى: ﴿ **والسماءِ ذات الحُبك** ﴾ فالمعرفة الإنسانية والعلوم الفلكية تتسع مع تطور التقنيات والوسائل، ولكن يَظل اللفظ القرآني هو الأدق والأكثر شمولاً، والمهيمن على كل المعارف مهما اتسعت وتطورت، فهو كلام الخالق المدبر لهذا الكون صاحب الوعد بالمزيد، حيث يقول سبحانه:

﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ (فصلت:٥٣).

**المطلب الثالث: رفْعَها بغير عمد:**

وصف الله تعالى السماء بأنها مرفوعة من غير عمد، وذلك في آيتين من كتاب الله وهما: قوله سبحانه: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ** ﴾(الرعد:٢)

وقوله عزَّ من قائل: ﴿ **خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ** ﴾ (لقمان:١٠).

أي: الله يا محمد هو الذي خلق السماوات السبع ورفعها بغير عمد ترونها، فجعلها للأرض سقفاً محفوظاً، والعمد جمع عمود، وهي السواري، وما يُعْمَد به البناء.[١]

والسماوات أياً كان مدلولها وأياً كان ما يدركه الناس من لفظها في شتى العصور، معروضة على الأنظار، هائلة، ولا شك، حين يخلو الناس إلى تأملها لحظة، وهي هكذا لا تستند إلى شيء، مرفوعة ﴿ **بِغَيْرِ عَمَدٍ** ﴾ مكشوفة ﴿ **تَرَوْنَهَا** ﴾.

هذا المشهد الذي يقف عليه الإنسان عاجزاً أمام هذا المشهد الهائل يتملاه؛ ويدرك أنه ما من أحد يقدر على رفعها بلا عمد، أو حتى بعمد ، إلا الله؛ وقصارى ما يرفعه الناس بعمد أو بغير عمد تلك الأبنية الصغيرة الهزيلة القابعة في ركن ضيق من الأرض لا تتعداه، ثم يفخر الناس عما في تلك البنيان من عظمة وإتقان، غافلين عما يشملهم ويعلوهم من سماوات مرفوعة بغير عمد؛ وعما وراءها من القدرة والعظمة، والإتقان الحق[٢].

أما الآراء الواردة في العمد بكتب التفسير، فتتمثل في الآتي:

١) لها عَمَد ولكن لا تُرى، وورد هذا القول عن ابن عباس حيث نقل الإمام الطبري قولاً عن عكرمة، قال: قلت لابن عباس: إن فلاناً يقول: إنها على عَمَد، يعني السماء؟ قال: فقال: اقرأها ﴿**بغيرِ عَمَدٍ تَرَونها**﴾: أي لا ترونها، وعن ابن عباس أيضاً، قوله: ﴿ **رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**﴾ قال: ما يدريك لعلها بعمد لا ترونها؟.

---

[١] جامع البيان، م٨، ج١٣، ص١٠٧ (بتصرف).

[٢] في ظلال القرآن، سيد قطب، م٤، ص٢٠٤٤ (بتصرف يسير).

٢) وقال آخرون: مرفوعة بغير عمد، وهو عن قتادة وإياس بن معاوية[١] حيث قال: ﴿**رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها**﴾ أي: السماء مقببة على الأرض مثل القبة. [٢]

أما الدراسات الكونية الواردة في موضوع الآية، فهي تشير إلى وجود قوى مستترة في اللبنات الأولية للمادة، وفي كل من الذرات والجزيئات، وفي كافة أجرام السماء تَحْكُم هذه القوى بناء الكون، وتمسك بأطرافه، ومنها ما تعرف عليه العلماء: أربع صور يعتقد بأنها أوجه متعددة لقوة عظمى واحدة تَسْرِي في مختلف جنبات الكون، هذه القوى الأربع هي الدعائم الخفية التي يقوم عليها بناء السموات والأرض، وقد أدركها العلماء من خلال آثارها الظاهرة والخفية في كل أرجاء الكون المدرك. [٣]

وأهم هذه القوى، قوة الجاذبية، فلها الدور الأكبر في بناء السموات والأرض – بإذن الله ﷻ –، فهي تعمل بين الأجسام الكتلية كحامل لها، والجاذبية هي التي تمسك الأرض، وكل كواكب ونجوم المجموعة الشمسية من أن تسقط، وتنظم حركتها ودورانها، بحيث يكون كل جرم بمثابة لبنة في بناء تتماسك أركانه السابحة في الفراغ بواسطة قوى مركزية طاردة وجاذبية عالية الفعالية، هي بمثابة غراء غير منظور يُمسِك به الله – سبحانه– هذا البناء الهندسي الكوني الهائل. [٤]

" وقد يُمثِّل الفيض المغناطيسي والجاذبي الذي ينتج عن الدوران في مسارات شبه دائرية أو قطاعات ناقصة، الأعمدة القائمة التي لا نراها، بل يمكن قياسها وتقديرها، كما أبلغنا العلماء أنهم قاسوا محيط الأرض، والمسافة التي تبعد بين الأرض والقمر، والأرض والشمس، وجعلوا للأرض خطوطاً وهمية – العرض والطول– وحددوا سبع طبقات لغلافها الجوي."[٥]

فسبحان من أمسك السماء، وسخر فيها ما يمنعها من أن تقع على من تحتها القائل في كتابه العزيز: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (الحج:٦٥).

---

[١] هو إياس بن معاوية بن قرة المزني، أبو واثلة: قاضي البصرة، وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء، وُلد عام (٤٦هـ–٦٦٦م) وتوفي بواسط عام(١٢٢هـ–٧٤٠م). انظر: (الأعلام) الزركلي، ج٢، ص٣٣.

[٢] انظر: (جامع البيان) الطبري، م٨، ج١٣، ص١٠٧، ١٠٨ ، (تفسير القرآن العظيم) ابن كثير، م٢، ص٢٦٨.

[٣] انظر: (السماء) د. زغلول النجار، ص٣٤٨، ٣٤٩.

[٤] بناء الكون، د.هشام طالب، ص٢١٨( بتصرف).

[٥] المرجع السابق، ص٣٤١.

**المطلب الرابع: وصف طبقات السماء:**

يصف الله تعالى طبقات السماء بقوله تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ**﴾ (الملك:٣).

وقوله ﷻ: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا**﴾ (نوح:١٥).

حيث يقول تعالى ذكره: ﴿ **الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِباقاً** ﴾ أي: طبقاً فوق طبق، بعضها فوق بعض وسماء فوق سماء غلظ كل سماء خمسمائة عام من غير مماسه، ﴿**ما تَرَى في خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفاوُت**﴾: ما ترى في خلق الرحمن الذي خلق لا في سماء ولا في أرض، ولا في غير ذلك من تفاوت وتباين أو عدم تناسب ﴿**فارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ**﴾ يقول: فَرُد البصر، هل ترى فيه من صُدوع أو شقوق؟. [١]

وقال ابن عباس والسُّدي[٢]، في معنى ﴿**طِبَاقاً**﴾ أي: " بعضها فوق بعض، كل سماء مطبقة على الأخرى كالقباب، وعن الحسن، قال: خلق الله سبع سموات طباقاً على سبع أرضين، بين كل أرض وأرض، وسماء خلق وأمر."[٣]

قد يُراد بأطباق السماء أحد معنيين: الغلاف الجوي للأرض أو الكون:

فإذا كان المقصود بالسماء هنا الغلاف الجوي، يُمكن تأويل أطباق السماء بطبقات الغلاف الجوي السبعة التي اكتشفها العلم، وهي: تروبوسفير، ستراتوسفير، ميزوسفير، ترموسفير، أيونوسفير، اكسوسفير، ماغناتوسفير.[٤]

والجدير بالذكر أنه وحتى القرن السابع عشر، اقتصرت معرفة الإنسان للغلاف الجوي الأرضي، على ما كتبه أرسطو وعلماء اليونان، أن الكون يتألف من أربع طبقات: طبقة الأرض الصلبة، طبقة الماء، طبقة الهواء، وطبقة النار، وبدأ استكشاف الطبقة الأولى من الغلاف الجوي في سنة١٦٤٤م مع (توريشيلي الإيطالي) باكتشاف مبدأ الباروميتر، وفي القرن الثامن عشر والتاسع عشر، ومع اكتشاف المنطاد والأقمار الصناعية تعرف الإنسان على طبقات الغلاف الجوي، والتي قسّمها العلماء إلى خمس مناطق فيها سبع طبقات. [٥]

---

[١] انظر: (جامع البيان) الطبري، م١٤، ج٢٩، ص٤ ، (روح البيان) الإمام الشيخ إسماعيل حقّي بن مصطفى الحنفي الخلوتي البروسوي، ج١٠، ص٧٩.

[٢] هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الإمام المفسر أبو محمد الحجازي ثم الكوفي الأعور السُّدي أحد موالي قريش، مات سنة ١٢٧هـ. انظر: (سير أعلام النبلاء) الذهبي، ج٥، ص٢٦٤، ٢٦٥.

[٣] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، م٩، ج١٨، ص١٩٧.

[٤] انظر: (بناء الكون) د. هشام طالب، ص٣٤٥-٣٤٨.

[٥] من علوم الأرض القرآنية، د. عدنان الشريف، ص٦١ (بتصرف).

وهذا يُثْبِت سَبْق القرآن الكريم بالإخبار عن هذه الطبقات التي لم تُعرف إلّا في أواخر القرن السابع عشر.

أما إذا أُريد بالسماء الكون، أو الفضاء خارج الغلاف الجوي، فإن أطباق السماء هنا يُقصد بها السموات السبع متطابقة فوق بعضها البعض، كما نصَّت الآيات القرآنية في مواضع عدة.

وترى الباحثة أن حقيقة وجود سبع سموات طباقاً، لا يُمكن للعلم إدراكها، أو كشف ماهيتها وأسرارها، إلا أن يشاء الله تعالى؛ لأن قدرة التقنيات العلمية لا تتعدَّ كشف ماهية ما تحويه السماء الدنيا، بل إن معرفة الإنسان عنها، لا تتعدَّ ما نسبته ١٠% فقط.

أما عقيدة المسلم فهي مُؤمنة مُوقِنة بحقيقة أنّ الله تعالى خلق السموات سبعاً، جعلها متطابقة فوق بعضها البعض، ما دام أن القرآن الكريم أخبر بوجودها، وتحدث عن صفتها، وهو مصدر العلوم وكلام خالق هذا الكون وموجده، كما كان إيمانها بتحقق القسم القرآني بركوب طبقات السماء في قوله تعالى:

﴿ **فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ، وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ، وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ، لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ**﴾ (الانشقاق:١٦-١٩)، حيث أقسم المولى سبحانه في الآية الكريمة بالشفق والليل والقمر، بأن الإنسان سيركب طبقاً عن طبق، فقوله تعالى: ﴿ **لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ** ﴾: أي: لتعانون حالاً بعد حال، وفق ما هو مرسوم لكم من تقديرات وأحوال، ويعبر عن معاناة الأحوال المتعاقبة بركوبها، وكأن هذه الأحوال مطايا يركبها الناس واحدة بعد واحدة، وكل منها تمضي بهم وفق مشيئة الله تعالى الذي يقودها ويقودهم في الطريق، فتنتهي بهم عند غاية تؤدي إلى رأس مرحلة جديدة، مقدرة كذلك مرسومة، كتقدير هذه الأحوال المتعاقبة على الكون من الشفق، والليل وما وسق، والقمر إذا اتسق، حتى تنتهي بهم إلى لقاء ربهم. [1]

كما يمكن أن يكون مقصود الآية الكريمة بالطبق هنا أي طبقة من طبقات الغلاف الجوي أو السماء، وهو أحد مفاهيم السماء التي قال بها العلماء، وهذا ما تحقق بعد أكثر من أربعة عشر قرناً من التنزيل.

---

[1] في ظلال القرآن، سيد قطب، م٦، ص٣٨٦٩ (بتصرف يسير).

ففي٢١ تشرين الثاني ١٧٨٣ م انتقل الفرنسي روزيه بواسطة المنطاد من الأرض إلى طبقة الغلاف الجوي الأولى، وفي عام ١٩٦٥م ركب أول إنسان الفضاء الخارجي، إذ مشى الرائد ألكسي ليونوف خلال ١٢ دقيقة على طبق الفضاء الخارجي بعيداً عن جاذبية الأرض، بواسطة مركبة فوسكود، وبعدها كان الحدث الأكبر في تموز ١٩٦٩م حيث انتقل الرائدان أرومسترونغ وألدرين من الأرض إلى القمر، وشاهد ذلك الملايين من الناس، وشهد ١٤ أيار من العام ١٩٧٣م إرسال الولايات المتحدة الأمريكية أول محطة فضاء أسمتها مختبر الفضاء(Skylab)، وأخيراً يُخطط علماء الفلك الآن لبناء محطات فضائية عملاقة سابحة في الفضاء الخارجي، لكي ينتقل الإنسان منها إلى كواكب أخرى. [١]

وبذلك يتبين بما لا يَدعُ مجالاً للشك الإعجاز القرآني التاريخي في إخبار الآية القرآنية وتحديها بأن الإنسان سيركب طبقاً عن طبق.

﴿ **فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ** ﴾ (الانشقاق:٢٠، ٢١)

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.

---

[١] من علم الفلك القرآني، د. عدنان الشريف، ص ١٢٨، ١٢٩ (بتصرف).

## المبحث الثاني: آيات وصف أجرام السماء، والإعجاز العلمي فيها

وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول: الشمس والقمر**
- **المطلب الثاني: الليل والنهار**
- **المطلب الثالث: النجوم**
- **المطلب الرابع:الشهب والنيازك**

## المبحث الثاني: آيات وصف أجرام السماء، والإعجاز العلمي فيها

**المطلب الأول: الشمس والقمر:**

ورد ذكر الشمس والقمر في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، فقد ذُكرت الشمس في ثلاثين موضعاً، أما القمر فقد ورد ذكره في خمس وعشرين موضعاً، وستحاول الباحثة في هذا المطلب بإذن الله ﷻ تناول أبرز المواضع التي تهم موضوع البحث، وهي ما تحَّدث فيها سبحانه عن تسخير هذين الجرمين لأهل الأرض وصفتهما، والحكمة من تسخيرهما لهم.

ومنها قوله تعالى واصفاً الشمس والقمر:

﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ (يونس:٥).

وقوله سبحانه: ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَموَاتٍ طِباقاً وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً** ﴾ (نوح:١٦).

فالآيتان تصفان آيات الله تعالى الدالة على الصانع المتقن من خلال بيان أحوال الشمس والقمر الدالة على التوحيد من جهة الخلق والإيجاد، وعلى إثبات المعاد من جهة كونهما أداة لمعرفة السنين والحساب، حيث جعل سبحانه الشمس في النهار ضياء للكون، ومصدراً للحياة، وإشعاع الحرارة الضرورية للحياة، وجعل القمر نوراً في الليل، يبدد الظلمات، وقدَّر مسيره في فلكه منازل. [(١)]

أما معنى قوله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً﴾** أي: هو الذي أضاء الشمس وأنار القمر، والضياء أقوى من النور؛ فلذا جعله للشمس. [(٢)]

وقد فسَّر الإمام الطبري قوله تعالى:﴿ **وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً** ﴾: " أي وجعل القمر في السموات السبع نوراً، وَجَعَلَ الشَّمْسَ فيهن سراجاً"[(٣)]، وأما السراج فهو ما يستضاء به، فالشمس يستضيء بها أهل الأرض، والسراج ما كان ضوءه من ذاته[(٤)].

ولقد أثبتت الدراسات الكونية أن القمر تابع صغير للأرض، لا ينبعث منه ضوء من تلقاء نفسه؛ لأنه ليس ملتهباً متوهجاً توهجاً ذاتياً كالشمس، وهو جرم بارد يعمل عمل المرآة

---

(١) التفسير الوسيط، د. وهبه الزحيلي، ج٢، ص٩٤٢،٩٤٣.

(٢) انظر: (جامع البيان) الطبري، م٧، ج١١، ص١٠٣، (مدارك التنزيل) م٢، ص٤٥٣.

(٣) جامع البيان، م١٤، ج٢٩، ص١٠٢.

(٤) تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، م١٥، ص٦١٠٩ (بتصرف).

العاكسة، إذ يعكس جزءاً من ضوء الشمس الساقط عليه إلى الأرض، ولهذا فنوره أضعف من ضوء الشمس ٤٣٧ ألف مرة، ولولاه لكانت ليالي الأرض معتمة أبد الدهر. وأكد هذه الحقيقة علماء الفلك حينما هبطوا على سطح القمر في عامي ١٩٦٩م و١٩٧١م، بأخذ عينات من صخوره وتحليلها، فتبين لهم أن النور المنبعث من القمر ليس ذاتياً، بل هو انعكاس للضوء المنبعث من كتلة الشمس النارية. (١)

ولقد ميَّز الله ﷻ في الآية الكريمة بين الضياء والنور، فعبر عن ضوء الشمس الذاتي بالضياء، وعن نور القمر بالنور، فكانت الشمس ضياءً لانبعاث الضوء منها، وكان القمر نوراً؛ لأنه يعكس ضوء الشمس.

كما وفرَّق القرآن بينهما في العديد من المواضع الأخرى، فعبّر عن كل مصدر للنور المشع بذاته بالضياء، وعن كل انعكاس ومتلقٍ للإشعاعات بالنور، ففي سورة البقرة مثلاً يقول الله تعالى: ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ** ﴾ (البقرة:١٧).

فالنار تولد ضوءاً ذاتياً فقال: ﴿ **أَضَاءتْ**﴾ والمتلقي لذلك الضوء عبرت عنه الآية بالنور، فالجسم المشع يضئ، والمتلقي يتنوَّر بذلك الضوء. (٢)

ومن خلال ما سبق، ترى الباحثة أنه يتبين دقة اللفظ القرآني في تفريقه بين النور والضياء، وقد تجلى هذا الفرق من خلال استعراض العديد من الآيات في القرآن الكريم التي يُفرق الله ﷻ فيها بين الضياء والنور.

" فالضياء هو الذي ينبثق مباشرة من جسم مشتعل مضيء بذاته وحين يسقط هذا الضياء على جسم معتم ينعكس نوره."(٣)

وهذه الحقيقة لم تُعرف إلا حينما هبط الإنسان على القمر وفحص صخوره وعاينها وتبين له أن مصدر نوره ليس ذاتياً، وإنما ناتج عن انعكاس ضوء الشمس عليه، فكانت الشمس ضياءاً والقمر نوراً في التعبير القرآني منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، والتساؤل المطروح هل

---

(١) انظر: (المعارف الكونية بين العلم والقرآن) موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء، القسم الأول، إشراف الدكتور منصور حسب النبي، ص١٦٢.

(٢) الكون في القرآن الكريم، بهاء الدين اليماني، ص٢٢٢، ٢٢٣ (بتصرف).

(٣) من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ج١، ص٥٨.

بإمكان أحد في ذلك الزمن أن يفرق بين الضياء والنور هذا التفريق العلمي الدقيق إلا أن يكون من عند الخالق سبحانه؟

ويؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في العديد من الآيات القرآنية، منها:

قوله تعالى:﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً**﴾ (الفرقان:٦١)، وقوله سبحانه: ﴿ **وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً** ﴾ (النبأ:١٣).

ولقد شاءت حكمة الخالق سبحانه أنه سخر القمر للإنسان، وقدره منازل لحكمة جليلة بينها سبحانه بقوله: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ (يونس:٥)، وقوله عزَّ من قائل: ﴿ **وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ** ﴾ (يس:٣٩).

وتقدير القمر، أي وقدر مسيره منازل، كقوله:﴿**والقمر قدرناه منازل**﴾ (يٰس:٣٩) لا يجاوزها؛ لتعلموا عدد السنين، وانقضاء ما يستقبل منها وحسابها، وحساب أوقات السنين والآجال، وعدد أيامها وحساب ساعات أيامها. [١]

ويقول الإمام الطبري: " تأويل الكلام: وآية لهم، تقديرنا القمر منازل للنقصان بعد تناهيه وتمامه واستوائه، حتى عاد كالعرجون القديم، والعرجون: من العذق من الموضع النابت في النخلة إلى موضع الشماريخ، وإنما شبهه جلّ ثناؤه بالعرجون القديم، والقديم هو اليابس، لأن ذلك من العِذْق، لا يكاد يوجد إلا متقوّساً منحنياً إذا قدم ويبس، ولا يكاد أن يُصاب مستوياً معتدلاً، كأغصان سائر الأشجار وفروعها، فكذلك القمرُ إذا كان في آخر الشهر قبل استسراره، صار في انحنائه وتقوّسه نظير ذلك العرجون."[٢]

وقد أورد الإمام الطبري في معنى العرجون ما يلي:

١) العذقَ اليابس، وقد ورد هذا الرأي عن ابن عباس ومجاهد.
٢) كعِذْق النخلة إذا قدُم فانحنى، وذكر ذلك الحسن، وقتادة حيث قال: قدّره الله منازل، فجعل ينقص حتى كان مثل عذق النخلة، شبهه بعذق النخلة.
٣) النخلة القديمة، وورد ذلك عن عكرمة[٣].

---

[١] انظر: (جامع البيان) الطبري، م٧، ج١١، ص١٠٣، (مدارك التنزيل) النسفي، م٢، ص٤٥٣.

[٢] جامع البيان، م١٢، ج٢٣، ص٨.

[٣] انظر: (المرجع السابق) ج٢٣، ص٩.

وقد اتخذ الأقدمون من الفترة الزمنية التي يستغرقها القمر منذ أول ظهوره هلالاً، وحتى الهلال التالي وحدة زمنية أطلقوا عليها اسم الشهر القمري، فالقمر يدور دورة كاملة حول نفسه وحول الأرض في نفس الاتجاه وخلال نفس المدة الزمنية، لذلك لا يرى منه من على الأرض إلا نصفه المستنير من ضوء الشمس، أما النصف الآخر فهو غير مرئي بالنسبة لأهل الأرض، وهذه الخاصية هي التي تشرح أشكاله المختلفة حسب منازله بالنسبة للأرض والشمس. [١]

ومنازل القمر هي أوجهه، أي مراحل ظهوره لأهل الأرض ابتداءً من هلال جديد فتحته إلى اليسار إلى التربيع الأول ثم إلى القمر الكامل ( البدر التام )، إلى التربيع الثاني، فالهلال الأخير الذي فتحته إلى اليمين، وأخيراً المحاق، ثم تتكرر الدورة كل شهر قمري اقتراني، وهو الزمن الظاهري الذي يُكمل فيه القمر دورته حول الأرض، حيث تبين علمياً بعد اكتشاف دوران القمر حول الأرض ودوران الأرض حول الشمس أن طور الهلال يأتي مباشرة بعد اقتران القمر مع الشمس، أي بعد تواجده في اتجاه الشمس، لهذا تسمى الفترة من الهلال إلى الهلال بالشهر الاقتراني، وهي في المتوسط ٢٩,٥٣٠٥٩٠ يوما أرضياً، بينما الزمن الحقيقي للشهر القمري الفلكي حيث يدور القمر دورة كاملة (٣٦٠) درجة حول الأرض بالنسبة إلى النجوم البعيدة كمرجع ساكن نسبياً في شهر نجمي قدره مقاساً بالساعات الذرية: ٢٧,٣٢١٦٦١ يوماً، وهو أقل من الشهر الاقتراني، والفرق بينهما نتيجة لدوران الأرض حول الشمس، وأهل الأرض لا يظهر لهم هذا الفرق بين الشهر القمري الفلكي، وشهره الاقتراني، مما يسبب عدم إدراك الهلال الجديد إلا بعد فترة أطول بمقدار ٢,٢٠٨٩٢٩ يوماً؛ لرؤيتهم حركة القمر الظاهرية على أرض متحركة وليست ساكنة، لذلك تستخدم الأهلة في عد الشهور القمرية، وهو المستخدم لعد السنين في التقويم القمري الهجري[٢].

" وبهذا فإن الشهر الاقتراني هو الفترة الزمنية التي يصنع فيها القمر دورة كاملة حول الأرض منسوبة إلى الشمس، أو هو الفترة الزمنية بين طورين متماثلين ومتتاليين للقمر، أو بين هلالين جديدين، بينما الشهر النجمي هو الفترة الزمنية التي يصنع فيها القمر دورة حول الأرض بالنسبة للنجوم كمرجع، وهذه الفترة عادة تستخدم في البحوث العلمية "[٣].

---

[١] من علم الفلك القرآني، د. عدنان الشريف، ص٩٣ (بتصرف).

[٢] انظر: ( المعارف الكونية) ص١٦٦، (الكون) د. منصور حسب النبي، ص٣٥٩، ٣٦٠.

[٣] الكون، د. منصور حسب النبي، ص٣٦٠.

ويتميز النظام النجمي في أنه يتخلص من تأثير دوران الأرض حول الشمس فيعطي الأزمنة المناسبة للحساب، ويرجع السبب في اختيار النجوم في عملية تعيين الزمن اليومي، والشهر القمري؛ لسهولة رصدها كنقط مضيئة ومحددة في السماء، في حين يصعب في النظام الاقتراني رصد الشمس بدقة كافية كمرجع في هذا النظام؛ لما يعتري مساحة سطح الشمس الظاهري من تغيير باختلاف المسافة بينها وبين الأرض، الأمر الذي لا يسهل معه تحديد مركزها، وهذه حقيقة معروفة في علم الفلك التي تنص على استخدام نظام الأزمنة المضبوطة على نجم بعيد في الحسابات العلمية، بدلاً من استخدام الأزمنة المضبوطة على الشمس، فالنظام النجمي يستخدم للحساب الدقيق، بينما النظام الاقتراني، يُستخدم للعد الظاهري فقط، ولهذا يُميز الله تعالى بين العد والحساب عند استخدام منازل القمر، فالمتأمل في الآية الكريمة يجد لفظ الحساب معطوفاً على عدد السنين، وعطف شيء على شيء يدل لُغوياً على مغايرته، وهذا صحيح علمياً، فالعد ظاهري اقتراني يعتمد على رصد الشمس لعد الأيام ، والأهلة لعد الشهور ، وأما الحساب فحقيقي نجمي يعتمد على ضبط الزمن الفعلي على النجوم، بالنسبة لحساب زمن اليوم الأرضي والشهر القمري، وصدق الله العظيم بقوله: ﴿ **وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ** ﴾ (النحل:١٦).[١]

فسبحان من أشار إلى وجود فرق بين العد والحساب في قوله:

﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ (يونس:٥).

ويُبين الله ﷻ بأن الشمس والقمر في فلك يسبحون كل في مداره وذلك في قوله تعالى: ﴿ **لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾ (يس:٤٠).

حيث يقول تعالى ذكره: لا الشمس يصلح لها إدراك القمر، فيذهب ضوؤها بضوئه، فتكون الأوقات كلها نهاراً لا ليل فيها ﴿ **وَلا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ**﴾ ولا الليل بفائت النهار حتى تذهب ظلمته بضيائه، فتكون الأوقات كلها ليلاً، وعن مجاهد، قال: ﴿ **لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أنْ تُدْرِكَ القَمَرَ** ﴾: لا يُشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر، ولا ينبغي ذلك لهما، وعن ابن عباس قال:﴿ **لا**

---

(١) انظر: (الكون) ص٣٥٩، ٣٦١.

**الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ** ﴾ إذا اجتمعا في السماء كان أحدهما بين يدي الآخر، فإذا غابا غاب أحدهما بين يدي الآخر.[١]

وذكر الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**﴾ (إبراهيم:٣٣) بمعنى أنهما يتعاقبان عليكم بالليل والنهار لصلاح أنفسكم ومعاشكم،﴿**دَائِبَيْنِ**﴾ في اختلافهما عليكم، وقيل: معناه: أنهما دائبان في طاعة الله [٢]، وقد ذكر الإمام ابن عاشور في تفسيره " أن التسخير وقع بأحوال ناسبت انتفاع البشر بضيائهما، وضبط أوقاتهم بسيرهما، إذ لو اختلفت لم يستطع البشر ضبطها فوقعوا في حيرة وشك." [٣]

ويقول الإمام الألوسي في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ (النحل:١٢) إن: "الشمس والقمر يدأبان في سيرهما وإنارتهما أصالة وخلافة، وأدائهما ما نيط بهما من تربية الأشجار والزروع، وإنضاج الثمرات، وتلوينها وغير ذلك من التأثيرات المترتبة عليهما بإذن الله تعالى حسبما يقوله السلف في الأسباب والمسببات، وليس المراد بتسخير ذلك للمخاطبين تمكينهم من التصرف به كيف شاؤوا كما في قوله تعالى:﴿**سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا**﴾ (الزخرف: ١٣)، بل تصريفه سبحانه لذلك، حسبما يترتب عليه منافعهم."[٤]

كما ويتحدث الإمام أبو السعود عن جريان الشمس والقمر بحساب مقدر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ** ﴾ (الرحمن: ٥)، حيث يقول: "أي يجريانِ بحسابٍ مقدرٍ في بروجِهما ومنازِلِهما بحيثُ ينتظمُ بذلكَ أمورُ الكائناتِ السفلية، وتختلفُ الفصولُ والأوقاتُ، وتُعلمُ السنونَ والحسابُ. "[٥]

وقد فصَّل الإمام الطبري أقوال العلماء في معنى قوله تعالى: بِحُسْبَانٍ، تجملها الباحثة فيما يلي:

١) الشمس والقمر بحسبان، ومنازل لهما يجريان ولا يعدوانها، وقد ورد هذا الرأي عن ابن عباس، وقتادة.

---

(١) انظر: (جامع البيان) الطبري، م١٢، ج٢٣، ص١٠.

(٢) المرجع السابق، م٨، ج١٣، ص٢٦١ (بتصرف يسير).

(٣) التحرير والتنوير، م٧، ج١٣، ص٢٣٦.

(٤) روح المعاني، الألوسي، ج١٤، ص١٠٨.

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج٦، ص٢٤٧.

٢) وقال آخرون: أنهما يجريان بقَدَر، وهذا رأي الضحاك.

٣) وقيل: يدوران في مثل قطب الرحا، وهذا منقول عن مجاهد.

ورجَّح الإمام الطبري أن يكون المعنى:الشمس والقمر يجريان بحساب ومنازل. [١]

وما جاء في الآية الكريمة من دراسات تتلخص بما يلي:

تتحرك الشمس في مجرة درب التبانة حركتان، فهي تتحرك محلياً بالنسبة لما حولها من نجوم المجرة بسرعة ٤٣ ألف ميل/ساعة، كما تدور الشمس في نفس الوقت حول مركز المجرة بسرعة أخرى ٥٤٠ ألف ميل/ساعة، وحيث إن المجموعة الشمسية بكواكبها وأقمارها، تابعة للشمس، فالأرض أيضاً تجري وتدور مع الشمس في هاتين الحركتين، بالإضافة إلى حركة الأرض حول نفسها، وحول الشمس، وسبحان الله الخالق الذي سخر للإنسان الأرض يركب عليها كالدابة الذلول وهي ترمح به في فضاء الكون دون أن يشعر بأربع حركات متزامنة.

وبهذا فإن القرآن الكريم يُؤكد بوضوح أمراً علمياً لم يتم التعرف عليه أو قياسه إلا في هذا القرن ألا وهو فَلك الشمس الذي تبين أنه مدار الشمس حول مركز المجرة بالسرعة المذكورة لتكتمل الدورة الواحدة للشمس كل ٢٥٠ مليون سنة، وقد وصف الله سبحانه وتعالى هذه الحركة بالسباحة، والسباحة علمياً حركة انتقالية مصحوبة بحركة ذاتية من الجسم المتحرك وانتقال الشمس في المدار مصحوب بحركة ذاتية منها، فهي تدور حول محورها أيضاً مرة كل ٢٧ يوم كالمغزل تسبح في فلكها، فكلٌ يدور في فلك خاص لا يمكن أن يتعداه ولا يتخطاه، ولقد تم حديثاً التصوير بالتليسكوب الراديوي لرصد حركة النجوم في هذه المجرة، وتبين أن نجومها أي شموسها جميعاً تدور حول مركزها، ولولا هذا الدوران فإن الجاذبية العامة سوف تؤدي إلى تقلص المجرة وتكورها وانقباضها على نفسها، ولكن الدوران يُحْدِث التوازن الذي يمنع انهيار السماوات وصدق تعالى: **﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾** (الرحمن:٧)، إنها الوحدة في الكون من الذرة إلى المجرة، فالإلكترونات تدور حول نواة الذرة وحول نفسها والأرض مع باقي الكواكب تدور كلها حول الشمس، والشمس مع النجوم تدور حول مركز المجرة، وكل دائر يدور حول نفسه مغزلياً؛ لتأكيد معنى السباحة في هذه الأفلاك، وبهذا فالطواف سنة الله في الكون[٢].

---

[١] جامع البيان، ج٢٧، ص١٣٢،١٣٣ (بتصرف يسير).

[٢] انظر: (المعارف الكونية) د. منصور حسب النبي، ص٢٧٩، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١.

وهنا تظهر بالغ حكمة الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾ (يس:٣٨) وكل في فلك يسبحون للتعبير عن جري الشمس الحقيقي- وليس الظاهري من الشرق إلى الغرب- وللتعبير عن مدار الشمس حول مجرتنا ﴿ **لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾ (يس:٤٠) وذلك في أسلوب يطابق الحقيقة تماماً، ولا يصدم الناس فيما كانوا يعتقدون، فلقد كان الناس قديماً يعتبرون الشمس مثبتة في قبة تدور حول الأرض يومياً من الشرق إلى الغرب، فجعلوا حركة الشمس غير ذاتية بينما تقرر الآية الكريمة أن لها حركة ذاتية سريعة؛ لأن الجري لا يمكن إلا أن يكون ذاتياً، وهذا ما اكتشفه العلم الحديث أن للشمس فلك حقيقي تجري فيه حول مركز المجرة.[١]

ومن أعظم الآيات التي تحدثّ فيها سبحانه عن تسخير الشمس والقمر قوله تعالى: ﴿... **وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ** ﴾ (الرعد:٢)، وهي لمسة أخرى هائلة من لمسات الريشة المعجزة، لمسة في العلو المطلق إلى جانب العلو المنظور، تتجاوران وتتسقان في السياق، وبالوقوف لحظة أمام التقابلات المتداخلة في المشهد قبل المضي معه إلى غايته، فإذا هو استعلاء يقابله التسخير، تسخير الشمس، فمع الاستعلاء والتسخير، الحكمة والتدبير، ﴿ **كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى** ﴾ وإلى حدود مرسومة، ووفق ناموس مقدر، سواء في جريانهما في فلكيهما دورة سنوية ودورة يومية، أو جريانهما في مداريهما لا يتعديانه ولا ينحرفان عنه، أو جريانهما إلى الأمد المقدر لهما قبل أن يحول هذا الكون المنظور، يدبر الأمر كله، على هذا النحو من التدبير الذي يسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى، ويمسك بالأفلاك الهائلة والأجرام السابحة في الفضاء فيجريها لأجل لا تتعداه، لا شك عظيم التدبير جليل التقدير.[٢]

وقد ذكر د. زغلول النجار بعض جوانب التسخير، تُلخصها الباحثة فيما يلي:

١) الاتزان الدقيق بين تجاذب مكونات الشمس وتمددها: الشمس هي أقرب نجوم السماء إلى الأرض، تبعد عنها بمسافة مائة وخمسين مليون كم في المتوسط، وهي نجم عادي متوسط الحجم، وتمثل كتلتها حوالي ٩٩% من كتلة المجموعة الشمسية كلها، وهي عبارة عن فرن نووي كوني عملاق عمره أكثر من عشرة بلايين من السنين، يتكون أساساً من غازي الإيدروجين، والهيليوم، وتبدأ التفاعلات بها بالاندماج النووي بين نوى ذرات الإيدروجين منتجة

---

[١] الكون في القرآن الكريم، د. منصور حسب النبي، ص٢٧٩.

[٢] في ظلال القرآن، سيد قطب، م٤، ص٢٠٤٥ (بتصرف).

نوى ذرات الهيليوم، فتنطلق الطاقة التي ترفع درجة حرارة الشمس إلى أكثر من ١٥ مليون درجة، ونظراً للجاذبية الرهيبة التي تحدثها كتلة الشمس الهائلة على مكوناتها، فإنها تتجاذب باتجاه المركز، مما ينتج عنها ضغط هائل يرفع درجة حرارة الشمس مما يسمح باستمرار عملية الاندماج النووي فيها، فتتولد قوى توازن دقيق بين جاذبية الشمس لمكوناتها في اتجاه مركزها، ودفع تلك المكونات بعيداً عن المركز بواسطة القوى الناتجة عن تمدد الغازات المكونة لها بفعل الحرارة الفائقة في مركزها، ولولا تقدير الله ﷻ لحجم وكتلة الشمس بهذه الدقة البالغة وبهذا التوازن الدقيق بين قوى الدفع إلى الخارج، وقوى التجاذب إلى الداخل، لانفجرت الشمس كقنبلة نووية عملاقة، أو لانهارت على ذاتها تحت ضغط جاذبيتها، فسبحان من قدر هذا التوازن بأن جعل كتلة الشمس وحجمها بهذه الدقة مما حافظ على اتزان قوى التمدد والتجاذب.

٢) تسخير طاقة الشمس من أجل ضبط حركة الحياة على الأرض: تطلق الشمس من مختلف صور الطاقة، ما يقدر بحوالي خمسمائة ألف مليون مليون مليون حصان في كل ثانية، يصل إلى الأرض الواحد في الألف تقريباً من هذه الطاقة، فتمثل كل مصادر الطاقة المباشرة، وغير المباشرة على الأرض – باستثناء الطاقة النووية– وبدون هذه الطاقة تستحيل الحياة على كوكبنا، فتصريف الرياح، وإرسال السحاب، وإنزال المطر، وشق المجاري للأنهار والجداول، وخزن الماء،وتكوين التربة والصخور الرسوبية، وحركات الأمواج، وعمليات المد والجزر، وغير ذلك من عمليات يعتمد عليها الإنسان في وجوده – بعد إرادة الله ﷻ، فهي جميعها تحركها طاقة الشمس بإرادة الخالق.

٣) إضاءة القمر لسماء الأرض بمجرد غياب الشمس: سطح القمر زجاجي معتم تماماً، وقد أعطاه الله تعالى القدرة على عكس ما قيمته ٧.٣ % من أشعة الشمس الساقطة عليه، وبذلك يُنير سماء الأرض بمجرد غروب الشمس.

٤) تسخير القمر وسيلة من وسائل إتمام عمليتي المد والجزر: وهما قوتان من قوى الأرض يعملان على تفتيت صخور الشواطئ، وتكوين أنواع عديدة من الرسوبيات، كما تعملان على تركيز العديد من الثروات المعدنية في رمالها. [١]

فسبحان الخالق الملك الذي أبدع خلق السموات والأرض، القائل في كتابه العزيز: ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ (الأنبياء: ٢٢).

---

[١] انظر: (السماء) ص٥٨٢–٥٨٥.

**المطلب الثاني: الليل والنهار:**

تحدَّث الله ﷻ عن الليل والنهار، وتسخيرهما للإنسان في العديد من المواضع، من أهمها بالنسبة لموضوع البحث، حديث الله ﷻ عن محو آية الليل، وجعل آية النهار مبصرة، وكذلك حديثه سبحانه في مواضع أخرى عن إغشاء الليل النهار بلفظ يغشي، كما جاء أيضاً الحديث عنهما بلفظ يولج، ويكور، ويقلب، وبألفاظ أخرى، في العديد من الآيات.

أما ما جاء من حديث عن محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة، فقد ورد ذلك في آية واحدة حيث يقول سبحانه: ﴿ **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً** ﴾ (الإسراء:١٢).

وقد تحدَّثت كتب التفسير عن هاتين الآيتين، وكيف أن الله سبحانه قد محا إحداهما وجعل الأخرى مبصرة، مع اختلافهم في طبيعة المحو، فمنهم من فسر قوله تعالى: ﴿**فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ**﴾ أنه قد طمس نورها بعد أن كان القمر كالشمس في الإنارة والضوء، ومنهم من قال أنه سبحانه خلقها ممحوة الضوء مطموسة.

وهذا ما تحدث عنه الإمام الشوكاني في معرض تفسيره لقوله سبحانه: ﴿**فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ**﴾ حيث نقل أقوالاً عدة منها:

١) أن محو آية الليل هو بطمس نورها، وقد كان القمر كالشمس في الإنارة والضوء، قيل ومن آثار المحو السواد الذي يُرى في القمر.

٢) وقيل المراد بمحوها أنه سبحانه خلقها ممحوة الضوء مطموسة، وليس المراد أنه محاها بعد أن لم تكن كذلك. [١]

ولكن ما اتفق عليه علماء التفسير أن آيتي الليل والنهار تدلان على أن لهما صانعاً حكيماً قادراً، وفي ذلك يقول الإمام أبو السعود في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءايَتَيْنِ** ﴾: "آيتين تدلان على أن لهما صانعاً حكيماً قادراً عليماً وتهديان إلى ما هدى إليه القرآنُ الكريم من ملة الإسلام والتوحيد."[٢]

أما هدف هاتين الآيتين فهو: ﴿ **لّتَبْتَغُواْ** ﴾ لتطلُبوا لأنفسكم في بياض النهار رزقاً، إذ لا يتسنّى ذلك في الليل، ﴿ **وَلِتَعْلَمُواْ** ﴾ أي لتعلموا بتفاوت الجديدَين، أو نيّريْهما ذاتاً، من حيث الإظلامُ

---

[١] فتح القدير، ج٣، ص٢٦٤.

[٢] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج٤، ص٤٠٨.

والإضاءة، مع تعاقبهما أو حركاتهما وأوضاعِهما وسائرِ أحوالِهما، ﴿**عَدَدَ ٱلسِّنِينَ**﴾ التي يتعلق بها غرضٌ علمي، لإقامة مصالحِكم الدينية والدنيوية ﴿**وَٱلْحِسَابَ**﴾ أي الحسابَ المتعلقَ بما في ضمنها من الأوقات، أي الأشهر والليالي والأيام، وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح المذكورة[١].

ولقد أثبتت الدراسات الكونية أن نطق الحماية المتعددة الموجودة في الغلاف الغازي للأرض، ومنها: نطاق الأوزون، ونطق التأين المتعددة، وأحزمة الإشعاع، والنطاق المغناطيسي للأرض، لم تكن موجودة في بدء خلق الأرض ولم تتكون إلا في مرحلة متأخرة، وعلى ذلك فقد كانت الأشعة الكونية، وباقي مصادر النور الأخرى المتعددة في صفحة الكون، تصل بكميات هائلة إلى المستويات الدنيا من الغلاف الغازي للأرض ككل، فتؤدي إلى إنارتها وتوهجها ليلاً، بمثل ظاهرة الفجر القطبي الحالية، ولكن على نطاق أوسع وبمعدلات أشد، بحيث يشمل كل أرجاء الأرض، فتنير ليلها إنارة تقضي على ظلمة الليل، ولكن بعد تكوّن نطق الحماية المختلفة للأرض أخذت هذه الظواهر في التضاؤل، حتى اقتصرت على بقايا رقيقة جداً، وفي مناطق محددة مثل قطبي الأرض المغناطيسيين، لتبقى شاهدة على حقيقة أن ليل الأرض في المراحل الأولى لخلقها كان يضاء بوهج لا يقل في شدته عن نور الفجر الصادق، ومن أمثلة هذه الظواهر:

١) توهج الهواء في طبقات الجو العليا: وهو عبارة عن نور باهت متغير ينتج عن عدد من التفاعلات في نطاق التأين المحيط بالأرض، فوق مستوى سطح البحر تقريباً.

٢) ظاهرة أنوار مناطق البروج: وتظهر على هيئة مخروط من النور الباهت الرقيق، الذي يرى في جهة الغرب بمجرد غروب الشمس، كما يرى في جهة الشرق قبل طلوعها بقليل، وتُفسّر تلك الأنوار بانعكاس وتشتت ضوء الشمس، غير المباشر، على بعض الأجرام الكونية، التي تعترض سبيلها في أثناء تحركها، متباعدة عن الأرض أو مقتربة منها.

٣) ظاهرة أضواء النجوم: وتصدر من النجوم في مواقعها المختلفة، ثم تتشتت في المسافات الفاصلة بينها، حتى تصل إلى غلاف الأرض الغازي.

٤) ظاهرة أضواء المجرات : وتصدر من نجوم مجرة من المجرات القريبة من الأرض، والتي تتشتت أضواؤها في داخل المجرة الواحدة، ثم يعاد تشتتها في المسافات الفاصلة بين المجرات، حتى تصل إلى الغلاف الغازي المحيط بالأرض.

---

[١] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ص٤٠٩ (بتصرف).

٥) ظاهرة الفجر القطبي وأطيافه: وتعرف أيضاً باسم الأضواء القطبية، أو فجر الليل القطبي، وهي ظاهرة نورانية، تُرى بالليل في سماء كل من المناطق القطبية، وحول القطبية، وتتركز أساساً في المنطقتين الواقعتين بين كل من قطبي الأرض المغناطيسين، وقد تمتد أحياناً لتشمل مساحات أوسع من ذلك، وتبدو ظاهرة الفجر القطبي عادة على هيئة أنوار زاهية متألقة.[(١)]

من خلال ما سبق يمكن إسقاط هذه الحقائق على الآية الكريمة، وأنها هي المقصود بمحو آية الليل، وهذا ما ذهب إليه الدكتور الفاضل زغلول النجار حيث يقول: " أنعم الله ﷻ على أهل الأرض جميعاً بمحو إنارة الليل، وإبقاء إنارة النهار نعمة ما بعدها نعمة؛ لأنه لولا تبادل ظلام الليل مع نور النهار، ما استقامت الحياة على الأرض، ولا استطاع الإنسان الإحساس بالزمن، ولا التأريخ للأحداث."[(٢)]

ويبقى المجال مفتوحاً أمام اجتهادات العلماء؛ لتفسير هذه الآية الممحوة بما توفر لديهم من حقائق وعلوم، مع بقاء آيات القرآن الكريم هي أصل كل العلوم، والمعارف الإنسانية على مر العصور والأزمان.

أما ما جاء من حديثٍ عن إغشاء الليل النهار، فستتناول الباحثة ما يهم موضوع البحث من مواضع، وهما موضعان حيث يقول سبحانه: **﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾** (الرعد:٣)، وفي الموضع الآخر ذكر سبحانه ذلك مع إضافة وصف حثيثاً لطلب الليل النهار وذلك في قوله تعالى في سورة الأعراف: **﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾** (الأعراف:٥٤)،
وفي معرض تفسيره لقوله تعالى في سورة الرعد: **﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾** نقل الإمام السيوطي قولاً لقتادة حيث قال: "**﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾** : أي يلبس الليل النهار"[(٣)].
والمراد يلبسه مكانه فيصير أسود مظلماً بعد ما كان أبيض منيراً، أما قوله تعالى: **﴿حثيثاً ﴾** في سورة الأعراف، فالحث الاستعجال والسرعة يُقال ولى حثيثاً أي مسرعاً. [(٤)]

---

(١) انظر: (السماء) د. زغلول النجار، ص٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٩.
(٢) السماء، ص٤٣٠.
(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، م٤، ص٦٠٢.
(٤) انظر: (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) النسفي، م١، ج٢، ص٣٤٨، (فتح القدير) الشوكاني، ج٢، ص٢٤٢.

أما ما يمكن استعراضه من دراسات كونية في هذا المجال، فمن المعروف أن تعاقب الليل والنهار يحدث بدوران الأرض حول نفسها، وسرعة هذا التعاقب هي نفسها سرعة الدوران.

وقد تبين علمياً أن السرعة كانت عالية عند بدء خلق الأرض، ثم تناقصت بالتدريج مع مرور الزمن، وما زال هذا التناقص مستمراً؛ بسبب ظاهرة المد والجزر، التي تعمل كفرملة لكوكب الأرض، ورغم أنه تعويق ضئيل للغاية، إلا أنه يؤدي إلى زيادة طول اليوم على كوكب الأرض بمرور الزمن، حيث تبين علمياً أن زمن اليوم يزداد بمقدار ٠,٠٠٢ ثانية كل قرن، هذه الزيادة الدقيقة تتراكم بمضي الزمن، عبر بلايين السنين؛ لتؤثر فعلاً في طول اليوم، فبالرجوع إلى مرحلة نشأة الأرض منذ ٤,٦ مليار سنة، يتبين أن زمن اليوم الأرضي كان ٤ ساعات فقط، ثم أخذت الأرض في التباطؤ التدريجي في الدوران حول نفسها، بفعل المد والجزر، لدرجة أن زمن اليوم الأرضي أصبح الآن ٢٣ ساعة، ٥٦ دقيقة، ٤,١ ثانية، وسيصبح اليوم في المستقبل ٤٣ ساعة، بعد حوالي ٥ مليار سنة أخرى من الآن، إن بقيت الأرض إلى ذاك الزمان، وهذا التعطيل اليومي الضئيل لم يتم قياسه إلا باستخدام الساعات الذرية، وأبحاث أخرى بيولوجية. [١]

وترى الباحثة أن في ذلك إعجازاً علمياً مبهراً، فقد كشفت الآيتان الكريمتان عن حقيقة كونية، لم يتم التعرف عليها إلا بعد اكتشاف الساعات الذرية، وتطور العلوم، فمن خلال ما سبق، يتبين أن سرعة تعاقب الليل والنهار الآن تختلف عن سرعتهما عند نشأة الأرض، كما ويختلف عدد ساعات اليوم الأرضي اليوم، عن عدد ساعات اليوم الأرضي عند خلق الأرض، ويظهر ذلك جلياً عند التأمل في الآيتين الكريمتين السابقتين، حيث يذكر الخالق سبحانه حينما وصف تعاقب الليل والنهار بأنه حثيث في سياق الحديث عن مرحلة خلق السموات، بينما في سياق الآية التي تحدث فيها الله ﷻ عن تسخير الأرض بعد مرحلة خلقها، من مدها وجعل الرواسي فيها، والأنهار، والثمرات، جاء الحديث عن الليل والنهار دون أن يصف تعاقبهما بالحثيث.

---

[١] انظر: (المعارف الكونية) د. منصور حسب النبي، ص٢٧٢، ٢٧٣.

**المطلب الثالث: النجوم:**

إن من مظاهر التدبير في الخلق، وظواهر النعمة على البشر: الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم، فكلها مما يلبي حاجة الإنسان في الأرض، يقول الله تعالى: ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ (النحل:١٢)، وهي لم تخلق له ولكنها مسخرة لمنفعته، فظاهرة الليل والنهار ذات أثر حاسم في حياة هذا المخلوق البشري، كذلك الشمس والقمر، وعلاقتهما بالحياة على الكوكب الأرضي، وكذا النجوم ﴿ **وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ** ﴾ للإنسان ولغير الإنسان مما يعلم الله ﷻ، وكل أولئك طرف من حكمة التدبير، وتناسق النواميس في الكون كله، يدركه أصحاب العقول التي تتدبر وتعقل وتدرك ما وراء الظواهر من سنن وقوانين: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[(١)].

وذكر سبحانه منافع النجوم بالنسبة للإنسان في مواضع أخرى حيث يقول الله تعالى: ﴿**وَعَلامَاتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ** ﴾ (النحل:١٦).

اختلف المفسرون في تفسير معنى (علامات) الواردة في الآية الكريمة، ومنها ما ذكره الإمام الطبري في تفسيره:

١) أنها معالم الطرق بالنهار، وقد ورد هذا الرأي عن ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال: يعني بالعلامات: معالم الطرق بالنهار، وبالنجم هم يهتدون بالليل.

٢) وقيل: عُني بها النجوم، فعن مجاهد: ﴿ **وَعَلامَاتٍ وبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾ قال: منها ما يكون علامة، ومنها ما يهتدى به.

٣) وعن قتادة، قوله: ﴿ **وَعَلامَاتٍ وبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ** ﴾ والعلامات: النجوم، وأن الله تبارك وتعالى إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصلات: جعلها زينة للسماء، وجعلها يُهْتَدي بها، وجعلها رجوماً للشياطين.

٤) وقال آخرون: عُني بها الجبال. [(٢)]

ورجَّح الإمام الطبري أن يكون تأويل الكلام:

" وجعل لكم أيها الناس علامات تستدلون بها نهاراً على طرقكم في أسفاركم، ونجوماً تهتدون بها ليلاً في سُبلكم."[(٣)]

---

[(١)] في ظلال القرآن، سيد قطب، م٤، ص٢١٦٣ (بتصرف يسير).

[(٢)] انظر: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) م٨،ج١٤، ص١١١.

[(٣)] المرجع السابق، م٨، ج١٤، ص١١٢.

وقد ذكر الإمام القرطبي منافع النجوم كما جاءت في القرآن الكريم، في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ (الأنعام:٩٧)، حيث ورد في هذه الآية بعض منافعها، وهي الاهتداء بها في البر والبحر، وفي مواضع أخرى: ﴿ **وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ** ﴾ (الصافات: ٧)، ﴿**وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ** ﴾ (الملك:٥)(١).

وقد ورد ذكر النجوم في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة، ولم يوصف أي منها بالطارق النجم الثاقب إلا في مطلع سورة الطارق بقوله سبحانه: ﴿ **وَٱلسَّمَاء وَٱلطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلطَّارِقُ * ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ** ﴾ (الطارق: ١-٣).

حيث عظَّم قدر السماء في أعين الخلق لكونها معدن رزقهم وسكن ملائكته، وفيها خلق الجنة فأقسم بها وبالطارق والمراد جنس النجوم، أو جنس الشهب التي يرجم بها لعظم منفعتها، ثم فسره بالنجم الثاقب، أي المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه، ووصف بالطارق؛ لأنه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلاً طارق.(٢)

وقد ذكر مثل ذلك الإمام ابن كثير عن قتادة وغيره: " إنما سمي النجم طارقاً؛ لأنه إنما يرى بالليل، ويختفي بالنهار، وقوله تعالى: ﴿**ٱلثَّاقِبُ**﴾ قال ابن عباس ﷺ: المضيء، وقال السُّدي: يثقب الشياطين إذا أرسل عليها، وقال عكرمة: هو مضيء ومحرق للشيطان." (٣)

وأثبتت الدراسات الكونية أنَّ من أنواع النجوم المعروفة علمياً، ما تسمى بالنابضات أو النجوم النابضة، وهي نجوم ذات كثافة وجاذبية فائقة، تدور حول محورها بسرعات عالية، وتُرسل نبضات منتظمة من الأشعة الراديوية في كل جزء من الثانية، أو في كل عدد قليل من الثواني، حسب حجمها وسرعة دورانها حول محورها، وقد يصل عدد نبضات تلك النجوم إلى ثلاثين نبضة في الثانية الواحدة.

وهناك نوع آخر من النجوم، يعرف اليوم بين علماء الفلك باسم أشباه النجوم، وهي أجرام سماوية شديدة البعد عن الأرض، وتعتبر أبعد ما قد تم رصده من أجرام السماء، وتبدو كأنها على أطراف السماء، تطرق أبوابها؛ لتوصل إشاراتها الراديوية إلى الأرض، وتقدر الطاقة الناتجة عنه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، م٤،ج٧، ص٣٥ (بتصرف).

(٢) مدارك التنزيل، النسفي، م٢، ج٤، ص٥٠٨(بتصرف يسير).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٦٤٢.

بمائة مليون مليون مرة قدر طاقة الشمس، وقد تم الكشف عن حوالي ألف وخمسمائة من أشباه النجوم على أطراف الجزء المدرك من الكون، ويتوقع الفلكيون وجود آلاف أخرى منها لم تكتشف بعد.

ولعل هذا النوع من النجوم هو المقصود بالوصف القرآني **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ* النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾** (الطارق: ٣).

لأنها تطرق صفحة السماء وتثقب صمتها بنبضاتها السريعة التردد، وموجاتها الراديوية الخاطفة، والله تعالى أعلم(١).

وترى الباحثة أنه، وبغض النظر عن كون مقصود الآية الكريمة الإشارة إلى هذا النوع من النجوم أو غيره، يبقى الشاهد هنا سبق القرآن الكريم للمعارف الإنسانية، وعلوم الفلك، بحديثه عن وصف دقيق لمرحلة من مراحل النجوم، أو نوع من أنواعه بهذا الوصف الدقيق في زمن لم تتوفر فيه أبسط وسائل التقنيات، وحتى في زمن التقنيات التي يفخر بها علماء الفلك لم تتعد معرفتهم لحياة النجوم وغيرها من أسرار الكون المدرك إلا ١٠% فقط، لذلك يبقى القرآن الكريم المعجزة الربانية الخاتمة التي يعجز البشر عن محاكاة ما بها من كنوز وحديث يفهمه العامة والخاصة، يَعجز الإنسان على مر الأزمان عن المجئ بمثله، فسبحان القائل في كتابه العزيز:

**﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾** (الإسراء: ٨٨).

---

(١) انظر: (السماء) د. زغلول النجار، ص٢٦٩-٢٧١.

**المطلب الرابع: الشهب والنيازك:**

جاء ذِكرُ الشهب في القرآن الكريم في سورة الجن، حيث يقول الله تعالى: ﴿**وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً، وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً** ﴾ (الجن:٨، ٩).

وقد فسَّر علماء التفسير ذلك بأن معشر الجن كانوا يسترقون سمع السماء إلى أن جعل الله تعالى عليها حفظة وشهباً ترجم بها الشياطين.

وقد ذكر الإمام الطبري في تأويل قوله تعالى: ﴿ **وأَنَّا لَمَسْنا السَّماءَ** ﴾: أن الله ﷻ أخبر عن قيل معشر الجنّ حيث قالوا: وأنا طلبنا السماء وأردناها فوجدناها ملئت ﴿**حَرَساً شَدِيداً**﴾ يعني حَفَظَة ﴿**وشُهُباً**﴾، وهي جمع شهاب، وهي النجوم التي كانت تُرجم بها الشياطين، وقد كانوا يقعدون من السماء مقاعد ليسمعوا ما يحدث، وما يكون فيها، ﴿**فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً** ﴾ يعني: شهاب نار قد رصد له به. (١)

وقد نقل الإمام الطبري عدة أقوال في ذلك، فعن قتادة: قوله تعالى: ﴿ **وأَنَّا لَمَسْنا السَّماءَ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً** ﴾ كانت الجنّ يسترقون سمع السماء فلما بعث الله نبيه، حُرست السماء، ومُنعوا ذلك، فتفقَّدت الجنّ ذلك من أنفسها، فلما وجدوا ذلك رجعوا إلى إبليس، فقالوا: منع منا السمع، فقال لهم: إن السماء لم تُحرس قطّ إلا على أحد أمرين: إما لعذاب يريد الله أن ينزله على أهل الأرض بغتة، وإما نبيّ مرشد مصلح قال: فذلك قول الله:

﴿ **وأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأرْض أمْ أرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً** ﴾. (٢)

وقد فسَّر الإمام النسفي قوله تعالى: ﴿**شِهَاباً رَّصَدا**﴾ : أي يجد شهاباً راصداً له ولأجله، أو هو اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم، وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع، والجمهور على أن ذلك لم يكن قبل مبعث محمد ﷺ، وقيل كان الرجم في الجاهلية، ولكن الشياطين كانت تسترق السمع في بعض الأوقات فمنعوا من الاستراق أصلاً بعد مبعث النبي ﷺ(٣).

---

(١) انظر: (جامع البيان) م١٤، ج٢٩، ص١١٧.

(٢) جامع البيان، م١٤، ج٢٩، ص١١٧.

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، م٢، ج٤، ص٤٤٠.

ولقد أجابت الدراسات الكونية عن السؤال المطروح عن ماهية هذه الشهب التي تُرجم بها الشياطين، فالملاحظ أن القرآن الكريم قد سكت عن ذكر أي تفاصيل لهذا الأمر، حتى أنه لا يمكن إيجاد مصدرٍ للعلم اليقيني في ذلك، إلا أن علماء الفيزياء الكونية اكتشفوا في عصر العلم الحديث أخطاراً في الفضاء شتى، من شهب وأشعة كونية قاتلة وأشعة الوهج الشمسي التي تحرق كل ما يصادفها في الفضاء فقد يكون مفهوم ما يُرجم به الشياطين، الذي ذكر في الآية الكريمة هو أحد هذه الأخطار أو غيرها[١].

---

[١] فتح العليم في تفسير القرآن الكريم، أ.د. أحمد شوقي إبراهيم، ج٢٩، ص٥٢٥ (بتصرف).

# الفصل الثالث

# الإعجاز العلمي في آيات خلق الأرض وما فيها

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: الإعجاز العلمي في آيات خلق الأرض**
- **المبحث الثاني: الإعجاز العلمي في آيات خلق ما في الأرض**

# الفصل الثالث

# الإعجاز العلمي في آيات خلق الأرض وما فيها

من المعروف أن قضية الخلق إجمالاً بأبعادها: الكون والحياة والإنسان، من القضايا الغيبية التي لم يشهدها الإنسان، انطلاقاً من قوله تعالى: **﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾**(الكهف:٥١)، ولكن من رحمة الله ﷻ أن ترك للإنسان في نفسه، وفي صخور الأرض، وصفحة السماء، من الشواهد الحسية ما يُمكن أن يُعينه على صياغة تصور عن عملية الخلق، وجاء أمره المباشر للإنسان بالتدبر في هذه العملية بقوله تعالى: **﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** (العنكبوت: ٢٠). [١]

ستجمع الباحثة في هذا الفصل الآيات التي تحدثت عن خلق الأرض وتسخيرها للإنسان وسبل هذا التسخير، كما سترصد التصورات التي وضعها الإنسان عن خلق الأرض ودحيها وتمهيدها، وخلق ما فيها من جبال والحكمة من تسخيرها، وتصريف الرياح وتسخير السحاب والنبات، وإحياء الأرض بإنزال الماء من السماء، وقد خصصت الباحثة مطلباً للإنسان تناولت فيه الآيات التي تحدثت عن خلق أبينا آدم وإسكانه في الجنة، ومن ثم إنزاله إلى الأرض واستخلافه فيها لإعمارها، حيث سيتبين في نهاية الفصل سبق القرآن الكريم لجميع التصورات التي صاغها الفكر الإنساني لقضية خلق الأرض والإنسان، وفي ذلك قمة الإعجاز الرباني لبني آدم.

---

[١] خلق الإنسان في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ص١٦، ١٧ (بتصرف).

## المبحث الأول: الإعجاز العلمي في آيات خلق الأرض

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: دحو الأرض**
- **المطلب الثاني: بسط الأرض وتمهيدها**
- **المطلب الثالث: إنزال الحديد**

# المبحث الأول: الإعجاز العلمي في آيات خلق الأرض

## المطلب الأول: دحو الأرض:

جاء الحديث عن دحو الأرض في قوله تعالى:

**﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا، أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا﴾** (النازعات: ٣٠،٣١).

في هاتين الآيتين عدة مسائل يُمكن فهمها من سياقهما، فالآية الأولى تتحدث عن دحو الأرض، وأن دحيها جاء بعد بناء السماء، حيث يقول سبحانه: **﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا....وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا، أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا﴾** (النازعات:٢٧،٣٠،٣١)، هاتان مسألتان، والثالثة أن الله ﷻ قد أخرج ماء الأرض منها، وهذا مفهوم الآية الثانية.

وكان اختلاف علماء التفسير في مسألة ترتيب دحو الأرض بالنسبة للسماء ومعنى قوله تعالى: **﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾**، وقد تقدم ذلك في الفصل الأول في سياق الحديث عن أيام خلق الكون، وعن ترتيب خلق السموات والأرض، وخلاصة ذلك أنَّ خلْق مادة السموات والأرض وفتقهما كان أولاً، ومن ثَم دحو الأرض وتمهيدها للإنسان، والله تعالى أعلم.

ومع ذلك لا ضير في نقل أقوال أهل التفسير في قوله تعالى: **﴿بَعْدَ ذلكَ﴾** حيث أَجملها الإمام الطبري فيما يلي:

١) قال بعضهم: دُحِيت الأرض من بعد خَلق السماء، فعن ابن عباس ﷺ: أن الله– تعالى– خَلق الأرض بأقواتها، من غير أن يدحوها قبل السماء، ثم استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، فذلك قوله: **﴿والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها﴾**.

٢) وقال آخرون: الأرض خُلِقت ودحيت قبل السماء، وذلك أن الله قال: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الأرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾** قالوا : فأخبر الله أنه سَوَّى السموات بعد أن خلق ما في الأرض جميعاً، قالوا فإذا كان ذلك كذلك، فلا وجه لقوله: **﴿والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها ﴾** إلاَّ ما ذكرنا، من أنه مع ذلك دحاها، ونقل هذا الرأي عن مجاهد والسدي حيث قال: **﴿ والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها﴾** مع ذلك دحاه. [١]

وأيَّد الإمام الطبري رأي ابن عباس ﷺ حيث قال:

---

[١] انظر: (جامع البيان) م ١٥، ج٣٠، ص٥٠،٥١

" والقول الذي ذكرناه عن ابن عباسﷺ من أن الله تعالى خلق الأرض، وقدّر فيها أقواتها، ولم يَدْحُها، ثم استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، فأخرج منها ماءها ومرعاها، وأرسى جبالها، أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، لأنه جلّ ثناؤه قال: **﴿والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها ﴾**، والمعروف من معنى **﴿بَعْد﴾** أنه خلاف معنى **﴿قَبْل﴾**، وليس في دحو الله الأرض بعد تسويته السموات السبع، وإغطاشه ليلها، وإخراجه ضحاها، ما يوجب أن تكون الأرض خُلقت بعد خلق السموات؛ لأن الدحو إنما هو البسط في كلام العرب، والمدّ يقال منه: دحا يدحو دَحْواً."[١]

وقد ذكر الإمام النسفي رأياً مشابهاً، إلى جانب تفسيره لمعنى دحاها، حيث قال: " قوله تعالى: **﴿والأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾** بسطها وكانت مخلوقة غير مدحوة فدحيت من مكة بعد خلق السماء بألفي عام. "[٢]

أما بالنسبة للمسألة الثالثة وهي إخراج الماء من الأرض، يقول الله تعالى: **﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا ﴾** فقد فسر الإمام الطبري إخراج الماء بتفجير الأنهار فيها، أما إخراج المرعى فهو إنبات النبات، سواء كان هذا النبات قوتاً لبني آدم كالحب والثمار أم قوتاً للأنعام والماشية كالعشب والحشيش. [٣].

وبعد هذا العرض لأقوال علماء التفسير– رحمهم الله– في الآيتين الكريمتين، يُلاحظ فيما يتعلق بمسألة دحو الأرض أنهم لم يَخرجوا عن تفسيرهم لدحيها عن معنى البسط والمد، بالرغم من وجود معاني أخرى للدحي في اللغة لم يذكرها المفسرون، كما يلاحظ اعتبارهم أن الدحو والطحو في قوله تعالى: **﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴾** (الشمس:٦) بمعنى واحد وهو: المد والبسط، حيث يقول الإمام الخازن: **﴿والأرض وما طحاها﴾** أي بسطها وسطحها على الماء[٤].
وذلك ما قاله الإمام الألوسي في تفسير قوله تعالى: **﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴾**: " أي بسطها من كل جانب ووطأها كدحاها، ويكون طحا بمعنى ذهب."[٥]

وقد ذكر الدكتور منصور حسب النبي بعض المعاني اللغوية الواردة في كلمة الدحو وهي:

---

[١] جامع البيان، م ١٥، ج٣٠، ص٥١،٥٢.

[٢] مدارك التنزيل وحقائق التأويل، م٢، ج٤، ص٤٨٤.

[٣] انظر: (جامع البيان) م١٥، ج٣٠، ص٥٢ (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) م٢، ج٤، ص٤٨٤، (في رحاب التفسير) عبد الحميد كشك، م٩، ج٣٠، ص٧٨٥٧ .

[٤] لباب التأويل في معاني التنزيل، م٤، ج٦، ص٢٥١.

[٥] روح المعاني، م١٦، ج٣٠، ص٢٥٦.

١) دحا بمعنى جعلها كالدحية، أي كالبيضة.

٢) دحا بمعنى رمى من المقر.

٣) دحا بمعنى أزاح[١].

وخلاصة القول أن الفعل دحا يشمل: المد، والبسط، وإعطاء شكل البيضة، والرمى من المقر، والإزاحة، وكل هذه المعاني حدثت للأرض والله تعالى أعلم، وفيما يلي البيان:

**أولاً: الدحو بمعنى جعلها كالدحية: أي كالبيضة:** اعتقد الناس قديماً أن الأرض مسطحة كالقرص، وترتكز على ثلاثة حيتان، وكان المعارضون لهذا الرأي يُعذَبون ويُحرَقون، لهذا لم يجرؤ أحد أن يعارض هذه الخرافة.

ورغم انتشار هذه الخرافة وغيرها من الخرافات، فقد أعلن بعض علماء الإغريق أن الأرض كروية بناءً على قياسات معينة، كما كان لعلماء المسلمين اجتهاداتهم في هذا الأمر، حيث أكدوا كروية الأرض، بل وقاسوا حجم وقطر ومحيط الكرة الأرضية، ومع ذلك ظل الإحساس العام بانبساط الأرض سائداً عبر قرون؛ لصعوبة التوصل إلى حقيقة كروية الأرض عملياً. [٢]

أما الآن فقد أصبح من المثبت علمياً كروية الأرض، كما ثبت انبعاجها، وكان أول من تكلم في مسألة انبعاج الأرض من العلماء نيوتن، كان ذلك بعد نزول القرآن وإقراره لهذه الحقيقة بأكثر من ألف عام، حيث افترض انبعاج الأرض وعدم تساوي قطريها، وفق قياسات معينة، ظل ذلك افتراضاً إلى أن بدأ عصر الفضاء في عام ١٩٥٨م، حيث تم تصوير الأرض، وثبتت كرويتها وانبعاجها بالمشاهدة، كما ثبت اختلاف طول قطريها، مما أعطى الكرة الأرضية شكلاً بيضاوياً، ولو أن الفرق ضئيل مما يجعل الأرض أقرب إلى الكرة عند النظر إليها، وقد فسر العلماء هذا الانبعاج بأن بداية الأرض كانت لينة كالعجين نتيجة لارتفاع درجة حرارتها، وكانت تدور حول نفسها بسرعة أكبر من سرعتها الحالية، مما أدى إلى انبعاجها وسحبها عند خط الاستواء، وضغطها عند القطبين، وهكذا دحا الله تعالى الأرض وجعلها كالدحية أي البيضة؛ نظراً للاختلاف الطفيف في طول قطرها الاستوائي[٣].

---

[١] مقال: حركات الأرض بين العلم والقرآن (كتاب الإعجاز ١)، ص١١٥،١١٤ (بتصرف).

[٢] المرجع السابق، ص١١٠( بتصرف).

[٣] انظر: (المرجع السابق) ص١١١ ،١١٢.

**ثانياً: الدحو بمعنى الرمي من المقر:** وهذا ما قاله العلماء لما حدث للأرض عند انفصالها عن الشمس منذ ٤.٦ مليار سنة تقريباً، وهو يتطابق مع مفهوم الدحو في الآية الكريمة.

**ثالثاً: دحا بمعنى أزاح:** كما ورد في اللغة دحا المطرُ الحصى عن الأرض، والإزاحة معناها حركة بسرعة معينة مما يشير إلى حركة الأرض، ولقد اكتشف العلم الحديث خمس حركات رئيسة لكوكب الأرض.

**رابعاً: المد والبسط، وهذا ما سيأتي تفصيله في المطلب القادم بإذن الله تعالى.**

أما فيما يتعلق بالمسألة الثالثة، وهي قوله تعالى:﴿**أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا**﴾ من الناحية العلمية فقد وُضِعت العديد من النظريات لتفسير نشأة الغلاف المائي للأرض، أَجملها الدكتور زغلول النجار في ثلاث نظريات رئيسة، وهي:

١) اقترحت إحداها أن ذلك قد تم بتفاعل كل من غازي الإيدروجين والأوكسجين في حالتهما الذرية في الغلاف الغازي الأولي، المحيط بالأرض، في مراحل خلقها الأولى.

٢) وتقترح النظرية الثانية أن ماء الأرض أصله من جليد المذنبات.

٣) والثالثة أن كل ماء الأرض قد أُخرِج أصلاً من داخل الأرض[(١)].

ومن الملاحظ أن النظرية الثالثة هي الأقرب إلى مفهوم الآية الكريمة، كما أن "الشواهد العلمية العديدة التي تجمعت لدى العلماء تؤكد أن كل ماء الأرض قد أُخرِج أصلاً من داخلها، ولا يزال خروجه مستمراً من داخل الأرض عبر الثورات البركانية المتعاقبة."[(٢)]

وقد فسر العلماء وجود الماء، وخروجه من باطن الأرض، بأن وشاح كوكب الأرض كان في بدء خلقه منصهراً، ولا يزال جزؤه الأعلى في حاله لدنة، شبه منصهرة، عالية اللزوجة والكثافة، ويُعتقد أن هذه الصهارة كانت هي المصدر الرئيس لبخار الماء، وعدد من الغازات التي اندفعت من داخل الأرض، حيث لعبت دوراً مهماً في تكوين كل من الغلافين الغازي والمائي للأرض، وقد شاءت قدرة الله تعالى أن يُسِكن في الأرض هذا القدر الهائل من الماء؛ ليسخره لسكن الإنسان عليه، وتلبية جميع متطلبات حياته، وقد أخرج من باطن الأرض كميات محسوبة من الماء؛ لتحقيق توازن دقيق للحرارة على سطحه، فلو زاد قليلاً لغطى سطحها، ولو قل قليلاً لقصر دون الوفاء بمتطلبات الحياة عليها.

---

[(١)] الأرض في القرآن الكريم، ص١٣٥ (بتصرف).

[(٢)] الأرض، د. زغلول النجار، ص١٣٥.

ولكي يحفظ الله ﷻ هذا التوازن، جعل كميات الماء ثابتة متوازنة، فنسبة بخار الماء في الغلاف الغازي للأرض ثابتة، وهو في دورة مستمرة بين الأرض وغلافها الغازي، لذا فكم الأمطار سنوياً على الأرض مساوياً، لكم التبخر من على سطحها وإن تباينت أماكن وكميات المطر من منطقة وأخرى. [١]

بعد هذا العرض لأهم الدراسات الكونية في موضوع الآية ترى الباحثة أن الآية الكريمة فيها من الحقائق، ما يَعجز أمامها أصحاب العقول المستنيرة، وذلك في عدة جوانب:

١) فالتعبير القرآني بقوله تعالى: ﴿**وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا**﴾ يؤكد بوضوح حقيقة ترتيب دحي الأرض بالنسبة لبناء السماء، وفيه إشارة واضحة إلى أن الأرض كانت مخلوقة من قبل غير مدحوة، ومن ثم بعد رفع السماء وبنائها دُحيت لتتاسب هبوط الإنسان عليها، وهذا ما فهمه معظم علماء التفسير، وجاءت به علوم الفلك الحديثة.

٢) قوله تعالى: ﴿**وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا**﴾: لفظة الدحو تحتمل معاني لُغوية كثيرة، وبعرض بعض الدراسات الكونية، تبين تطابق معظم هذه المعاني مع ما جاء من دراسات، مع سَبق القرآن الكريم للمفاهيم العلمية في إثبات كروية الأرض وانبعاجها، حيث كان أول فرض لانبعاج الأرض قد افترضه نيوتن، بعد نزول القرآن الكريم بأكثر من ألف عام.

٣) أما قوله سبحانه: ﴿**أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا**﴾: يُلاحظ من خلال عرض بعض النظريات عدم تأكيدها مصدر الماء على سطح الأرض، إلا في زمنٍ متأخر وجاء ذلك بعد أن توفرت للعلماء بعض المشاهدات والحقائق عن دورة المياه بين الأرض وغلافها الغازي، وأن مصدر الماء هو باطن الأرض أصلاً، في حين جاء التعبير دقيقاً في القرآن الكريم، بإخراج الماء من الأرض، منذ أكثر من ١٤٠٠ عام، على لسان النبي الأمي محمد ﷺ، وهذا كله ليس بمستغرب فالقرآن الكريم هو كلام خالق هذا الكون ومدبره، ولم يكن هذا العرض للدراسات الكونية في سياق إثبات صحة القرآن الكريم –والعياذ بالله– وإنما هو في سياق دعوة المسلمين للتدبر في آياته؛ ليكون لهم السبق في إثبات مثل هذه الحقائق من خلال كتابهم الكريم، وما فيه من كنوز؛ وليزداد إيمانهم ويقينهم، وليس في ذلك أي ضير، فقد سأل نبينا إبراهيم عليه السلام الله ﷻ أن يُريه إحياء الموتى من باب اطمئنان القلب، فلم يُنكر سؤاله سبحانه، بل أجابه ما سأله، حيث قال عزَّ من قائل: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن**

---

[١] انظر: (الأرض) ص١٤٠،١٤١.

**لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ (البقرة:٢٦٠).

وهو أيضاً صفعة على وجه كل مُنكِر لوجود خالقٍ مدبرٍ لهذا الكون، ولمن يُفسر هذا التوازن الدقيق والإبداع في الخلق أنه بمحض صدفة، وهو رسالة لكل من كذَّب بدين محمد ﷺ فأنّى لمحمد –عليه أفضل الصلاة والتسليم– بمثل هذه الحقائق المبهرة عن الكون، إن لم تكن من عند خالِقه وموجِده، فسبحان الخالق المبدع القائل بكتابه العزيز:

﴿ **قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ (الفرقان:٦).

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.

**المطلب الثاني: بسط الأرض وتمهيدها:**

جاء ذِكر بسط الأرض، وتمهيدها، وتسخيرها للإنسان، في العديد من الآيات، وبألفاظ عدة، فمنها ما كان بلفظ بساطاً، ومنها مهاداً أو مهداً كما جاء في سورة طه، وبعضها فراشاً، وفي مواضع أخرى جاء التعبير بلفظ قراراً، والملاحظ أن علماء التفسير لم يُفرّقوا بين هذه الألفاظ، بل جعلوها مترادفة، وفسَّروا بعضها ببعض.

فلفظ بساطاً، في قوله تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ بِسَاطاً * لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً** ﴾ (نوح: ١٩،٢٠) فسره الإمام الشوكاني بالفراش حيث يقول: ﴿**وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ بِسَاطاً**﴾ أي: فرشها وبسطها لكم تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم، أما السبل فهي الطريق، وقد وصفها سبحانه بالفجاج وهي جمع فج أي واسع فيكون المراد طرقاً واسعةً(١).

وكذلك المهاد في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا**﴾ (النبأ:٦) ففي معرض تفسيره للآية الكريمة، نقل الإمام الطبري قولاً لقتادة، حيث فسّر المهاد بالبساط(٢).

أما الإمام القرطبي فقد فسّر مهداً في قوله تعالى: ﴿ **ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً**﴾ ( طه: ٥٣): فراشاً وقراراً تستقرّون عليها(٣).

فجعل مهداً مرادفة لفراش في قوله سبحانه: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (البقرة:٢٢).

وقوله تعالى: ﴿**وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ**﴾ (الذاريات: ٤٨).

وفسَّر الإمام الخازن ﴿ **والأرض فرشناها** ﴾ بقوله: أي بسطناها ومهدناها لكم. (٤)

أما تأويل فراشاً عند ابن عطية: " أي تفترشونها وتستقرون عليها، وما في الأرض مما ليس بفراش كالجبال والبحار، فهو من مصالح ما يفترش منها؛ لأن الجبال كالأوتاد والبحار يُركب فيها إلى سائر منافعها."(٥)

---

(١) فتح القدير، ج٥، ص٤٢٥(بتصرف).

(٢) انظر: (جامع البيان) م١٥، ج٣٠، ص٥

(٣) الجامع لأحكام القرآن، م٦، ج١١، ص١٠٥.

(٤) لباب التأويل، م٤، ج٦، ص٢٤٦.

(٥) (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) الإمام القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ج١، ص١٤١.

وقد اختلف معهم قليلاً الإمام ابن كثير، حيث جعل القرار بمعنى الثبات في قوله تعالى: **﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾** (النمل:٦١)، حيث يقول: **﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَاراً ﴾** أي: قارة ساكنة ثابتة، لا تميد ولا تتحرك بأهلها، ولا ترجف بهم؛ فإنها لو كانت كذلك، لما طاب عليها العيش والحياة، بل جعلها من فضله ورحمته مهاداً بساطاً ثابتة، لا تتزلزل ولا تتحرك، كما قال تعالى في الآية الأخرى: **﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ قَرَاراً وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾** (غافر:٦٤) . أما قوله تعالى: **﴿وَجَعَلَ خِلاَلَهَآ أَنْهَاراً﴾** أي: جعل فيها الأنهار العذبة الطيبة، شقَّها في خلالها، وصرفها فيها، وسيَّرها في جميع الاتجاهات، بحسب مصالح عباده في أقاليمهم وأقطارهم، حيث ذرأهم في أرجاء الأرض، وسيّر لهم أرزاقهم بحسب ما يحتاجون إليه[١].

ولِفهم مقصود فرش الأرض وتمهيدها في الآيات الكريمة، وفهم عظمة قدرة الله ﷻ في تسخير الأرض، وإصلاحها لهبوط الإنسان عليها، لا بد من استعراض بعض الحقائق، والدراسات الكونية حول هذا الموضوع:

١) من المعروف علمياً أن اليابسة بدأت بسلاسل من الجبال شديدة الوعورة، وبفعل عوامل التعرية المختلفة من الرياح، والمياه الجارية، والتباين في درجات الحرارة، والجاذبية الأرضية، والكائنات الأرضية المختلفة، قامت هذه العوامل بعمليات التجويه والتحات إلى النقل والترسيب في تسوية تلك السلاسل الجبلية إلى تلال قليلة الارتفاع أو متوسطة، وسهول منبسطة تشقها الأودية والمجاري المائية، التي تحمل رسوبياتها إلى السهول والمنخفضات، كما تحملها إلى البحار والمحيطات، مكونة دالات عملاقة ومغمورة، تتقدم في البحار التي تصب فيها، وهنا تنتهي عمليات تعرية سطح الأرض بوصوله إلى مستوى سطح البحر على هيئة سهل منبسط.

٢) استمر الصراع بين العمليات الداخلية البانية لسطح الأرض والعمليات الخارجية الهدمية التي تحاول أن تصل بسطح الأرض إلى مستوى سطح البحر في دورات متتالية تعرف باسم: دورات شكل الأرض أو دورات التحات ظلت تعمل على مدى ٤.٦ بليون سنة على الأقل حتى تم تمهيد سطح الأرض وبسطه، في تبادل مستمر بين اليابسة والماء، القارات والمحيطات، وبين المرتفعات والمنخفضات، وغير ذلك من عمليات الاتزان الأرضي، وفي تلك الدورات المتبادلة

---

[١]تفسير القرآن العظيم، ج٦، ص٢٦٣٢(بتصرف يسير).

بين البناء والهدم، بحيث تكوّنت السهول الخصبة والتربة الغنية والركازات للمعادن المختلفة والصخور الرسوبية(١).

٣) أكَّد العلماء أن " معدلات تجمع الرسوبيات تتراوح بين مائة ومائتين من السنين للسنتيمتر الواحد من سمك الطبقات المترسبة، بينما تتراوح معدلات التعرية بين ثلاث سنوات وثلاثمائة سنة لإزالة سنتيمتر واحد من كتلة الصخور المتكونة."(٢)

هذا يعني أن عمليات بسط وفرش الأرض وتسخير سطحها حتى أصبح صالحاً للعمران، ولعيش الإنسان، دون أن يواجه صعوبة في شق السبل والطرق، التي تعينه على السلوك فيها، والتنقل من خلالها، قد استهلكت هذه العمليات من الزمن والطاقة ما لا تستطيع البشرية مجتمعة أن تقوم به، بهذا الاتزان الدقيق بين عمليات التعرية والترسيب، أو بالقدرة على تسخير كل هذه العوامل التي سخرها الله تعالى في سبيل هذا التمهيد، بالإضافة إلى عجزه عن الوفاء بتكلفته أصلاً.

بل وعجز الإنسان عن التوصل إلى حقيقة كون الأرض قد تعرضت إلى هذه العمليات الجبارة من المهد والفرش والتمهيد إلَّا في زمن العلوم حديثاً، حيث توصلوا إلى أن الأرض كانت بدايتها سلاسل جبلية وعرة، فتعرضت إلى عوامل مختلفة فَفُرِشت ومُهدت، في حين أن القرآن الكريم قد أشار إلى هذه الحقيقة منذ البعثة المحمدية.

فهلا يتأمل الإنسان هذه النعمة العظيمة، ويكون خير خليفة لله ﷻ على الأرض؟ وأما آن له أن يُحسن استخدام هذه النعم، من غير أن يَعيث فيها الفساد، بظلمه وعدوانه وغروره، ويُؤمن في خضوع لمن أبدع الخلق، وجعل الأرض نِعم المهاد والفراش؟ فسبحان الخالق القائل في كتابه العزيز:

﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾ (محمد: ٢٤)

---

(١) انظر: (الأرض) د. زغلول النجار، ص٢٩٩،٣٠٠.

(٢) المرجع السابق، ص٣٠٠.

**المطلب الثالث: إنزال الحديد:**

إنّ من نعم الله تعالى على عباده أنْ سخّر لهم الحديد، وأنزله في الأرض بما فيه من بأس شديد ومنافع للناس، يقول تعالى:

**﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾** (الحديد: ٢٥).

وقد اختلف أهل التفسير في تأويل مفهوم الإنزال في قوله تعالى: **﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾** فمنهم مَن أوَّل أنزلنا بمعنى خلقنا، ومنهم من أولها بجعلنا، وآخرون قالوا أن المراد من الإنزال حقيقته، وأن الحديد نزل مع آدم عليه السلام.

وقد تحدَّث الإمام الشوكاني عن بعض هذه الآراء تُجمِلها الباحثة فيما يلي:

١) **﴿ أَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾** أي: خلقناه، كما في قوله: **﴿أَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾** (الزمر:٦) والمعنى: أنه خلقه من المعادن، وعلّم الناس صنعته.

٢) نزل مع آدم **﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾** لأنه تتخذ منه آلات الحرب، **﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾**: أنهم ينتفعون به في كثير مما يحتاجون إليه مثل السكين، والفأس. [١]

٣) وقال البعض: أن الإنزال هو بمعنى الجعل أي: جعلنا الحديد فيه قوة شديدة في الحرب. [٢]

أما الإنزال من الناحية العلمية فالمراد حقيقته، وقد أصبح الآن من الثابت علمياً أن حديد الأرض ليس منها، وليس من الشمس أيضاً، وإنما قد أُرسل إليها من الفضاء الكوني، و تفصيل هذه المسألة في النقاط التالية:

١) بالنسبة للشمس: لا يمكن أن تكون مصدر الحديد الأرضي؛ وذلك لأن درجة حرارة سطح الشمس تقدر بحوالي ٦٠٠٠ درجة مئوية وتزداد تدريجياً نحو المركز إلى أكثر من ٢٥ مليون درجة مئوية، ويُقدر العلماء أنه عندما يتحول نصف الهيدروجين الشمسي تقريباً إلى هيليوم، ستصل درجة حرارة هذا النجم إلى نحو ١٠٠ مليون درجة مئوية، أما درجة الحرارة التي تحتاجها الشمس واللازمة لتكوّن عنصر الحديد فتصل إلى ٢٠٠٠ مليون درجة مئوية، عندها تتحول العناصر إلى مجموعة الحديد والتيتانيوم، ولما كانت هذه التفاعلات تحتاج إلى درجات حرارة مرتفعة جداً، فهي لا يمكن أن تحدث في الوسط الحراري الشمسي الحالي، الذي لا تتعدى

---

[١] (فتح القدير) ج٥، ص٢٥٣.

[٢] (بحر العلوم) أبي الليث نصر محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي،ج٣، ص٣٢٩.

نتيجة تفاعلاته عن إنتاج عنصر الهيليوم، ولم تصل بعد إلى الحد الذي يُمكنها من إنتاج السيليكون أو الماغنسيوم أو الحديد[١].

٢) ودرجات الحرارة هذه لا توجد إلا في مراحل متقدمة من عمر النجوم، تُعرف باسم المستعرات أو فوق المستعرات وفي فترات محدودة من تاريخها؛ فحين يتحول لب النجم إلى الحديد، فإنه يستهلك طاقة النجم بدلاً من إضافة مزيد من الطاقة إليه؛ لبدء تفاعلات جديدة؛ وذلك لأن نواة ذرة الحديد هي أشد نوى العناصر تماسكاً، وهنا ينفجر النجم على هيئة المستعر الأعظم، وتتناثر أشلاؤه في صفحة السماء لتدخل في نطاق جاذبية أجرام سماوية، تحتاج إلى هذا الحديد تماماً كما تصل النيازك الحديدية إلى الأرض بملايين الأطنان كل عام. [٢]

٣) لذا لابد لتلك المعادن الثقيلة من أن تكون قد تكونت في داخل هذا النوع من النجوم، التي انفجرت فتناثرت أشلاؤها الحديدية على هيئة وابل من النيازك الحديدية، وصل إلى الأرض وهي في مرحلتها الابتدائية، ولما كانت الأرض حينذاك غالبية عناصرها من العناصر الخفيفة، استقرت هذه العناصر الحديدية في لب الأرض، وساعدت في تشكلها بهيئتها الحالية. [٣]

٤) أثبتت البحوث أنه لولا الحديد الموجود في لب الأرض، لما أمكن العيش عليها، إذ إنه سبب سخره الله ﷻ لوجود المجال الكهرومغناطيسي للأرض، فكميات الحديد الهائلة في كل من لب الأرض الصلب، ولبها السائل تلعب دوراً مهماً، في جعلها قراراً أي كوكباً مستقراً، وفي توليد كل من جاذبية الأرض ومجالها المغناطيسي، وهذا المجال هو الذي يُمسك بكل من الغلاف الغازي والمائي والحيوي للأرض بتقدير من الله ﷻ وغلاف الأرض الغازي يحمي الأرض من الأشعة والجسيمات الكونية، والعديد من أشعة الشمس والكون الضارة. [٤]

إنَّ ملخص المسألة بعد هذا التفصيل أن هناك من علماء التفسير –رحمهم الله– من أوّل لفظ أنزلنا بجعلنا وخلقنا، والبعض ذكر أن الحديد نزل مع آدم ﵇.

أما الدراسات العلمية الحديثة، فهي تؤكد أن إنتاج عنصر الحديد يحتاج إلى درجات حرارة هائلة، لا يمكن أن تكون الأرض وسطاً ملائماً لوجودها، فضلاً عن الشمس، لذا فمصدر عنصر الحديد الموجود فيها، لا يمكن أن يكون مصدره الأرض نفسها، وبعد البحث والتطور في وسائل

---

[١] المنظار الهندسي للقرآن الكريم، د. خالد فائق العبيدي، ص٣٤٨،٣٤٩.

[٢] الأرض، د. زغلول النجار، ص١٢٥ (بتصرف).

[٣] المنظار الهندسي للقرآن الكريم ، د. خالد فائق العبيدي، ص٣٤٩ (بتصرف).

[٤] انظر: (المرجع السابق) ص٣٥٠، (الأرض) د. زغلول النجار، ص١٢٨.

الرصد، تبين أن هناك مراحل عمرية معينة لبعض أنواع النجوم تعتبر وسط حراري ملائم لتكوّن عنصر الحديد، هذه النجوم تسمى النوفا أو السوبر نوفا، وهي أكبر من الشمس الذي يُعتبر نجم متوسط بالنسبة لها.

وبعد عرض النظرة العلمية الكاملة لمصدر عنصر الحديد، يُمكن تأكيد هذه النظرة بما جاء في القرآن الكريم، فظاهر الآية الكريمة يُؤكد أن مصدر الحديد ليس من الأرض وإنما أُنزل إنزالاً إليها، وطالما أن هناك ما يَدعم الأخذ بظاهر اللفظة والقول بحقيقة الإنزال، فالأخذ بالظاهر أولى من تأويل اللفظة بمعاني أخرى مثل الجعل أو الخلق.

ومع هذا كله يبقى ذلك في إطار الاجتهاد البشري في تفسير الآية الكريمة والمراد بقوله تعالى: ﴿ **وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ** ﴾، وقد تأتي علوم وحقائق أخرى، تستطيع أن تفسر هذه المسألة تفسيراً أدق وأشمل، وإلى أن يأتي هذا الزمان يبقى اللفظ القرآني هو المهيمن والأصل، وهو السابق لكل العلوم، وقد ثبت سبقه لكل الدراسات القائلة بأن عنصر الحديد أصله ليس من الأرض، وليس ذلك بمستغرب فمُنزل القرآن هو الخالق سبحانه مبدع الأكوان والعالم بالأسرار والمكنونات.

## المبحث الثاني: الإعجاز العلمي في آيات خلق ما في الأرض

وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول: حكمة خلق الجبال وحركتها وألوانها**
- **المطلب الثاني: تصريف الرياح وتسخير السحاب**
- **المطلب الثالث: تسخير النبات وإحياء الأرض بالماء وإسكانه فيها**
- **المطلب الرابع: خلق الإنسان، واستخلافه في الأرض؛ لإعمارها**

## المبحث الثاني: الإعجاز العلمي في آيات خلق ما في الأرض

### المطلب الأول: حكمة خلق الجبال وحركتها وألوانها:

تحدَّث القرآن الكريم عن الجبال في الكثير من المواضع، إذ إنَّ الله ﷻ أرساها في الأرض قبل خلْق الإنسان، وعرض عليها الأمانة قبله، فأبت الجبال حملها، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾ (سورة الأحزاب٧٢).

ومن الأمانة أن يحفظ المُؤْتَمن ما أودعه الله تعالى في الدنيا من سنن خشيت السماوات والأرض وما فيهن أن تَحدن عنها وخشيت المجرات والنجوم والكواكب والأقمار أن تحدْن عن نظامها وأفلاكها، وخشيت النباتات والحيوانات والجبال والبحار أن تغير زينة خلق الله التي أمرها بها، وما جعله لها من سنن فأبين أن يحملن الأمانة وحملها الإنسان. [١]

والأمانة هي الطاعة أو الفرائض كما ذهب ابن عباس رضي الله عنه، وقد نقل الإمام ابن كثير قولاً له رضي الله عنه حيث قال: " يعني بالأمانة: الطاعة، وعرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم، فلم يطقنها، فقال لآدم: إني قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم يطقنها، فهل أنت آخذ بما فيها؟ قال: يا رب وما فيها؟ قال: إن أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت، فأخذها آدم، فتحملها، فذلك قوله تعالى: ﴿**وَحَمَلَهَا ٱلْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾، وعن ابن عباس رضي الله عنه أيضاً: الأمانة: الفرائض، عرضها الله على السموات والأرض والجبال، إن أدوها أثابهم، وإن ضيعوها عذبهم، فكرهوا ذلك، وأشفقوا عليه من غير معصية، ولكن تعظيماً لدين الله أن لا يقوموا بها، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها، وهو قوله تعالى: ﴿**وَحَمَلَهَا ٱلْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾ يعني: غراً بأمر الله."[٢]

**أولاً: الحكمة من خلق الجبال:** وقد تحدث الخالق عن الحكمة من خلق الجبال في بعض المواضع تجملها الباحثة فيما يلي:

١) **الإيواء إليها والتحصن بها:** حيث يقول سبحانه: ﴿ **وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ**﴾ (النحل: ٨١).

---

[١] البدء والإنسان كيف كان؟، حامد عوض الله ، ص٦٢.

[٢] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٦ ، ص٢٨٦٦، ٢٨٦٧ .

والأكنان هي جمع كنّ: وهو ما يستكنّ به من المطر، وهي هنا الغيران في الجبال، جعلها الله سبحانه عدّة للخلق يأوون إليها ويتحصنون بها، ويعتزلون عن الخلق فيها. [١]

٢) **رواسي للأرض:** لتكون مهيأة لعيش الإنسان عليها بلا ميل أو اضطراب، وهناك العديد من الآيات تحدثت عن هذه الحكمة، منها قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ**﴾ (الأنبياء:٣١)، أي: أو لم ير هؤلاء الكفار أيضاً من حججنا عليهم وعلى جميع خلقنا، أنَّا جعلنا في الأرض جبالاً راسية؟ فثبتناها لئلا تتكفأ بالناس؛ وليقدروا بالثبات على ظهرها، وجعلنا فيها أعلاماً وطرقاً، وقد ورد رأي لابن عباس ﷺ أن مقصود قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنا فِيها فِجاجاً**﴾ وجعلنا في الرواسي، فالهاء والألف من ذكر الرواسي، وفي قول آخر له ﷺ سبلاً بين الجبال، والحكمة من هذه السُبل كما فسرها الإمام الطبري: ﴿**لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ** ﴾: أي جعلنا هذه الفجاج في الأرض؛ ليهتدوا إلى السير فيها[٢].

ففي هذه الآية الكريمة يقرر الله ﷻ أن هذه الجبال الرواسي تحفظ توازن الأرض فلا تميد بهم ولا تضطرب، وحفظ التوازن يتحقق في صور شتى، فقد يكون توازناً بين الضغط الخارجي على الأرض والضغط الداخلي في جوفها، وهو يختلف من بقعة إلى بقعة، وقد يكون بروز الجبال في موضع معادلاً، لانخفاض الأرض في موضع آخر.. وعلى أية حال فهذا النص يثبت أن للجبال علاقة بتوازن الأرض واستقرارها، وكانت القدرة المبدعة المدبرة لهذا الكون الكبير بجعل الفجاج في الجبال ﴿ **وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ** ﴾ والفجاج وهي الفجوات بين حواجزها العالية، تتخذ منها سبلاً وطرقاً، وذِكر هذه الفجاج هنا مع الإشارة إلى الاهتداء، يصور الحقيقة الواقعة أولاً، ثم يشير من طرف خفي إلى شأن آخر في عالم العقيدة، فلعلهم يهتدون إلى سبيل يقودهم إلى الإيمان، كما يهتدون في فجاج الجبال.[٣]

وعن حكمة الاهتداء بسبل الجبال يقول الإمام السمرقندي في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ، وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ** ﴾ (النحل:١٥).

---

[١] فتح القدير، الشوكاني، ج٣، ص٢٠٩.

[٢] انظر: (جامع البيان) الطبري، م١٠، ج١٧، ص ٢٥، ٢٦.

[٣] في ظلال القرآن، سيد قطب، م٤، ص٢٣٧٦، ٢٣٧٧ (بتصرف يسير).

**﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾** " أي: تعرفون بها الطرق، ﴿ **وَعَلامَاتٍ** ﴾ أي: جعل في الأرض علامات من الجبال وغيرها تهتدون بها الطرق في حال السفر"(١)، حيث جعل العلامات عائدة على الجبال.

والعلماء في مجال علوم الأرض اختلفوا في فهم دور الجبال في الأرض، كما لم يفهم الناس في العصور المتتالية دورها في إرساء وتثبيت الأرض، حتى توصل العلماء إلى صياغة هذا الدور في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن العشرين، وهم لم يتوصلوا إلى هذا التصور إلَّا بعد تطور أبحاث علم الجيولوجيا والأرض، وتطور أجهزة الرصد والنقب. (٢)

أما التصور الذي وصلوا إليه، فهو أن الجبال لها دور أساس في إرساء الأرض، حيث اتجه العلماء إلى السلاسل الجبلية التي تمتد عبر قيعان البحار والمحيطات، فوجدوا أنها تتكون من صخور نارية، وصخور بركانية شبيهة بالصخور التي تفور بها فوهات البراكين على سطح الأرض، فبدءوا بالبحث كيف تكونت هذه البراكين، فوجدوا أن هذه السلاسل تحيط بشبكة هائلة من الصدوع، تمتد عشرات الكيلومترات طولاً وعرضاً، وتُمزق الغلاف الصخري إلى عمق مائة كيلو متر، فأيقنوا أن من صفات الأرض الأساسية أنها ذات صدوع، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله سبحانه: ﴿ **وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ** ﴾ (الطارق: ١٢) حيث أقسم وهو الغني عن القسم بصدع الأرض، هذه الشبكة الهائلة من الصدوع يندفع منها الحمم البركانية لتُكوِّن سلاسل جبلية بركانية في البحر، فتعمل الطفوح البركانية إلى إزاحة جوانب قيعان البحار والمحيطات، وحينما تتحرك تحت القارات تتكون جيوب تترسب فيها كميات هائلة من الصخور الرسوبية، وحينما تتحرك تمر بدرجات حرارة عالية، فينصهر ويؤدي إلى زيادة النشاط البركاني، يختلط ذلك بالكم الهائل من الصخور الرسوبية، ليتكون في هذا الجيب الجبال، وحينما تتكون السلسلة الجبلية فإنها تعمل كالمسمار تماماً الذي يخلط مادة القارة بقاع المحيط وتمر هذه العملية بمراحل مذهلة، تبدأ بظهور جزر بركانية في قيعان البحار والمحيطات، وتظهر هذه الجزر – وهي قمم لسلاسل جبلية متكونة– فوق قيعان البحار والمحيطات، مثل: جزر هاواي والفلبين وأندونيسيا، كل هذه الجزر، هي قمم لسلاسل جبلية بركانية هائلة. (٣)

---

(١) بحر العلوم، ج٢، ص٢٣١.

(٢) بحث: المدلول العلمي للجبال في القرآن الكريم ، أ.د.زغلول النجار، ص١٨ (كتاب الإعجاز ٦ ) (بتصرف).

(٣) انظر: (بحث: المدلول العلمي للجبال) أ.د.زغلول النجار، ص١٨-٢٢ (كتاب الإعجاز ٦).

هذا التصور يظهر من تعقيده، مدى صعوبة التوصل إليه، وصياغته، بالرغم من أن العلم قد توصل إليه في زمن تطور العلوم والتقنيات، وكان ذلك حديثاً، في حين أن القرآن الكريم صرَّح بحقيقة إرساء الأرض بالجبال منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، فهل بعد هذا الإعجاز إعجاز؟

٣) **تخزين الماء العذب وتكوين الأنهار**: فقد لفت الله ﷻ إلى حكمة ثالثة للجبال، حيث أشار إلى العلاقة بين الجبال الشامخات والماء العذب، وذلك في قوله عزَّ من قائل: **﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاء فُرَاتًا﴾** (المرسلات: ٢٧)، أي: " ثابتات سامقات، تتجمع على قممها السحب، وتتحدر عنها مساقط الماء العذب". [١]

وهناك لفتة جميلة للإمام الألوسي في سياق حديثه عن تفسير الآية الكريمة، حيث ذكر أن تنكير رواسي للتفخيم، أو " للإشعار بأن في الأرض جبالاً لم تُعرف، ولم يُوقف عليها، فأرض الله تعالى واسعة، وفيها ما لم يعلمه إلا الله ﷻ."[٢]

وقد تحدَّث العلماء عن هذا الدور للجبال في تخزين المياه وتكوين الأنهار العذبة، وهذه الحقيقة العلمية لم يعرفها العلماء إلا حديثاً، ففي القرن التاسع عشر عام ١٨٦٢م عرف العلماء مصادر مياه نهر النيل حيث أثبتوا أن مياه النيل الأبيض تتأتى من اصطدام بخار الماء المتصاعد من المحيط الهندي بجبال القمر العالية في كينيا، حيث يتكثف لدى اصطدامه بقمم الجبال الباردة، فيتحول إلى شلالات هي مصدر مياه النيل، وكذلك الأمر بالنسبة لنهر الكنغو، فالجبال تلعب دور المصفاة بالنسبة للثلوج التي تكللها، والمياه المتساقطة عليها، بحيث ترشح المياه بصورة تدريجية إلى الطبقات الداخلية فيها، والأرض القريبة منها فتتخزن مياه جوفيه، وبعد استكشاف القطب الجنوبي منذ سنة ١٨٢٠م، تبيَّن أنه قارة تغطيها الثلوج المتجمدة ترتفع إلى علو ١٥٠٠م، وهذا الجبل الهائل من الجليد المتجدد منذ مئات الملايين من السنين، يشكِّل ٩٠% من مخزون المياه العذبة[٣].

وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة، حيث ربطت في إعجاز مبهر بين الجبال الشامخات العالية والمياه العذبه، فكانت هذه حكمة أخرى من خلق الجبال، لتكون مصدراً من مصادر المياه العذبة لمخلوقات الأرض وخليفة الله تعالى فيها.

---

[١] في ظلال القرآن، سيد قطب، م٦، ص٣٧٩٣.

[٢] روح المعاني، م١٦، ج٢٩، ص٣٠١.

[٣] انظر: (من علوم الأرض القرآنية) د. عدنان الشريف، ص٤٩ ،٥٠ .

٤) **جعلها أوتاداً للأرض**: وذلك في قوله تعالى: **﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾** (النبأ: ٧) حيث جعل الله ﷻ الجبال أوتاداً للأرض، وشبه الجبال بالأوتاد؛ لأنها تثقل الأرض وتمنعها من أن تميد، كما ثبت البيت بالأوتاد.[١]

وفي ذلك يقول الإمام الخازن: " **﴿والجبال أوتاداً﴾** يعني للأرض حتى لا تميد"[٢].

ويلاحظ في هذه الآية أن الله تعالى قد شبَّه الجبال بالأوتاد، وفي محاولة لفهم هذا التشبيه، يُمكن استعراضه من ناحيتين:

١) **الوصف الشكلي**: والسؤال هنا: هل ينطبق وصف الوتد من ناحية الشكل على الجبل؟ فمن المعروف أن الوتد بصفة عامة سواء وتد الخيمة أو غيرها، يُدق في الأرض الجزء الأكبر منه، ويَظهرُ ما يعادل الثُلُث فوق سطح الأرض.

٢) **الوصف الوظيفي**: إن وظيفة الوتد بالنسبة للخيمة: هو تثبيت الخيمة ومنعها من التحرك أو الاضطراب، فما وجه الشبه بين الجبل والوتد من ناحية الوظيفة؟

تُجيب عن هذه التساؤلات الدراسات العلمية التي أثبتت أن الجبال تنغرس أسفل سطح الأرض ما يساوي ١٠-١٥ ضعف ما يَظهر منها فوق سطح البحر، وأن جبال الهملايا مثلاً لا يتعدّ بروزها ٩ كم، بينما جذورها تصل إلى ٧٥ كم تحت سطح الأرض، أما من ناحية الوظيفة، فكما أن الوتد يُثبت شيئاً يعلوه ألا وهو الخيمة من التحرك أو الاضطراب، كذلك الجبال تُثبِت شيئاً يعلوها، وهو الغلاف الجوي للأرض، فبفعل جاذبية الأرض التي تمثل الجبال جزءاً هاماً منها، تستطيع الأرض بقدرة الله تعالى أن تمسك الغلاف الجوي – الذي يُعد خط الحماية الأول للأرض– من الهروب، وقد قام العلماء بحساب كتلة الأرض من دون كتلة الجبال بجذورها الممتدة تحت سطح الأرض، والتي تُمثِل الجزء الأكبر من كتلة الجبال، فوجدوا أن الأرض بدون كتلة الجبال لا يُمكن أن تتمكن من الإمساك بالغلاف الجوي، فسبحان من سخر الجبال أوتاداً للأرض وأهلها أن تميد بهم [٣].

ولا يسعُ المسلم أمام هذه الآية إلا أن يقول سبحان من أنزل حقيقة وتدية الجبال منذ أكثر من ١٤٠٠ عام، وقد كان الاعتقاد السائد أن الجبال هي مجرد بروزات من القشرة

---

[١] انظر: (المحرر الوجيز) ابن عطية،ج١٦، ص٢٠٦ ، (البحر المحيط) أبو حيان، ج١٠، ص٣٨٤.

[٢] لباب التأويل في معاني التنزيل، ج٧، ص١٩٩.

[٣] انظر: (مقال: وتدية الجبال بين القرآن والعلم) الدكتور أحمد المزين، جريدة الرسالة – فلسطين.

الأرضية، ولم تَثبت حقيقة وجود أوتاد راسخة تحت سطح الأرض إلا في زمن تقدم العلوم والأبحاث، " وكان ذلك في بداية الثلاثينيات من القرن العشرين، حيث قام العلماء الجيوفيزيقيين بدراسة جبال الألب وجبال الروكي في أمريكا، بطرق علمية ملموسة، بواسطة دراسة الهزات الأرضية، والقياسات التثاقلية للأرض، واستطاعوا أن يؤكدوا بما لا يدع مجالاً للشك أن هذه الجبال الظاهرة على سطح الأرض والمرتفعة ارتفاعاً كبيراً، لها امتدادات تزيد عن هذا الارتفاع من: (١٠ –١٥) ضعف." [(١)]

أما قبل ذلك فلم يتعد مفهوم العلم عن الجبال في أنها: " منطقة من الأرض أعلى بكثير نسبياً من الأراضي المحيطة بها، وهذا تعريف دائرة المعارف البريطانية للجبال، فهي تقتصر على تعريف الجبال بأنها نتوءات بارزة بالنسبة للمنطقة المحيطة بها." [(٢)]

فسبحان القائل في كتابه العزيز: ﴿ **وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا** ﴾ (النبأ: ٧)

**ثانياً: حركة الجبال وأنواعها وألوانها:** ذكر القرآن الكريم حقيقة أخرى وهي إثبات حركة الجبال وعدم سكونها، وأنها في حركة دائمة حيث يقول سبحانه: ﴿ **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ** ﴾ (النمل:٨٨)

وفي ذلك يقول ابن عباس ﷺ قوله: "﴿**وَتَرَى الجبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً**﴾ يقول: قائمة، وإنما قيل: ﴿ **وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ** ﴾ لأنها تجمع ثم تسير، فيحسب رائيها لكثرتها أنها واقفة، وهي تسير سيراً حثيثاً "[(٣)].

ونقل الإمام السيوطي قولاً لقتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وترى الجبال تحسبها جامدة** ﴾ قال: " ثابتة في أصولها لا تتحرك ﴿ **وهي تمر مر السحاب** ﴾" [(٤)].

ولقد اعتقد بعض المفسرين أن هذه الآية تشير إلى زوال الجبال يوم القيامة، حيث يقول الإمام ابن كثير: " قوله تعالى: ﴿ **وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ** ﴾

أي: تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه، وهي تمر مر السحاب، أي: تزول عن أماكنها؛ كما قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْراً وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْراً**﴾ (الطور:٩ – ١٠)." [(٥)]

---

(١) مقال: المدلول العلمي للجبال، أ.د.زغلول النجار، ص١٦ (كتاب الإعجاز ٦).

(٢) المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ص٢٧، ٢٩.

(٣) انظر: (جامع البيان) الطبري، م١١، ج٢٠، ص٢٤.

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج٦، ص٣٨٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم، م٦، ج٦، ص٢٦٤٤.

وهناك من يرى أن الآية احتوت إشارة إلى ظاهرة كونية عظيمة، ألا وهي حركة الجبال، فالآية تشير صراحة أن الجبال ليست ساكنة أو ثابتة كما يتصورها الناس، وقد شبَّهت حركتها بالسحاب المتحرك، " وكما هو معروف فالسحاب لا يتحرك بذاته، ولكنه يتحرك محمولاً على الرياح كما في قوله تعالى: **﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾** (فاطر:٩) وإرسال الرياح يتم بحركتها؛ لتهب من مكان لآخر، فتساعد على تكوين وإظهار السحب بما تحمل من بخار ماء، ونوى التكاثف، ثم تحريك هذا السحاب محمولاً على الرياح كما في قوله تعالى:**﴿فَسُقْنَاهُ ﴾**. "[١]

فالسحاب إذن يتحرك راكباً الرياح، وكذلك الجبال فهي عبارة عن بروزات من القشرة الأرضية للصفائح التكتونية المكونة للأرض، وتتحرك نوعين من الحركة: أفقية و رأسية، وفيما يلي البيان:

**أولاً: الحركة الأفقية:** تتمثل في حركة الصفائح والألواح التكتونية، فهي في حركة دائمة بمقدار ثابت محسوب، محمولة على الصهارة الداخلية داخل بطن الأرض، إذن فالألواح، وما تحمله من جبال فوقها، في حركة دائمة تبعاً لحركة الصهارة الداخلية للأرض.

**ثانياً: الحركة الرأسية:** إن من الثابت علمياً أن الجبال تتحرك رأسياً، حيث إن من صفاتها التجدد، فكلما نحتت الرياح من قممها، تجددت بخروج جذور بنفس القدر الذي تم نحته من قبل الرياح، فهي تنمو باستمرار إلى أعلى على مر الزمن[٢].

وترى الباحثة أنه وبإسقاط الحركتين على حركة السحاب، يُمكِن ملاحظة الترابط الوثيق بين الجبال والسحاب من حيث نوعي الحركة، فكما أن الجبال تتحرك حركة أفقية دائمة ممتطية الصفائح التكتونية للأرض، كذلك السحاب تتحرك في حركة دائمة أفقية ممتطية الرياح، وكذلك الحركة الرأسية فالجبال في نمو وحركة مستمرة إلى أعلى، وكذلك السحاب خاصة السحب الركامية، كما سيأتي لاحقاً.

ويُمكِن التوفيق بين آراء المفسرين والعلماء، والجمع بين الإشارة إلى إثبات حركة الجبال، والإشارة إلى زوالها يوم القيامة، أو حتى بفعل عوامل التعرية المختلفة على كوكب الأرض، فالآية القرآنية جاء فيها الإشارة إلى حركة الجبال، في سياق الحديث عن أهوال يوم

---

[١] المعارف الكونية، ص٣٢١.

[٢] انظر: محاضرة بعنوان: تأملات في آيات الجبال بالقرآن الكريم ، د. أحمد المزين، مركز الإعجاز العلمي-فلسطين، ٢٠١١/٣م.

القيامة، حيث يقول الله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلاَّ مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ * وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ** ﴾(النمل: ٨٨-٩٠)

فمن خلال السياق، يُمكن تفسير الحركة المقصودة في الآية بزوال الجبال يوم القيامة، ولا مانع أيضاً من اعتبارها إشارة إلى زوالها بفعل عوامل التعرية المختلفة، وهناك دافع قوي لاعتبارها إشارة لحركة الجبال الحقيقية على القشرة الأرضية كما جاء سابقاً، وذلك من خلال الفاصلة القرآنية للآية، حيث قال تعالى في فاصلة الآية: ﴿ ... **صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ** ﴾ فتسخير حركة الجبال التي أثبتها العلم هي من قدرة الله، وصنعه البديع الذي أحسن كل شيء.

فسبحان من أنزل القرآن الكريم مُعجِزاً لكل زمان ومكان، بما احتوت آياته من إشاراتٍ شتى، مكنت متدبريها من أصحاب العقول والأفهام المتفاوتة، فهمها كل حسب تفكيره، وما توفر لديه من علوم.

ومن خلال ما سبق يتبين روعة التشبيه القرآني لحركة الجبال بحركة السحاب، إلى جانب إثبات هذه الحركة، وقد كان يُظَن إلى فترة قريبة أن الجبال ساكنة غير متحركة، وخالدة غير زائلة.

فالكنيسة الغربية قد حاربت العالِم جيمس هاتون في القرن السابع عشر؛ لمجرد إعلانه المبدأ الجيولوجي الهام المعروف بالتغير المستمر والتدريجي للقشرة الأرضية عبر الأحقاب الجيولوجية المختلفة، حيث أشار إلى زوال الجبال بفعل عوامل التعرية المختلفة، فحاربته الكنيسة التي اعتقدت بخلود الجبال، وبهذا أدركت أوروبا بعد نزول القرآن بأكثر من ألف عام أن الجبال تمر مر السحاب؛ لأنها تذوب كالضباب بفعل عوامل التعرية التي سخرَّها الله تعالى، فالقشرة بما عليها من جبال كالسحاب، تتشكل ثم تتحرك، وتختفي عبر السنين، أو تزول فجأة بإرادة الله سبحانه.(١)

وهنا يتجلّى الإعجاز القرآني، فأنَّا لمحمد ﷺ مثل هذه المعلومات الجيولوجية، التي لم يتم اكتشافها إلا حديثاً في عصر تطور العلوم الأرضية، إن لم تكن من لدن الخبير العليم، القائل في كتابه العزيز: ﴿ **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾ (النجم٤-٥).

---

(١) المعارف الكونية، ص ٣٢٢ (بتصرف).

أما ما جاء في أنواع الجبال وألوانها، فقد ورد في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ**﴾(فاطر:٢٧).

نقل الإمام القرطبي في كلمة جدد الواردة في الآية الكريمة عدة آراء على النحو التالي:

١) الجدد جمع جُدّة، وهي الطرائق المختلفة الألوان.

٢) وقيل: إن الجدد القِطع، مأخوذ من جددت الشيء إذا قطعته.

٣) والجُدَّة الخُطّة التي في ظهر الحمار تخالف لونه.

٤) والجُدّة الطريقة، والجمع جدد؛ قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا**﴾ أي طرائق تخالف لون الجبل، ومنه قولهم: كساء مجدّد: فيه خطوط مختلفة. [١]

وقد نقل الإمام السمين الحلبي قولاً لأبي فضل[٢] حيث قال: "هي ما تخالَفَ من الطرائق لونُ ما يليها، ومنه جُدَّة الحِمارِ للخَطِّ الذي في ظهرِه، وهي أيضاً: جمع جديد بمعنى آثار جديدة واضحة الألوان."[٣]

وقوله سبحانه: ﴿**وغَرابيبُ سُوْدٌ**﴾: " الغِربيب الشديد السواد، ففي الكلام تقديم وتأخير، والمعنى: ومن الجبال سود غرابيب، والعرب تقول للشديد السواد الذي لونه كلون الغراب: أسود غربيب."[٤]

وقد أثبت علماء الجيولوجيا أن الغالبية العظمى من صخور الأرض وجبالها بين هذه الألوان الثلاثة، كما ذكر ذلك الدكتور زغلول النجار بقوله: " من الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها، هذه مادة القارات، وغرابيب سود هذه مادة قيعان البحار والمحيطات والصخور التي تنطلق من فوهات البراكين، وهذه أعظم تقسيمات الصخور." [٥]

وذكر أن مجيء التعبير بهذه الألوان بالذات؛ لأن الغالبية العظمى من مادة غلاف الأرض إما مكونة من:

١) صخور جرانيتية: يغلب عليها اللون الأبيض أو الأحمر بدرجات متفاوتة.

---

[١] الجامع لأحكام القرآن، م٧، ج١٤، ص٢٤٩ (بتصرف).

[٢] هو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين المعروف بالحافظ العراقي، بحّاثة من كبار حفاظ الحديث أصله من الكرد، ولد عام ٧٢٥هـ وتوفي في القاهرة عام ٨٠٦هـ ومن كتبه: "الألفية" في غريب القرآن. انظر: (الأعلام) ج٣، ص٣٤٤

[٣] الدر المصون، ج٩، ص٢٢٧

[٤] (الجامع لأحكام القرآن) م٧، ج١٤، ص٢٤٩.

[٥] مقال: المدلول العلمي للجبال، ص٢٤ (كتاب الإعجاز ٦).

٢) صخور قيعان البحار والمحيطات: وهي صخور داكنة سوداء يغلب عليها الحديد والماغنيسيوم.

ويُغطي ذلك بساط رقيق من الصخور الرسوبية ومن التربة[١].

وبالنظر إلى المعنى الآخر للجدد في الآية الكريمة أي المتجددة، فيمكن إسقاط ذلك على جبال الحديد والنحاس والذهب، وسائر الأحجار الكريمة والرخام المختلف ألوانها، فهي أيضاً مصدر ثروة قلَّما يَنْضَب، بل إنه يتجدد مع مرور الزمن بالرغم من الاستنزاف البشري لهذه الموارد، إلى جانب عوامل التعرية، وذلك بأن الجبال لها جذور في طبقات الأرض، وكلما استنزفت قمم الجبال، ارتفعت جذورها من أعماق الأرض، فجددت ما يستهلكه الإنسان والطبيعة. فجبال الأبلاش في أميركا الشمالية بالرغم من عمرها الذي يُقدَّر بملايين السنين، إلا أنها مازالت شامخة؛ لتجدُدِها من خلال ارتفاع جذورها كلما نَحَتت منها عوامل التعرية، ولكن مع شموخها، لم يَعُد لها جذور في باطن الأرض[٢].

وهذا كله سواء حكمة خلق الجبال وتصنيفاتها وألوانها، وصفة تجدد مواردها، لم يُدرِكه العلماء إلا في مرحلة تقدم العلوم الأرضية، حيث بدأ علماء الجيولوجيا في تمييز ألوان الصخور وأنواعها، وصفاتها المتجددة، في حين أن القرآن الكريم تحدَّث عن هذه الحقائق وبهذه الدقة البالغة، فهلَّا يتدَّبر أصحاب العقول، قول مالك المُلك:

﴿ ... **فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (المائدة: ١٠٠)

---

[١] مقال: المدلول العلمي للجبال، ص٢٤ (بتصرف).

[٢] من علوم الأرض القرآنية، د. عدنان الشريف، ص٥٠، ٥١ (بتصرف).

**المطلب الثاني: تصريف الرياح وتسخير السحاب:**

سخَّر الله ﷻ الرياح والسحاب، وجعلهما جزءاً هاماً من دورة الماء الذي لا يشك عاقل في أهميته بالنسبة لمخلوقات الله ﷻ في الأرض، وبالنسبة للإنسان بصفة خاصة، فمن الماء جعل الله تعالى كل شيء حي، حيث يقول سبحانه:

﴿... **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ (الأنبياء: ٣٠) وبه أحيا الأرض بعد موتها، وبقاؤه على سطح الأرض – وبنسبٍ محسوبةٍ – له أهمية عظيمة، خاصةً في توفير الوسط الملائم لعيش الإنسان، فلو زادت نسبة الماء قليلاً؛ لغرقت الكرة الأرضية، ولو قلَّت قليلاً؛ لجفت ينابيع وأنهار، ولَمَا تناسبت مع متطلبات الكائنات الحية على وجه هذه البسيطة، ونظراً لأهمية ذلك بالنسبة للإنسان، فقد سخَّر اللهُ ﷻ منذ خلق الكون، العديد من الوسائل لحفظه، سواء بخزنه وإسكانه في الأرض عن طريق الينابيع والعيون والآبار، أو عن طريق الحفاظ على استمرار دورته بين السماء والأرض.

حيث أحكم ﷻ هذه الدورة، فلولاها لفسد ماء الأرض، ومن هنا كانت الإشارة إلى إنزال الماء من السماء في العديد من الآيات، من باب التذكير بنعمة من نعم الله تعالى الكبرى، والتي بدونها تستحيل الحياة على كوكب الأرض[1].

وهنا تتجلَّى للمتدبر، أهمية تسخير الله ﷻ للرياح والسحب بين السماء والأرض، كما في قوله تعالى: ﴿ ... **وَالسَّحَابِ الْمُسَخِرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾(البقرة: ١٦٤)، ودورهما في الحفاظ على استمرارية هذه الدورة، بقدرته تعالى وبأمره:﴿...**أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾(الأعراف: ٥٤)

حيث تحدَّث الخالق في القرآن الكريم عن هذا الدور في العديد من الآيات، منها حديثه سبحانه وتعالى عن إرسال الرياح لواقح؛ لإنزال الماء من السماء، حيث يقول عزَّ من قائل: ﴿**وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَآ أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**﴾ (الحجر:٢٢).

يقول تعالى ذِكْره: فأنزلنا من السماء مطراً، فأسقيناكم ذلك المطر؛ لشرب أرضكم ومواشيكم، وقوله: ﴿ **وَما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ** ﴾ يقول: ولستم بخازني الماء الذي أنزلنا من السماء فأسقيناكموه فتمنعوه من أسقيه؛ لأن ذلك بيدي وإليّ، أسقيه من أشاء، وأمنعه من أشاء[2].

---

[1] من آيات الإعجاز العلمي٤، النبات في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ج١، ص١٩١ (بتصرف).

[2] انظر: (جامع البيان) الطبري، م٨، ج١٤، ص٢٧، ٢٨.

وقد تمسَّك الناس قديماً بمعتقدات خرافية عن الرياح، وكان الظن أن آلهة عديدة للعواصف والرياح مسئولة عن الطقس، فهو يُمثِل حالة مزاج الآلهة والأرواح، فمثلاً كان يُظَن أن العاصفة تعني أن إله البحر غاضب، وفَهِم الإغريق أن الرياح هي زفير جاف للأرض، ولم يكن ممكناً أن يتوفر أدنى فَهم علمي للرياح، ودورها في عملية التبخر، وتكوُّن السحب إلا في الأزمنة القريبة[١].

وحتى في عصر تطور العلوم، يَعجزُ العلمُ عن تفسير الكثير من الأمور المتعلقة بإنزال الماء من السحاب، ودورته بين السماء والأرض.

" فإنزال الماء من السحاب يتم بعمليات معقدة، يتدخل فيها من العوامل، ما لا تستطيعه قدرة الإنسان، من مثل: تصريف الرياح، وتبخير الماء، وتكُّون السحب، وتلقيحها بنوى التكاثف، وتجمع قطيرات الماء فيها بالتدريج إلى الكتل التي يَعجز الهواء عن حملها، فتسقط مطراً، أو برداً، أو ثلجاً، بأمر الله تعالى حيث يشاء، وبالقدر الذي يشاء، وبنزول الماء إلى الأرض تبدأ له دورة منضبطة حولها تتم من الإحكام والثبات المبهر."[٢]

وبالنظر إلى المعنى اللُّغوي لكلمة لواقح في الآية الكريمة فهي جمع لاقح، ويُقال لقحت الناقة وأَلْقَحَها الفحل، إذا ألقى الماءَ إليها فحملت، وهذا يُشبِه ما يحدث عند تلقيح الرياح للسحاب بإمداده بالماء ونوى التكاثف اللازم لتكثف الماء على شكل قطرات مطر أو ثلج، حيث اكتشف العلم حديثاً أن الرياح علاوة على حملها لبخار الماء، فإنها تحمِل معها جسيمات صغيرة، تنتشر في الهواء بكميات وفيرة، أشبه ما تكون بالذرات، أو حطام المواد المُشاهَد سابحاً في حزمة من أشعة الشمس، قوامه جسيمات من التربة وأتربة المصانع وحبوب اللقاح والبكتيريا وأملاح البحر، التي تتطاير مع رذاذ الأمواج، وغازات البراكين، كل هذه الجسيمات تعمل على تجمع جزيئات الماء العالقة في الهواء مع بعضها البعض؛ لتكون نقط الماء أو بلورات الثلج، ولذلك تُدعى نوى التكاثف، وعلى هذا فإن قوله تعالى: ﴿**وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَاحَ لَوَاقِحَ...**﴾ يُشير إلى فضل الله تعالى على عباده بتسخير الرياح؛ لتقوم بهذه الوظيفة، والمُتأمل في الآية الكريمة يجد ربطها بين تلقيح الرياح للسحب بإمدادها بقطيرات الماء ونوى التكاثف، وبين نزول المطر، وذلك من خلال التعبير بحرف الفاء في قوله تعالى: ﴿**... فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ...**﴾ وبهذا

---

[١] المعارف الكونية، د. منصور حسب النبي، ص٣٥٨ (بتصرف).

[٢] (من آيات الإعجاز العلمي ٤)، النبات في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ج١، ص١٩٣.

لا بد أن يكون المعنى العلمي لوظيفة الرياح كلواقح للسحب، بإمدادها بنوى التكاثف، هو المقصود بالآية الكريمة، والله تعالى أعلم. (١)

وقد لخَّص العلماء دور الرياح إلى جانب دورها كلواقح للسحب فيما يلي:

١) " تقوم الرياح بتبخير المياه ودفع الهواء الرطب إلى أعلى، حيث يبرد في طبقات الجو العليا ويحدث التكاثف فتنتج السحب.

٢) يُمكِن للرياح أيضاً أن تدفع الهواء الدافئ الرطب جانباً إلى مناطق أبرد حيث يتم التكاثف وتحدث سحب.

٣) تنمو السحب في الحجم كلما حملت إليها الرياح مزيداً من الهواء الرطب." (٢)

وقد تحدَّث القرآن الكريم عن دور الرياح في تنمية السحاب – بإذنه سبحانه– في قوله عزَّ من قائل: ﴿**اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاء كَيْفَ يَشَاء وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾ (الروم: ٤٨).

حيث أن الله تعالى يُرسِل الرياح فتُنْشِئ الرياحُ سحاباً، وهي جَمْع سحابة، فينشره الله، ويجمعه في السماء كيف يشاء، ويجعل السحاب قِطعاً متفرقة، فتَرَى المطر يَخْرُجُ من بين السحاب، فإذا صُرف ذلك الودْق إلى أرض من أراد صرفه إلى أرضه من خلقه، رأيتهم يستبشرون بأنه صرف ذلك إليهم ويفرحون. (٣)

وفي هذه الآية الكريمة تحدَّث اللهُ ﷻ عن آلية نزول الوَدْق، حيث بيَّنت أن هذه العملية التي تُثير فيها الرياحُ السحاب، حتى يَنْبَسِط، ويجعله قِطعاً متراصة، هي التي يَنتجُ عنها نزول المطر، ولم يذكر شيئاً عن البَرَد والثلج – كما سيأتي في الآية من سورة النور– وفي ذلك إشارة إلى أن هذا النوع من السحاب الذي يكون مبسوطاً بتعبير الآية: ﴿ **فَيَبْسُطُهُ** ﴾ يختص بإنزال الودق (الماء) فقط.

وقد قسَّم علماء الأرصاد الجوية السحب إلى نوعين رئيسين:

---

(١) المعارف الكونية، د. منصور حسب النبي، ص٣٥٨ (بتصرف).

(٢) إعجاز القرآن الكريم في وصف أنواع الرياح والسحاب والمطر، ص٣٢، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة- مكة المكرمة .

(٣) انظر: (جامع البيان) الطبري، م١١، ج٢١، ص٥٧،٥٨.

وهما السحب البساطية، والسحب الركامية، ونوع ثالث ثانوي، هذه الأقسام يُمكِن جمعها بأنواعٍ ثلاثة هي: البساطية، والركامية، والثقال.(١)

ووصف العلماء شكل السحب البساطية، بالبساط المستقيم، وهي بلا قمم عالية أو قواعد عريضة، ولا ترتفع في طبقات عالية من الغلاف الجوي حيث درجات الحرارة منخفضة جداً، مما يجعل دور هذا النوع يقتصر على إنزال المطر فقط، دون الثلج أو البرد. (٢)

أما عن دور الرياح في هذا النوع، فهي تُثير السحاب، وبالرجوع للمعنى اللُّغوي للإثارة، فهي قد تأتي بمعنى الإظهار، أو بمعنى التشجيع والتقوية، والريحُ تُظهر السحاب فعلاً بعد خفائه، بحيثُ تقوم بتكوينهِ وإظهارِهِ بعد أن كان بخاراً شفافاً لا يُرى، فالسحاب عبارة عن بخار كامن في الهواء غير المشبع، أو في الهواء فوق المشبع الخالي من نوى التكاثف، ثم ظهر بالتكثيف بفعل الرياح، سواء كان ذلك بحملها البخار إلى المناطق الباردة العلوية، أو بحملها نوى التكاثف، ومن ثم يَبسطه الله – تعالى– بعد ذلك في السماء كيف يشاء، ويجعله الله ﷻ بعد ذلك قِطعاً كبيرة يخرُجُ من خلالها الودْق، ولا شك أن قول الله عزَّ وجل: ﴿ **وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ** ﴾ (فاطر:٩) – حيث رتَّبت السَوْق على الإثارة، وليس العكس– يَستبعد كون المقصود من الإثارة إزاحة السحاب، كما اعتقد بعض المفسرين.(٣)

وأيضاً ينطبق على دور السحاب في الإثارة التشجيع والتقوية، فالرياح تَرفعُ للسحاب الهواء الرطب، فيزداد حجم السحابة وتقوى.(٤)

ومن أنواع السحب التي سخَّرها الله – تعالى– للإنسان، وجعلها مصدراً من مصادر الماء والبَرَد، السحب الركامية، وقد تحدَّث عنها سبحانه في قوله:﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاء وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاء يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ** ﴾ (النور:٤٣).

---

(١) الرياح والسحب، د.خالد العبيدي، ص٣٩، سلسلة ومضات إعجازية من القرآن الكريم والسنة النبوية، (بتصرف يسير).

(٢) انظر: (المرجع السابق) ص٤٧،٤٨ .

(٣) (المعارف الكونية) د. منصور حسب النبي، ص٣٥٦، ٣٥٧.

(٤) إعجاز القرآن الكريم في وصف أنواع الرياح والسحاب والمطر، ص٢٢.

والمشهد يعرض على مهل وفي إطالة، لتؤدي الغرض من عرضها في مس القلب وإيقاظه، وبعثه إلى التأمل والعبرة، وتدبر ما وراءها من صنع الله ﷻ ، إن يد الله تزجي السحاب وتدفعه من مكان إلى مكان، ثم تؤلف بينه وتجمعه، فإذا هو ركام بعضه فوق بعض، فإذا ثقل خرج منه الماء، والوابل الهاطل، وهو في هيئة الجبال الضخمة الكثيفة، فيها قطع البرد الثلجية الصغيرة، ومشهد السحب كالجبال يبدو لراكب الطائرة وهي تعلو فوق السحب أو تسير بينها، فإذا المشهد مشهد الجبال حقاً، بضخامتها، ومساقطها، وارتفاعاتها وانخفاضاتها، وهذه الجبال مسخرة بأمر الله، وفق ناموسه الذي يحكم الكون؛ ووفق هذا الناموس يُصيب الله ﷻ بالمطر من يشاء، ويصرفه عمن يشاء.(١)

وتأليفُ السحاب: جمعه بين متفرّقه، والخلال: جمع خَلَل، وذُكر عن ابن عباس ﷺ وجماعة أنهم كانوا يقرءون ذلك: ﴿ **مِنْ خَلَلَه** ﴾.

وأما قوله تعالى: ﴿ **وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ** ﴾: فقد قيل في ذلك قولان:

**أحدهما:** أن معناه: وأن الله ينزل من السماء من جبال في السماء من بَرَد، مخلوقة هنالك خلقه، كأن الجبال على هذا القول، هي من بَرَد، كما يقال: جبال من طين.

**والقول الآخر:** أن الله ينزل من السماء قَدْر جبال وأمثال جبال من بَرَد إلى الأرض، كما يقال: عندي بَيْتان تبناً.(٢)

وقد نقل الإمام الطبري قولاً لعُبيد بن عُمير الليثيّ(٣)، حيث قال: الرياح أربع:

١) يبعث الله الريح الأولى فتقمّ الأرض قَمّاً.

٢) ثم يبعث الثانية فتنشيء سحاباً.

٣) ثم يبعث الثالثة فتؤلف بينه فتجعله رُكاماً.

٤) ثم يبعث الرابعة فتمطره.(٤)

" وقال أهل النحو ذَكَر اللهُ تعالى «من» ثلاث مرات في هذه الآية:

١) فقوله سبحانه: ﴿ **مِنَ ٱلسَّمَآءِ** ﴾ لابتداء الغاية؛ لأن ابتداء الإنزال من السماء.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، م٤، ص٢٥٢٢(بتصرف يسير).

(٢) انظر: (جامع البيان) م١٠، ج١٨، ص ١٨٣،١٨٤.

(٣) هو عبيد الله بن عمير بن قتادة الليثي الجُندعي المكي، الواعظ المفسر، وُلد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وحدّث عن أبيه وعائشة وابن العباس، وكان من ثقات التابعين وأئمتهم في مكة، توفي في سنة أربع وسبعين، وكان ابنه عبد الله من علماء المكّيّين. انظر: (سير أعلام النبلاء) الذهبي، ج٤، ص١٥٦،١٥٧.

(٤) جامع البيان، م١٠، ج١٨، ص١٨٣.

٢) وقوله تعالى: ﴿ مِن جِبَالٍ ﴾: للتبعيض؛ لأن ما ينزله الله تعالى، بعض تلك الجبال التي في السماء.

٣) وقوله ﷻ: ﴿ مِن بَرَدٍ ﴾: للتجنيس، لأن تلك الجبال من جنس البرد "[١].

وجعل الإمام البغوي الضمير في قوله تعالى: ﴿ فَيُصِيبُ بِهِ ﴾ عائداً على البرد، حيث ذكر أن قوله تعالى: ﴿ **فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاء وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاء يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَار** ﴾ أي: فَيُصِيبُ بالبرد مَن يَشَآءُ، فيهلك زروعه وأمواله، ﴿**وَيَصْرِفُهُ عَمَّن يَشَآءُ** ﴾ فلا يضره، يَكَادُ ضوء برق السحاب، ﴿ **يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ** ﴾ من شدة ضوئه وبريقه، وفي قراءة " يُذْهِب " بضم الياء وكسر الهاء.[٢]

ولقد تم دراسة هذه السحب بالرادار والأقمار الصناعية، وشرح العلماء طريقة تكونه على النحو التالي:

١) يبدأ ذلك بسوق الرياح قطعاً من السحب الصغيرة إلى مناطق التجميع، فيزداد في مسارها بخار الماء.

٢) وتبدأ السحب الركامية المتفرقة في التجمع باتجاه منطقة تجمع في الأفق، حيث تتلاحم قطع السحاب، وتبدأ بالتكاثف كلما اقتربت إلى مناطق التجميع.

٣) إذا التحمت سحابتان أو أكثر فإن تيار الهواء الصاعد داخل السحابة يزداد ويؤدي إلى جلب المزيد من بخار الماء، من أسفل قاعدة السحابة، فيزيد من الطاقة الكامنة للتكثف فتعمل على زيادة سرعة التيار الهوائي الصاعد دافعاً بمكونات السحابة إلى ارتفاعات أعلى، وكلما زادت عملية تجميع السحاب يؤدي ذلك إلى زيادة ركمه، ويتميز عن غيره من السحب بعملية الركم هذه.

٤) تتحرك السحب الركامية، وعامل الركم والبناء مستمر، طالما استطاعت تيَّارات الهواء الصاعدة حمل مكونات السحاب، وعندما تُصبِح الرياح الرأسية غير قادرة على حمل هذه المكونات، تتوقف عملية الركم، وتتكون مناطق ضعيفة في السحاب لا تقوى على حمل قطرات المطر إلى أعلى؛ بسبب ثقلها، فتخرج من خلال جسم السحابة، وإن شئت فقل: يخرج الوَدْق من مناطق الخلل في السحابة.

---

[١] معالم التنزيل في التفسير والتأويل، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، م٤، ص١٢٠.

[٢] المرجع السابق، م٤، ص١٢٠ (بتصرف).

٥) ينمو البرد في المنطقة الوسطى من السحابة، بتعدد اصطدامه مع قطرات الماء الشديد البرودة، والتي تتجمد بمجرد ملامسته، فلا بد أن يكون في تلك السحابة شيء من برد، ولا بُدَّ أن يكون السحاب بشكل جبلي، يسمح بتكوين الثلج في المناطق العليا منه، والماء شديد البرودة والبرد في المنطقة الوسطى منه[١].

٦) والسحب الركامية تنمو بالاتجاه الرأسي، ولها قاعدة عريضة، وتبدو للناظر إليها بالطائرة كالجبال الشامخة، وهي فعلاً تشبه الجبال، وقد تصل إلى ارتفاعات شاهقة تتجاوز ١٥كم.[٢]

وتتكون السحب الركامية عند اكتمال نموها من ثلاث طبقات:

**أولاً**: المنطقة السفلى: وتحتوي على نقط الماء النامية.

**ثانياً**: المنطقة الوسطى: وتحتوي على نقط الماء فوق المبرد وحبات البرد.

**ثالثاً**: المنطقة العليا: وتحتوي على بلورات الثلج.

وثبت علمياً أن البَرد المُتكون في السحابة الركامية، هو العامل الرئيس في توليد البرق، بواسطة التفريغ الكهربي أثناء تحول البَرَد من حالٍ إلى حال: بالتصادم، أو الملامسة، أو الذوبان، أو الانكسار، أو التجمد، أي كلما طرأ عليه طارئ غيَّر من: شكله، أو حجمه، أو حالته، فيحدُث البرق، وبذلك يَسْخنُ الهواء بين السحب، فيتمدد، وتحدث فرقعة الرعد.[٣]

ومن خلال ما سبق، ترى الباحثة – والله أعلم–، أن الآية الكريمة تحدَّثت عن ترتيب مراحل تكوين السحاب الركامي خطوةً خطوةً، مُشيرةً إلى التدرج الزمني بين كل خطوة والتي تليها، في دقةٍ يَعجزُ البشر عن مُحاكاتِها، فمن المعروف أن الفهم الذي توصل إليه العلماء لمراحل تكوُّن السحاب الركامي، ودوره في تكوُّن الماء والبرد، وكونه مصدر البرق، لم يأتِ إلا مُتأخراً، " ففي عام ١٩٨٥م، قُدِّم ولأول مرة في مؤتمر دولي، أن البَرَد هو السبب الحقيقي لتكوين البرق."[٤]

كما أن المراحل التي تحدَّث عنها العلماء، ذَكَرَتْها الآية الكريمة بدقة متناهية، وفيما يلي البيان:

---

[١] انظر: (إعجاز القرآن الكريم في وصف أنواع الرياح والسحاب والمطر) ص٤٨– ٥٢، ٦٠، ٦١ ، (المعارف الكونية) د. منصور حسب النبي، ص٣٦٥،٣٦٦ .

[٢] الرياح والسحب، م. خالد العبيدي، ص٤٠ (بتصرف).

[٣] المعارف الكونية، د. منصور حسب النبي، ص٣٦٤ (بتصرف).

[٤] الرياح والسحب، م. خالد العبيدي، ص٤٧، نقلاً عن الدكتور عبد المجيد الزنداني خلال لقاء معه – برنامج الشريعة والحياة– قناة الجزيرة.

١) قوله تعالى: ﴿ يُزْجِي سَحَابًا﴾ : تعبير دقيق عن مرحلة سوق السحاب التي تحدَّث عنها العلماء.

٢) وقوله سبحانه: ﴿ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ : هو تعبير عن مرحلة تجميع السحب والتأليف فيما بينها.

٣) أما قوله ﷻ: ﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾: هي مرحلة ركم مكونات السحاب بعضه فوق بعض كما تحدَّثت علوم الأرصاد.

٤) والتعبير بالفاء في قوله عزَّ من قائل: ﴿ فَتَرَى الْوَدْقَ ﴾: فيه إشارة لمرحلة خروج الماء من السحابة بمجرد تراكم مكوناتها فوق بعضها، فالفاء حرف عطف يفيد الترتيب والتعقيب.

وهذا ما تحدَّث عنه العلماء حيث إن مرحلة السوق إلى التأليف تأخذ زمناً، ومن التأليف إلى نهاية الركم تأخذ زمناً؛ لذا عبَّر بحرف العطف ﴿ثُمَّ﴾ الذي يُفيد التراخي، لكن بعد الركم مباشرة ينزل المطر؛ فعبَّر بحرف العطف الفاء [١].

٥) وكانت الإشارة إلى مواطن الضعف في السحابة، وعدم قدرتها على حمل قطرات الماء الثقيلة، مما أدَّى إلى سقوطها، وخروجها من مواطن الخَلَلِ والضعفِ فيها، بقوله ﷻ: ﴿مِنْ خِلاِلِهِ﴾ وقد سبق ذِكرُ نقل الإمام الطبري عن ابن عباس وجماعة، أنهم كانوا يقرءون: ﴿مِنْ خَلَلَه ﴾. [٢]

٦) ثُمَّ يأتي تحديد نوع السحاب الذي ينزل منه البرد وشكله، بالتعبير بلفظة ﴿ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَد ﴾، حيث ذكر العلماء أن البرد والثلج لا يتكون إلَّا في السحب الركامية التي تُشبِه الجبال.

٧) وقد بيَّنت الآية بوضوح، أن البَرَد هو المسئول عن حُدوثِ البَرْق، وذلك في إرجاع الضمير إلى البَرد، ونسب البَرْق إليه في قوله تعالى:﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ﴾، هذه الحقيقة التي لم يتوصل إليها العلماء إلا حديثاً، كما تم الإشارة إلى ذلك فيما سبق.

وبعد هذا الربط بين الآية والدراسات الكونية، تتبيَّن أوجه الإعجاز في الآية الكريمة، بذِكْر هذه الحقائق مجتمعة، في زمنٍ لم تتوفر فيه أبسط وسائل الرصد، وهنا يَظهر عجز العلم والعلماء عن محاكاة القرآن الكريم في سبقه بالحديث عن هذه الحقائق وغيرها مما جاء ذكره في

---

[١] الرياح والسحب، م. خالد العبيدي، ص٤٦ (بتصرف).

[٢] انظر: (المطلب الثاني: تصريف الرياح وتسخير السحاب) ص١٥٠

محكم التنزيل، أو حتى بالإحاطة بدقائق هذه الحقائق من سرِّ تصريف الرياح، وتوجيه السحاب، وإنزال الماء منها إلى مناطق معينة.

" فهذا التوجيه للسحب يتمُ بتقديرٍ إلهي، وتدبيرٍ رباني، ولا يُمكن أن تُدرِكه الرياح غير العاقلة، فاللهُ ذو الجلال والإكرام يسُوق السحاب إلى حيث يشاء أن ينزل الماء، وسيظل إرسال الرياح وتصريفها، وتوجيه السحاب، مظهرين عظيمين من مظاهر القدرة الإلهية يتحديان الإنسان، فقد فشلت الأقمار الصناعية الخاصة بالأرصاد الجوية في التنبؤ بالزمان والمكان الذي تسقط فيه الأمطار يقيناً ... وصدق الله العظيم في قوله سبحانه وتعالى:

**﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾** (البقرة:١٦٤)."[١]

والمتأمل بقوله تعالى في الآية السابقة: **﴿ ... ومَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ... ﴾** يجدُ العلاقة الوثيقة بين ماء السماء، وإحياء الأرض، سواء إحياءها بعد خلقها بإنزال الماء وإنبات النبات، وغيرها من وسائل الإحياء التي سخَّرها سبحانه؛ تمهيداً لقدوم الإنسان، أو بإحيائها المستمر منذ تسخير السحاب والرياح؛ للحفاظ على دورة الماء بين السماء والأرض، وفي محاولة لفهم وتدبر هذه الآية والنعمة العظيمة، فيما يلي لمحة تظهر مدى رحمة الله تعالى بالإنسان وتسخيره لوسائل الحفاظ على الدورة المائية، فإلى جانب ضرورة ذلك، وأهميته للحفاظ على الماء وعدم فساده، يُعتبر ماء السماء هو المصدر الرئيس لماء الشرب، حيث " يُعتبر ماء المطر والثلوج المتساقطة معه، أنقى حالات الماء الطبيعي، حيث لا تزيد ملوحته عن عشرين جزءاً في المليون، ولكن ما إن ينزل هذا الماء على الأرض، ويجري على سطحها حتى يبدأ في إذابة العديد من أملاحه القابلة للذوبان فيه، ثم يتدفق في المجاري المائية المختلفة، حتى يفيض إلى عدد من البحيرات أو البحار والمحيطات بعد أن يتسرب جزء منه إلى المخزون المائي تحت سطح الأرض فيُجدد عذوبته، ولولا دورة الماء هذه ما وجد الإنسان قطرة ماء صالحة للشرب؛ وذلك لأن غالبية ماء الأرض(٢٢, ٩٧%) منه هو ماء البحار والمحيطات، وهو ماء مالح لا يصلح للشرب." [٢]

---

[١] الرياح والسحب، م. خالد العبيدي، ص٣٨.

[٢] من آيات الإعجاز العلمي٤، النبات في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ج١، ص١٩٣،١٩٤.

مع العلم أن بخار الماء المُتبخِر من ماء البحار والمحيطات المالحة، فتحمله الرياح لتكون السحاب، وينزل منها الودْق، هذا البخار يُشكل المصدر الأساس لماء المطر، فسبحان من أحكم هذه الدورة، وجعل السحاب مسخراً بين السماء والأرض؛ ليسخر للإنسان ماءً عذباً فراتاً، من ماءٍ مالحٍ أجاجٍ، وهو القادر على أن يجعله غوراً: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ** ﴾ (الملك: ٣٠)، ولو شاءَ لجعله أُجاجاً: ﴿ **لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ** ﴾ (الواقعة: ٧٠)، فهلَّا يكف الإنسان عن التكبر والغرور، ويسلم بقدرة الخالق، وبحقيقة عجْزِه أمام مثل هذه الآيات، وغيرها مما لم تُحِطْ به العلوم والأفهام بعد، وصَدَق الملك القائل في كتابه العزيز:

﴿ ... **سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ** ﴾ (الأنبياء: ٣٧)

**المطلب الثالث: تسخير النبات وإحياء الأرض بالماء وإسكانه فيها:**

جاء الحديث عن النبات في القرآن الكريم في الكثير من الآيات، تحدَّث فيها الخالق سبحانه عن أنواعٍ مختلفةٍ من الثمرات والأشجار والنخيل، ولكن ما يهُم موضوع البحث، تلك المرتبطة بمرحلة بداية الكون وتسخيره للإنسان، حيث أعقب الله تعالى الحديث في بعض الآيات عن خلق السموات والأرض بإنزال الماء من السماء، وإخراج النبات من الأرض، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ** ﴾ (إبراهيم: ٣٢)

إن من معجزات هذا الكتاب أنه يربط كل مشاهد الكون، وكل خلجات النفس إلى عقيدة التوحيد، ويحول كل ومضة في صفحة الكون إلى دليل أو إيحاء، إنه لا يعرض قضية الألوهية والعبودية في فلسفة أو جدل ذهني، ذلك العرض الميت الجاف الذي لا يمس القلب البشري، ولا يؤثر فيه ولا يوحي إليه، إنما هو يعرض هذه القضية في مجال المؤثرات والموحيات الواقعية من مشاهد الكون، ولمسات الفطرة، في جمال وروعة واتساق، والمشهد الهائل الحافل المعروض هنا لأيادي الله ﷻ وآلائه، تسير فيه خطوط الريشة المبدعة وفق اتجاه الآلاء بالقياس إلى الإنسان: خط السماوات والأرض، يتبعه خط الماء النازل من السماء، والثمرات النابتة من الأرض بهذا الماء، فخط البحر تجري فيه الفلك، والأنهار تجري بالأرزاق.[١]

فالله سبحانه الذي أنشأ السموات والأرض من غير شيء أيها الناس، وأنزل من السماء غيثاً أحيا به الشجر والزرع، فأثمرت رزقاً لكم تأكلونه[٢].

وفي آية أخرى عظيمة – والقرآن كله عظيم بعظمة قائله – جاء ذكر آيات مبهرات، خاطب فيها الخالق سبحانه أُولِي العقول، حيث تحدَّث الملك عن خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، ومن ثَم جاء الحديث عن إنزال الماء من السماء؛ لإحياء الأرض، وبث الدواب فيها، وبعدها ما كان من تصريف الرياح وتسخير السحاب؛ للحفاظ على دورة هذا الماء، حيث يقول عزّ من قائل: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ (البقرة:١٦٤).

---

[١] في ظلال القرآن، سيد قطب، م٤، ص٢١٠٦، ٢١٠٧(بتصرف يسير).

[٢] جامع البيان، الطبري، م٨، ج١٣، ص٢٦١ (بتصرف) .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ ﴾ يعني الأمطار التي بها إنعاش العالم، وإخراج النبات والأرزاق، وجعل منها المخزون؛ للانتفاع به في غير وقت نزوله، كما قال تعالى: ﴿ فَأَسْكَنَّاهُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (المؤمنون: ١٨).[1]

ويُمكن إسقاط معنى الإحياء الوارد في الآية الكريمة، على مرحلة خلق الأرض، حيث كانت ميتة بلا نبات، فأحياها الله سبحانه بالماء، وأحيا بها الكائنات الحية الدقيقة، كبداية لتسخيرها للإنسان ومطالبه من النبات والزرع والمأكولات.

وقد وضع العلماء تصوراً لنشأة النبات على الأرض بعد خلقها، يتلخص في النقاط التالية:

١) كان سطح الكرة الأرضية عبارة عن كتلة صخرية، ومن ثم تدخلت العديد من العوامل؛ لتفتيت هذه الصخور، بإذن من الله ﷻ وحكمة منه.

٢) نمت بعد ذلك الكائنات الحية على سطحها في وجود الرطوبة، وهي عبارة عن طحلب وفطر يعيشان مع بعضهما معيشة تكافلية، حيث يقوم الفطر بعملية التمثيل الضوئي، ويُكوِّن المصادر الكربونية والنيتروجينية له وللفطر، ويمتص الفطر الرطوبة الجوية، ويُنتج كميات هائلة من الإنزيمات تُحلل الصخور، وتجعلها تذوب في الماء، وتُصبح على هيئة جزيئات صغيرة، يمتصها الطحلب، وتصبح صالحة للتغذية النباتية.

٣) بعد مدة تموت الأشنات وهي الأكياس الجرثومية للفطر، وتتحلل فيزداد المحتوى العضوي للتربة، وتصبح مناسبة لارتياد بعض الكائنات الحية الدقيقة، مثل: البكتيريا والفطريات.

٤) بعدها تصبح التربة صالحة لارتياد بعض أنواع الطحالب، تُسمى: الطحالب الخضراء المُزْرَّقة، فتقوم بتفتيت الصخور، وزيادة المحتوى العضوي للتربة.

٥) بعد ذلك تزداد وتتنوع الكائنات الحية الدقيقة، وترتاد أنواعاً جديدة من النباتات الثالوسية، التي ليس لها جذور أو سيقان أو أوراق تسمى: الحزَّازِّيات، وتدب الحياة أكثر في التربة، وتصبح أرضاً حية أكثر، حتى تتنوع نباتاتها ومزروعاتها[2].

كما يمكن إسقاط معنى الإحياء على تسخير الأكسجين اللازم لبداية حياة الإنسان والمخلوقات جميعاً، فبإنزال الماء من السماء، وتكوُّن الحياة النباتية بالشكل الذي تم شرحه، أدَّى ذلك إلى إنتاج غاز الأكسجين، حيث تشير النظريات العلمية إلى أن: " الأكسجين كغاز حُر لم

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، م١، ج٢، ص٥٢٨ (بتصرف يسير).

[2] انظر: (آيات معجزات من القرآن الكريم وعالم النبات) د.نظمي خليل أبو العطا، ص٢٧-٢٩.

يكن موجوداً في جو الأرض عند بدء الخليقة قبل ملايين السنين، إنما تكوَّن وتراكم بالتدريج، نتيجة لعملية التركيب الضوئي للنباتات، خاصة النباتات البحرية، ويُقال أنه نِتاج ثلاث مليارات ونصف سنة من البناء الضوئي للنبات على الأرض، فلولا النبات لما تهيَّأَت الأرض للحياة، فهي رئات حيوية لتنفس الإنسان، والكائنات الحية عموماً "[١].

وهذا ما جاء في الآية الكريمة، مع إمكانية الارتقاء بهذه النظرية إلى الحقيقة – والله تعالى أعلم– ؛ لوجود الإشارة إلى عدم وجود الحياة في الأرض وموتها إلى أن سخَّر الله تعالى الماء، وأنزله على الأرض، فأحيا به الكائنات، وأحيا التربة التي ذخرت فيما بعد بالكائنات الحية، والتي بدورها بدأت بإنتاج غاز الأكسجين اللازم لحياة الإنسان، فالأرض بالنسبة للإنسان قبل تسخير النبات والأكسجين ميِّتَة، لا حياة فيها، وغير صالحة لحياته، وهذا ما عبَّرت عنه الآية الكريمة، فالحمد لله الحنان المنان الذي جعل من الماء كل شيء حي.

وفي سورة البقرة كانت الإشارة واضحة إلى مرحلة إنبات النبات والثمرات، حيث يقول سبحانه:

**﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾** (البقرة: ٢٢).

فقوله سبحانه: **﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً ﴾** أي جعل لكم الأرض بساطاً وقيل مناماً، وقيل وطاء، فذللها ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها، وجعل السماء سقفاً مرفوعاً، وأَنزَلَ من السحاب المطر فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ ألوان الثمرات، وأنواع النبات طعاماً لكم وعلفاً لدوابكم[٢].

وقد جاء ذكر إخراج الثمرات من الأرض في الآية الكريمة في تسلسل منطقي: " فأشار أولاً إلى تكوين التربة بفرش الأرض، تمهيداً لحياة كل من النبات والحيوان والإنسان، ثم أشارت إلى بناء السماء، وأولها الغلاف الغازي للأرض، بما فيه من سحاب مسخر، يتكثف فيه بخار الماء المرتفع من الأرض، فيعود إليها مطراً بإذن الله تعالى، وهذا ما أشار إليه سبحانه بقوله: **﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء﴾** فأخرج به النبات؛ رزقاً لمن سيستخلفه في أرضه "[٣].

وهو سبحانه قادر على إيجاد الأشياء بلا أسباب ومواد كما أبدع نفوس الأسباب والمواد، ولكن له في الإنشاء مدرجاً من حال إلى حال حكم يجدد فيها لأولي الأبصار العبر.[٤]

---

[١] الإعجاز العلمي في علوم الأحياء، أحمد المرسي حسين جوهر، ص٦٥،٦٦.

[٢] معالم التنزيل، البغوي، م١، ص٣٢ (بتصرف).

[٣] من آيات الإعجاز العلمي٤، النبات في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ج١، ص١٨٤ (بتصرف).

[٤] فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق بن حسن بن علي الحسين القِنوجي البخاري، ج١، ص١٠٤، ١٠٥.

وترى الباحثة – والله تعالى أعلم– أنه يُمكن أن يكون الحديث في الآيات الكريمات في سورة عبس عن صب الماء، وشق الأرض، قد كان في سياق مرحلة تسخير الأرض للإنسان أيضاً بما يلزمه من مصدر للغذاء والأكسجين، حيث لزِم ذلك كميات هائلة من الماء لإنبات النبات، فصَبَ الخالق الماء علي الأرض صباً؛ لتنبت الزرع والجنات؛ تمهيداً لقدوم الإنسان؛ لتكون له ولأنعامه متاعاً، حيث يقولﷻ: ﴿ **أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبّاً ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلأَرْضَ شَقّاً فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً وَعِنَباً وَقَضْباً وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً وَحَدَآئِقَ غُلْباً وَفَاكِهَةً وَأَبّاً مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ** ﴾ (عبس:٢٥– ٣٢).

والمراد: أي إنا بقدرتنا أنزلنا الماء من السحاب على الأرض إنزالاً عجيباً فشققنا الأرض لإسكانه فيها ليدخل في تخومها، فيتخلل في أجزاء الحب المودع فيه، فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض، فأنْبَتْنا فيها حبّ الزرع، وهو كلّ ما أخرجته الأرض من الحبوب، كالحنطة والشعير وغير ذلك ﴿ **وَعِنَباً** ﴾ يقول: وكرم عنب، ﴿ **وَقَضْباً** ﴾ يعني بالقَضْب: الرَّطْبة، وأهل مكة يسمون القَتَّ القَضْب، وحدائق طوال وهي كل ما التف واجتمع، والفاكهة كل ما يتفكه فيه من الثمار والأب : ما أنبتت الأرض مما يأكله الدواب ولا يأكله الناس.(١)

وقد أسكن الله تعالى هذا الماء في الأرض، وأنشأ منه فيما بعد أصنافاً شتّى من النباتات والمزروعات، كما جاء في قوله عزَّ من قائل:

﴿ **وأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِي ٱلأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَٰدِرُونَ * فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُون** ﴾ (المؤمنون : ١٨–١٩).

في هذه الآية الكريمة يُذكر تعالى بنعمه على عبيده التي لا تُعد ولا تُحصى، في إنزاله القطر من السماء بحسب الحاجة، لا كثيراً فيُفْسِد الأرض والعمران، ولا قليلاً فلا يكفي الزروع والثمار، وقوله: ﴿ **فَأَسْكَنَّاهُ فِى ٱلأَرْضِ** ﴾ أي: جعلنا الماء النازل من السحاب، يَخلد في الأرض، وجعلنا فيها قابلية له، تشربه، ويتغذى به ما فيها من الحب والنوى. وقوله: ﴿ **وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَٰدِرُونَ** ﴾ أي: لو شئنا أن لا تمطر، لفعلنا، ولو شئنا، لصرفناه عنكم، ولو شئنا لجعلناه أجاجاً، ولو شئنا لجعلناه ينجر على وجه الأرض، ولكن بلطفه ورحمته ينزل عليكم الماء من السحاب عذباً فراتاً زلالاً، فيسكنه في الأرض، ويسلكه ينابيع في الأرض، فيفتح العيون والأنهار، ويسقي به الزروع والثمار، ويخرج لكم البساتين والحدائق فيها نخيل وأعناب، ولكم فيها

(١) انظر: (جامع البيان) الطبري، م١٥، ج٣٠، ص٦٣، ( في رحاب التفسير) عبد الحميد كشك، م٩، ج٣٠، ص٧٨٧١.

فواكه كثيرة، من جميع الثمار منها تأكلون كما قال سبحانه: ﴿ **يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ**﴾ (النحل: ١١). (١)

ويُمكن استنباط المرحلة التي أَخْرَج فيها الله ﷻ النبات من الأرض، من عدة آيات أُخر، جاء فيها الحديث عن إخراج النبات من الأرض بعد مرحلة مدها، وإلقاء الرواسي فيها، حيث يقول سبحانه وتعالى:

﴿ **والْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** ﴾( ق: ٧).

حيث استخدم سبحانه لفظة ﴿ **زَوْجٍ** ﴾ أي: وأنبتنا في الأرض من كل نوع ومنْ كُلِّ صنفٍ من نبات حسن وبهيج، أي في غاية الرونق والإعجاب، فكان – مع كونه رزقاً – مُتَنَزهاً.(٢)

وجاء التعبير بالتثنية في قوله تعالى:

﴿ **وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ (الرعد: ١٣).

يعني أنه حين مدَّ الأرض جعل الرواسي والأنهار، ثم تكثَّرت وتنوعت، وجعل الله سبحانه الجبال رواسي للأرض، حينما كانت الأرض مضطربة، فثقَّلها الله بالجبال في أحيازها فزال اضطرابها، والجبل جسم صلب، يتصاعد بخاره من قعر الأرض إليه، ويحتبس هناك، فلا يزال يتكامل فيه فيحصل بسببه مياه كثيرة، فلِقوتها تشق وتخرج وتسيل على وجه الأرض، ولهذا في أكثر الأمر إذا ذكر الله تعالى الجبال، ذكر الأنهار، ولما ذَكَر الأنهار، ذَكَر ما ينشأ عنها وهو الثمرات، والزوج هنا الصنف الواحد الذي هو نقيض الاثنين، وخص المتفكرين لأن ما احتوت عليه هذه الآيات من الصنيع العجيب لا يُدَرك إلا بالتفكر.(٣)

وقد نقل كل من الإمام القرطبي وأبي حيان عدة أقوال في المراد من زوجين، وهي كالتالي:

١) الزوج واحد، والزوج اثنان، ولهذا قيد ليعلم أن المراد بالزوج هنا الفرد لا التثنية، فيكون أربعاً، وخص اثنين بالذكر، وإن كان من أجناس الثمار ما يزيد على ذلك لأنه الأقل، إذ لا نوع تنقص أصنافه عن اثنين.

---

(١) انظر: (تفسير القرآن العظيم) ابن كثير، ج٥، ص٢٤٢٥.

(٢) انظر: (جامع البيان) الطبري، م١٣ ،ج٢٦، ص١٧٦، (إرشاد العقل السليم) أبو السعود، ج٦، ص١٩٠، (نظم الدرر في تناسب الآي والسور) البقاعي، م٧، ص٢٥٠.

(٣) انظر: (البحر المحيط) أبو حيان، ج٦، ص٣٤٧، ٣٤٨.

٢) وقيل: معنى ﴿زَوْجَيْنِ﴾: نوعين، كالحلو والحامض، والرطب واليابس، والأبيض والأسود، والصغير والكبير.

٣) وقيل هذه الآية تقتضي أن كل ثمرة موجود فيها نوعان، فإن اتفق أن يوجد من ثمرة أكثر من نوعين فغير ضار في معنى الآية.

٤) وقيل: لما خلق الله تعالى العالم، وخلق فيه الأشجار، خلق من كل نوع من الأنواع اثنين فقط، فلو قال: خلق زوجين، لم يعلم أنَّ المراد النوع أو الشخص، فلما قال: اثنين عُلم أنه أول ما خلق من كل زوجين اثنين، لا أقل ولا أزْيَد، فالشجر والزرع كبني آدم، حصل منهم كثرة، وابتداؤهم من زوجين اثنين بالشخص، وهما آدم وحواء .

٥) وقيل: تم الكلام عند قوله: ﴿ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ فيكون معطوفاً على ما قبله من عطف المفردات، ويتعلق بقوله:﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ فالمعنى: أنه جعل في الأرض من كل ذكر وأنثى اثنين.

٦) الزوجان الشمس والقمر.

٧) يعني بالزوجين هاهنا الذكر والأنثى.

٨) وقيل: الليل والنهار[1].

وبالرغم من اختلاف آراء علماء التفسير في معنى زوج وزوجين الوارد في الآيتين الكريمتين السابقتين، إلا أنه يُمكن الأخذ بالقول القائل إن المقصود صريح اللفظتين أن كل الثمرات جعل منها زوجاً أو زوجين اثنين.

فما أثبتته علوم النباتات أن:

" الزوجية في النبات تتضح بشكل بيِّن في الأنواع المنتجة للأزهار، والمعروفة باسم النباتات المزهرة – والتي يزيد نوعها على الربع مليون نوع– وأزهارها التي تنتج عن تفتح براعمها، تحمل أعضاء التكاثر من الخلايا الذكرية والأنثوية التي قد توجد في زهرة واحدة، أو في زهرتين مختلفتين على نبات واحد، وقد يكون من النبات الواحد الذكر والأنثى، وتؤدي عملية الإخصاب في النباتات المزهرة إلى إنتاج البذور، وتحتوي كل بذرة على جنين النبتة الجديدة. "[2]

---

[1] انظر: (البحر المحيط) ج٦، ص٣٤٧، ٣٤٨، (الجامع لأحكام القرآن) م٥، ج٩، ص١٩٧.

[2] من آيات الإعجاز العلمي ٤، النبات في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ج١، ص١٦١.

فسبحان من سبق العلوم بالإشارة إلى هذه الزوجية في كتابه العزيز، التي لم تتعرف بعد على جميع أسرار هذه الزوجية، فقد تتكشف شيئاً فشيئاً، مع مرور الزمن، فإن تكشفت أم لم تتكشف، هي حقيقة ذكرها القرآن الكريم منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام ويزيد.

وفي سورة الأنعام جاء تفصيل لشتى الأنواع من النباتات التي سخرها سبحانه للإنسان، حيث يقول ﷻ: ﴿ **وهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (الأنعام : ٩٩).

فقوله: ﴿ **فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾: النّباتُ اسم لما يَنبت، والمعنى: فأخرجنا بالماء ما ينبت من أصناف النّبت، والنبت جنس له أنواع كثيرة؛ فمنه:

١) زرع: وهو ما له ساق ليّنة كالقَصَب.

٢) ومنه شجر: وهو ما له ساق غليظة كالنّخل، والعنب.

٣) ومنه نَجْم وأبّ: وهو ما ينبت لاصِقاً بالتّراب.

وهذا التّعميم يُشير إلى أنها مختلفة الصفات والثمرات والطبائع والخصوصيات والمذاق، وهي كلها نابتة من ماء واحد هو ماء السماء، وذلك آية على عظم القدرة، قال تعالى:﴿**تُسقَى بماء واحد ونُفضّل بعضَها على بعضٍ في الأكل**﴾ (الرعد:٤) [١].

ثم فصَّل هذا الإجمال فقال: ﴿**فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً** ﴾ والخضر: الشّيء الّذي لونه أخضر يقال: أخْضر وخَضِر، ويطلق الخضر اسماً للنّبت الرّطب الّذي ليس بشجر، وقيل: هو ما يتشعب من الأغصان الخارجة من الحبة، وقيل: يريد القمح والشعير والذرة والأرز وسائر الحبوب.

﴿**نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً**﴾: الحَبّ: هو ثمر النّبات، كالبُرّ والشّعير والزّراريع كلّها، والمتراكب: الملتصق بعضه على بعض في السنبلة، مثل القَمح وغيره، والمراد: أي نخرج من الأغصان الخضر حباً متراكباً، أي: مركباً بعضه على بعض، كما في السنابل، ﴿ **قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِه** ﴾ القنوان: جمع قنو، والقنو: العذق.

والمعنى: أن القنوان أصله من الطلع، والعذق: هو عنقود النخل، وقيل القنوان: الجمار، والدانية: القريبة التي ينالها القائم والقاعد، قال الزجاج: المعنى منها دانية ومنها بعيدة فحذف، وخصّ الدانية بالذكر؛ لأن الغرض من الآية بيان القدر والامتنان، وذلك فيما يقرب تناوله أكثر.

---

[١] (التحرير والتنوير) م٤، ج٧، ص٣٩٨، ٣٩٩.

﴿ مُشْتَبِهاً ﴾: أي كل واحد منهما يشبه بعضه بعضاً في بعض أوصافه، ولا يشبه بعضه بعضاً في البعض الآخر، وقيل: إن أحدهما يشبه الآخر في الورق باعتبار اشتماله على جميع الغصن وباعتبار حجمه، ولا يشبه أحدهما الآخر في الطعم.

**﴿ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾** : الثمر في اللغة: جنى الشجر، واليانع: الناضج الذي قد أدرك وحان قطافه، وهذا أمر منه سبحانه بأن ينظروا نَظَر اعتبار إلى ثمره إذا أثمر، وإلى ينْعِه إذا أَيْنَع[١].

وقد سخَّر الخالق المُدبر التربة للإنسان، بعد أن أسكن في الأرض الماء اللازم لإحيائها، وسخر استمرارية نزول الماء عليها، ووضع فيها من القدرة على الإنبات بتقنية مبهرة، بحيث تتمكن من إنبات النبات والمزروعات والثمرات اللازمة لبني آدم ودوابه منذ بدء الخليقة، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، حيث تحدَّث سبحانه عن هذه التقنية بقوله تعالى: **﴿...وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾** (الحج: ٥).

حيث يقول الله تعالى وترى الأرض ميتة يابسة فإذا أنزلنا عليها الماء تحركت بالنبات وانتفخت وفي قراءة **﴿ وربأت ﴾** أي ارتفعت، وأنبتت من كل صنف حسن[٢].

وقد تحدَّث العلم عن هذا الإعجاز المبهر في الخلق حيث قال الدكتور زغلول النجار: " إن الله ﷻ قد جعل في تربة الأرض القدرة على تشرب الماء، مما يؤدي إلى زيادة حجمها وانتفاخها وانتفاضها إلى أعلى بمجرد نزول الماء عليها، ويساعد على ذلك ما يقوم به الماء من طرد للغازات الحبيسة بين رقائق المعادن الصلصالية، ومن تحويل لحبيبات الصلصال الدقيقة إلى الحالة الرغوية وهي حالة متحركة، تتدافع فيها الجسيمات المادية الدقيقة بأقدار متساوية في جميع الاتجاهات، وما يتم أثناء ذلك من عمليات إحلال كيميائية، ومن عمليات تنافر بين الشحنات الكهربية المتشابهة في كل من جزئ الماء المُزْدَوج القطبية، وأيونات العناصر المختلفة الموجودة في التربة أو على أسطح الراقات الصلصالية، ويُعين على ذلك أيضاً إنبات البذور وانتعاش غيرها من صور الحياة وبقاياها بمجرد وصول الماء إليها، فتُحْدث زيادة كبيرة في حجمها، وفي نشاطها الحيوي، مما يُؤدي إلى ارتفاع التربة إلى أعلى؛ حتى ترق رقة شديدة،

---

[١] انظر: (فتح القدير) الشوكاني، ج٢، ص١٦٦، (التحرير والتنوير ) ابن عاشور، م٤، ج٧، ص٤٠٣.

[٢] انظر: (مدارك التزيل وحقائق التأويل) النسفي، م٣، ص٧٢٢.

فتنشق؛ لتفسخ طريقاً سهلاً لخروج السويقات المندفعة من داخل البذور النابتة إلى فوق سطح الأرض."[1]

وهذه الحقائق وغيرها في مجال علوم التربة والنبات لم تكن معروفة إلا في زمن قريب زمن تطور العلوم والأجهزة، حيث رصدت هذه التغيرات على التربة بمجرد نزول الماء عليها، في حين أن حقيقة اهتزاز التربة عند نزول الماء عليها، جاء ذكرها في القرآن الكريم، هذا الكتاب الذي ما فرَّط فيه سبحانه من شيء، فسبحان من سخَّر للإنسان الأرض، ومهَّد تربتها لإنبات نبات شتى، مختلف ألوانه وأصنافه.

فأين أصحاب العلوم والفكر عن هذه الآيات المبهرات، وصدق القائل في كتابه العزيز:

**﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾** (الجاثية: ١٣).

---

[1] من آيات الإعجاز العلمي٤، النبات في القرآن الكريم، ج١، ص١٩٢.

**المطلب الرابع: خلق الإنسان، واستخلافه في الأرض؛ لإعمارها:**

يتميز هذا المطلب في الحديث عن المخلوق الذي سخَّر الله سبحانه وتعالى له كل ما سبق الحديث عنه من جبال وبحار وأنهار وسحاب ورياح ونبات، سخَّر كل ذلك؛ من أجل تهيئة الأرض لاستقباله، ذلك المخلوق الذي فضَّله الله تعالى على كثير ممن خلق، وقد بدأ خلقه من طين، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ** ﴾ (السجدة:٧).

فبعد أن سخر الله سبحانه وتعالى الأرض لقدوم الإنسان، بأن مهدها وبسطها وجعل فيها رواسي ومن كل الثمرات، خلق آدم ﷺ واستخلفه في الأرض، هذه الحقيقة التي يؤمن بها كل مسلم شهِد أن لا إله إلا الله، وأنه هو الخالق والمدبر، ولكن للأسف هناك بعض القلوب زاغت وتخبطت، فادَّعت أن الإنسان كسائر المخلوقات قد نشأ بالصدفة من كائنات بدائية، ثم نما وتطور حتى صار على ما صار عليه، فبدأ التناسل بالتزاوج، وخرجت على البشرية بعض النظريات المتخبطة التي تصف الإنسان البدائي، أبرز هذه النظريات، نظرية داروين التي ادّعت أن أصل الإنسان قرد.

ولقد جهل الداروينيون والملاحدة استحالة تطور الإنسان من القردة، فعِلمُ الوراثة والهندسة الوراثية لم يكن معروفاً في عصرهم، وقد حاولوا فيما بعد أن يصنعوا خلية حية فباءت محاولاتهم بفشل ذريع، كما حاول العديد من علماء الغرب والشرق أن يُنتجوا كائناً حياً من تركيب مجموعة من الأحماض الأمينيه ففلحوا، ولكن تناسوا أن يُفكِّروا بأصل هذه المادة، وهذه الأحماض من أين جاءت؟، وهل باستطاعتهم أن يَخلقوها من العدم؟، فضلاً عن فَشَلِهم في محاولتهم لولادة أي كائن حي من هذه المركبات وبقيت مادة ميتة، وبعد ذلك وضعوا جراثيم وفطريات ووحيدات خلية وطحالب وغيرها من الكائنات البسيطة التي يُعتقد أنها كانت موجودة على سطح الأرض في بداية عهدها، ثم وضعوها في أوساط وظروف متعددة، لعلها تتحد فتعطي كائناً بدائياً متعدد الخلايا، فباءت محاولاتهم بالفشل والخذلان، متناسين قول الله عزّ وجل: ﴿ **أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ** ﴾ (الواقعة:٥٨،٥٩).

وهم بمحاولاتهم هذه أنكروا وجود الخالق المبدع، واعتبروا الطبيعة هي الخالق، وأنها وراء حفظ قوانين الكون ونواميسه، فدعوا إلى التحرر والتفلت من قيود الدين، وأفهموا الناس أن

الله –عزَّ وجل– غير موجود، وأن البعث خرافة ابتدعها رجال الدين؛ لتخويف الناس وإخضاعهم لسيطرتهم[1].

ونسي أو تناسى هؤلاء الملحدون أن ما يحاولون فهمه موجود في الدين، فعميت أبصارهم عن رؤية الحقيقة، المتمثلة بقوله تعالى:

**﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (لقمان:١١).**

مع العلم أن هناك من العلماء من وصل إلى هذه الحقيقة، ولم يُعْمه علمه من الاعتراف بوجود خالق مدبر.

من هؤلاء العالم البروفيسور سيسيل هيمان الأستاذ في جامعة كينتاكي بالولايات المتحدة الأمريكية حيث قال: " كلما وصل الإنسان إلى اكتشاف جديد كلما استدل أكثر على وجود الله وعلى عظمته" ثم يردف هذا البروفيسور قائلاً: " قد يجادل المتشكك طويلاً، ولكن ما أن تقوده الخبرة الشخصية إلى إدراك إحدى المعجزات حتى تنزاح عنه الغمة وينير الإيمان قلبه، أما من كان بعيداً بحكم عمله وعلمه عن مجال البحث العلمي والاستقصاء فإنني أنصحه أن يطلع على مكتشفات العلماء، وعلى ما وصلوا إليه في مجال التوحيد فيستمد قبساً من النور الإلهي البديع."[2]

أما المسلمون فقد تميَّزوا بأنْ أَنزلَ الله ﷻ على نبيهم كتاباً فيه تبيان لكل شيء، وأصل العلوم، وحقيقة الأصل البشري، التي أسهب فيها العلم والعلماء كثيراً.

والحكاية من البداية أن الله ﷻ أراد أن يجعل له خليفة في أرضه بعد أن خلقها وأبدعها، مهمته، عبادة الله تعالى في الأرض وتطويرها وعمارتها، يقول الله سبحانه: **﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾** (الذاريات: ٥٦).

وقد تحدّث سبحانه عن هذا الحدث الهام في تاريخ الكون بقوله تعالى: **﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾** (البقرة:٣٠).

[1] الإعجاز الإلهي في خلق الإنسان، د. محمد نبيل النشواتي، ص٩، ١٥،١٢ (بتصرف).

[2] المرجع السابق، ص١٧.

فهاتان الآيتان تتحدثان عن حقيقة كبرى، أن هنالك غاية معينة لوجود الجن والإنس، فمن قام بها وأداها فقد حقق غاية وجوده، ومن قصَّر فيها أو نكل عنها، فقد أبطل غاية وجوده؛ وأصبح بلا وظيفة، وباتت حياته فارغة من القصد، خاوية من معناها الأصيل، هذه الوظيفة المعينة التي تربط الجن والإنس بناموس الوجود، هي العبادة لله تعالى، وإن مدلول العبادة لا بد أن يكون أوسع وأشمل من مجرد إقامة الشعائر، فالجن والإنس لا يقضون حياتهم في إقامة الشعائر فقط فهو يكلفهم ألواناً أخرى من النشاط تستغرق معظم حياتهم، وقد لا تُعرف ألوان النشاط التي يكلفها الجن؛ ولكن حدود النشاط المطلوب من الإنسان ذكرها سبحانه في الآية الثانية وهي قوله سبحانه: : ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ (البقرة:٣٠). والخلافة تقتضي ألواناً من النشاط الحيوي في عمارة الأرض، والتعرف إلى قواها وطاقاتها، وذخائرها ومكنوناتها، وتحقق إرادة الله في استخدامها وتنميتها وترقية الحياة فيها، كما تقتضي الخلافة القيام على شريعة الله في الأرض؛ لتحقيق المنهج الإلهي الذي يتناسق مع الناموس الكوني العام، ومن ثم يتجلى أن معنى العبادة التي هي غاية الوجود الإنساني أو التي هي وظيفة الإنسان الأولى، أوسع وأشمل من مجرد الشعائر؛ وأن وظيفة الخلافة داخلة في مدلول العبادة قطعاً.[١]

وتحدّث الإمام ابن عاشور عن هذا الحدث بقوله: " عَطَفَتْ الواو قصة خلق أول البشر على قصة خلق السماوات والأرض؛ انتقالاً بهم في الاستدلال على أن الله واحد ... واعلم أن موقع الدليل بخلق آدم على الوحدانية هو أن خلق أصل النوع أمر مدرك بالضرورة؛ لأن كل إنسان إذا لَفَتَ ذهنه إلى وجوده علم أنه وجود مسبوق بوجود أصل له بما يشاهد من نشأة الأبناء عن الآباء، فيوقن أن لهذا النوع أصلاً أولَ ينتهي إليه نشوءه، وقد كانت العبرة بخلق ما في الأرض جميعاً، فأُدْمِجت فيها منة، وهي قوله: ﴿ **لكم** ﴾ (البقرة: ٢٩) المقتضية أن خلق ما في الأرض لأجلهم، تَهَيَّأَتْ أنفسهم لسماع قصة إيجاد منشأ الناس الذين خُلقت الأرض لأجلهم؛ ليُحاط بما في ذلك من دلائل القدرة مع عظيم المنة، وهي منة الخلق التي نشأت عنها فضائل جمة ومِنَّة التفضيل، ومنة خلافة الله في الأرض، فكان خَلق أصلنا هو أبدع مظاهر إحيائنا الذي هو الأصل في خلق ما في الأرض لنا، فكانت المناسبة في الانتقال إلى التذكير به

---

[١] في ظلال القرآن، سيد قطب، م٦، ص٣٣٨٧ (بتصرف).

واضحة مع حسن التخلص إلى ذكر خبره العجيب، فإيراد واو العطف هنا لأجل إظهار استقلال هذه القصة في حد ذاتها في عظم شأنها."[١]

وذكر الإمام الشوكاني في قوله تعالى على لسان الملائكة: ﴿... **قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ**﴾ أنه " كان فيها قبل أن يخلق بألفي عام الجن بنو الجان، فأفسدوا في الأرض، وسفكوا الدماء، فلما أفسدوا في الأرض، بعث الله عليهم جنوداً من الملائكة، فضربوهم حتى ألحقوهم بجزائر البحور، فلما قال الله: ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِى ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ**﴾ كما فعل أولئك الجان، فقال الله: ﴿**إِنِّي أَعۡلَمُ مَا لاَ تَعۡلَمُونَ**﴾.[٢]

وذكر سيد قطب –رحمه الله– أن قول الملائكة هذا يُوحي بأنه كان لديهم من الشواهد ومن إلهام البصيرة، أو من تجارب سابقة في الأرض، ما يجعلهم يتوقعون أنه سيفسد في الأرض، وهم يرون التسبيح بحمد الله والتقديس له، هو الغاية المطلقة للوجود، وهو متحقق بوجودهم هم، وخفيت عليهم الحكمة من خلق آدم وجعله خليفة لله تعالى في الأرض؛ ليبنيها ويعمرها، وهذا قد يُفسد ويسفك الدماء أحياناً، ولكن يتم من وراء هذا الشر الجزئي الظاهر، خير أكبر وأشمل، ألا وهو النمو والرقي.[٣]

وصرَّح الله عزَّ وجل أن أصل مادة آدم – عليه السلام – من التراب في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ (آل عمران:٥٩).

أي: " شأنَه البديعَ المنتظِمَ لغرابته في سلك الأمثال في تقدير الله وحكمه ﴿**كَمَثَلِ ءادَمَ**﴾ أي كحاله العجيبةِ التي لا يرتاب فيها مرتاب، ولا ينازِعُ فيها منازِع ﴿**خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ**﴾ تفسيرٌ لما أُبهم في المَثَل، وتفصيلٌ لما أُجمِلَ فيه، وتوضيحٌ للتمثيل ببيان وجهِ الشبهِ بينهما، وحسمٌ لمادة شُبهة الخصومِ فإن إنكارَ خلقِ عيسى عليه الصلاة والسلام بلا أب – ممن اعترف بخلقِ آدم عليه الصلاة والسلام بغير أبٍ وأمٍ – مما لا يكاد يصح، والمعنى خلق قالبه من تراب، ﴿ **ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن** ﴾ أي أنشأه بَشَراً، كما في قوله تعالى:﴿ **ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ** ﴾ (المؤمنون:١٤) أو قدّر تكوينَه من التراب ثم كوّنه ويجوز كونُ ﴿ **ثُمَّ** ﴾ لتراخي المُخبَرِ به ﴿ **فَيَكُونُ** ﴾ حكايةُ حالٍ ماضية "[١].

---

[١] التحرير والتنوير، م١، ج١، ص٣٩٥.

[٢] فتح القدير، ج١، ٦٧.

[٣] انظر: (في ظلال القرآن) سيد قطب، م١، ج١، ص٥٦،٥٧.

[١] إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج٢، ص٧٠.

وفي مواضع أخرى جاء إخبار الله ﷻ الملائكة أنه سيخلق بشراً، وقد حدد المادة التي سيخلقه منها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾ (ص: ٧١ ، ٧٢).

أي: خالق فيما سيأتي من الزمن جسماً من جنس البشر مأخوذ من مباشرته للأرض، أو من كونه بادي البشرة، وقوله: ﴿ **مِن طِينٍ** ﴾ متعلق بمحذوف هو: صفة لبشر، ومعنى ﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ** ﴾: صوّرته على صورة البشر، وسوّيت خلقه حتى صارت أجزاؤه مستوية، ﴿ **وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى** ﴾ النفخ إجراء الريح في الشيء، والمراد: جعله حياً بعد أن كان جماداً لا حياة فيه[١].

ووصف سبحانه الطين الذي بدأ خلق آدم به باللازب، وذلك في قوله سبحانه: ﴿**فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ** ﴾ (الصافات:١١).

وقوله: ﴿ **إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ** ﴾ يقول: إنا خلقناهم من طين لاصق، وهو التراب المخلوط بالماء، فصار طيناً لازباً، والعرب تُبدل أحياناً الباء ميماً، فتقول: طين لازم، وعن ابن عباس – رضي الله عنه– قال: ﴿ **طِينٍ لازِبٍ** ﴾ هو: الطين الحر الجيد اللزج[٢].

وجاء التعبير عن مادة الخلق بصلصال من حمأ مسنون في قوله سبحانه: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مسنون**﴾ (الحجر:٢٨) وقد فسر الإمام القرطبي الصلصال بالطين.[٣]

أما الإمام الشوكاني ففي معرض تفسيره للآية: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ** ﴾ (الحجر: ٢٦) فقد ذكر أن الصلصال هو: الطين المخلوط بالرمل الذي يتصلصل إذا حُرّك، فإذا طبخ في النار فهو الفخار، ونقل قولاً عن الكسائي[٤] أنه الطين المنتن، مأخوذ من قول العرب صلّ اللحم وأصلّ: إذا أنتن، مطبوخاً كان أو نيئاً، والحمأ: الطين الأسود المتغير، أو الطين الأسود من غير تقييد بالمتغير، والمسنون: هو المتغير، وأصله من سننت الحجر على الحجر: إذا حككته، ويقال: أسن الماء: إذا تغير، ومنه قوله: ﴿ **لَمْ يَتَسَنَّهْ**﴾ (البقرة: ٢٥٩)، وقيل

---

[١] انظر: (فتح القدير) الشوكاني، ج٤، ص٥٠٩.

[٢] انظر: (جامع البيان) الطبري، م١٢، ج٢٣، ص٤٦،٤٧.

[٣] انظر: (الجامع لأحكام القرآن) م٥، ج١٠، ص١٨.

[٤] الكسائي: هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي، إمام في اللغة والنحو والقراءة، من أهل الكوفة، وُلد في إحدى قراها وتوفي بالري عام ١٨٩هـ–٨٠٥م عن عمر يناهز سبعين عاماً، من تصانيفه: معاني القرآن والمصادر والقراءات والمتشابه في القرآن. انظر: (الأعلام) الزركلي، ج٤، ص٢٨٣.

المسنون: المصبوب، وهو من قول العرب: سننت الماء على الوجه: إذا صببته، والسنّ الصب.(١)

وأجمل الإمام الشوكاني معنى الحمأ المسنون: " أن التراب لما بلّ، صار طيناً، فلما أنتن صار حمأً مسنوناً، فلما يبس صار صلصالاً، فأصل الصلصال: هو الحمأ المسنون." (٢)

وكان أول مخلوق خلقه الله تعالى من بني البشر هو آدم عليه السلام، وبعد خَلْقه، علَّمه الله – تعالى– الأسماء كلها، حيث يقول عزَّ من قائل: ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾(البقرة: ٣١).

والآية معطوفة على قوله تعالى : ﴿ **قال إني أعلم ما لا تعلمون** ﴾ (البقرة: ٣٠) عطف حكاية الدليل التفصيلي على حكاية الاستدلال الإجمالي الذي اقتضاه قوله: ﴿**إني أعلم ما لا تعلمون**﴾ فإن تعليم آدم الأسماء وإظهار فضيلته بقبوله لهذا التعليم دون الملائكة جعله الله حجة على قوله لهم ﴿ **إني أعلم ما لا تعلمون** ﴾ أي ما لا تعلمون من جدارة هذا المخلوق بالخلافة في الأرض، وعطف ذكر آدم بعد ذكر مقالة الله للملائكة، وذكر محاورتهم يدل على أن هذا الخليفة هو آدم، وأن آدم اسم لذلك الخليفة. (٣)

ونقل أبو السعود قولاً لابن عباس رضي الله عنه وقتادة ومجاهد وابنُ جُبيرٍ(٤): " علّمه أسماء جميع الأشياءِ ... وقيل: أسماء ما كان وما سيكونُ إلى يوم القيامة، وقيل: معنى قوله تعالى: ﴿**وعلَّم آدمَ الأسماءَ** ﴾: خلقه من أجزاء مختلفةٍ، وقوى متباينة، مستعداً لإدراكِ أنواع المُدرَكات من: المعقولات والمحسوسات والمتخيَّلات والموهومات، وألهمه معرفةَ ذواتِ الأشياءِ، وأسمائها وخواصها ومعارفِها، وأصول العلم، وقوانين الصناعات وتفاصيل آلاتِها وكيفيات استعمالاتها، فيكون ما مر من المقاولة قبل خلقه عليه السلام." (١)

وجاء الأمر للملائكة بالسجود لآدم، وقد سجد الملائكة أجمعون ﴿ **إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ ( البقرة:٣٤).

---

(١) انظر: (فتح القدير) ج٣، ص١٤٧.

(٢) المرجع السابق، ج٣، ص١٤٧.

(٣) التحرير والتنوير، م١، ج١، ص٤٠٧ (بتصرف يسير).

(٤) سعيد بن جبير الأسدي بالولاء الكوفي أبو عبد الله: تابعي، كان أعلمهم على الإطلاق، وهو حبشي الأصل من بني أسد، أخذ العلم عن عبد الله بعد عباس وابن عمر. كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه قال: أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء ؟ يعني سعيداً ،وُلد عام (٤٥هـ-٦٦٥م) وتوفي في (٩٥هـ-٧١٤م). انظر: (الأعلام) الزركلي، ج٣، ص٩٣.

(١) إرشاد العقل السليم: أبو السعود،ج١، ص١٧٢.

يقول الله تعالى:

**﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّاجِدِينَ * قَالَ يٰإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ ٱلسَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾** ( الحجر: ٣٠-٣٣)

فقد تخلَّف إبليس عن السجود لآدم – عليه السلام- من بين سائر الملائكة حسداً وكفراً وعناداً واستكباراً وافتخاراً بالباطل، ولهذا قال: **﴿ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾** كقوله: **﴿ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾** (الأعراف: ١٢)، وقوله: **﴿ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾** (الإسراء:٦٢)[١]

وخلق الله عزَّ وجل حواء زوج آدم منه، حيث يقول الله تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾** (النساء:١)

وقوله: **﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وٰحِدَةٍ ﴾**: يعني من آدم، **﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾**: وخلق من النفس الواحدة زوجها؛ يعني بالزوج: الثاني لها، وقد نقل الإمام الطبري قولاً لمجاهد حيث قال: **﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾**: حوّاء من قُصَيْرَى[٢] آدم وهو نائم، فاستيقظ فقال: "أثا" بالنبطية امرأة.

وعن قتادة: يعني حوّاء خلقت من آدم، من ضلع من أضلاعه. [٣]

وقد خلقه سبحانه بطول ستين ذراعاً فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبيﷺ: **(خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً، ثم قال: اذهب فسلم على أولئك من الملائكة، فاستمع ما يحيونك، تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن)**[١]

أما بيت آدم وحواء –عليهما السلام-، ففي بادئ الأمر أسكنهما الله ﷻ الجنة، وتكفَّل برزقهما، يأكلون منها حيث شاءا، إلا شجرة واحدة نهاهما عن الاقتراب منها:

---

[١] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٤، ص١٩٥٦(بتصرف يسير)

[٢] القصيرى: أسفل الأضلاع، أو هي الضلع التي تلي الشاكلة بين الجنب والبطن. انظر: (جامع البيان) م٣، ج٤، ص٢٧١

[٣] انظر: (جامع البيان) م٣، ج٤، ص٢٧١، ٢٧٢.

[١] صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، ص٦٣٤، ح٣٣٢٦.

**﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ ﴾** (البقرة: ٣٥)

واسكن من السُكنىٰ، وهو اللُّبث والإقامةُ والاستقرارُ، واختلفت الآراء حول الجنة التي أسكنهما بها:

١) فقيل هي جنةٌ بأرض فلسطين، خلقها الله تعالى امتحاناً لآدمَ عليه السلام، وحُمل الإهباطُ على النقل منها إلى أرض الهندِ، كما في قوله تعالى:**﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا ﴾** (البقرة: ٦١) فبذلك كان خلقه في الأرض بلا خلاف، ولم يذكر في هذه القصة رفعُه إلى السماء، ولو وقع ذلك، لكان أولى بالذكر، لما أنه من أعظم النعمِ، إلى جانب أنها لو كانت دارَ الخلد لما دخلها إبليسُ.

٢) وقيل: إنها كانت في السماء السابعة، بدليل اهبِطوا، ثم إن الإهباطَ الأولَ كان منها إلى السماء الدنيا، والثاني منها إلى الأرض.

٣) وقيل: الكلُّ ممكنٌ، والأدلةُ النقلية متعارضةٌ، فوجب التوقفُ وتركُ القطع. [١]

وأراد إبليس – لعنه الله– أن يستدرج آدم ﷺ وزوجه إلى المعصية، ويُسقط آدم من مرتبته كما سقط هو، يقول الله تعالى: ﴿ **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾(البقرة: ٣٦–٣٧) **﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾**: فيها قراءتان فأزلهما بغير ألف من الزلَّة وهي الخطيئة، أي ٱستزلهما وأوقعهما فيها، وهذا على قراءة الجماعة، أو فَأَزالهما: بألف، من التَّنحية، أي نَحَّاهما وصرفهما عما كانا عليه من الطاعة إلى المعصية، وقد رجَّح الإمام القرطبي قراءة الجمهور، فذكر أنها أمكن في المعنى، يقال: أَزْلَلْته فزَلَّ، ودليل ذلك قولُه تعالى: **﴿ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ﴾** ( آل عمران: ١٥٥). [٢]

وفي موضع آخر جاء التعبير بالوسوسة حيث يقول الله تعالى: **﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾** (الأعراف:٢٠)، وقوله: **﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَانُ ﴾**: الوسوسة هي: إدخالهما في الزّلل بالمعصية، وليس للشيطان قدرة على زوال أحد من مكان إلى مكان، إنما قدرته على إدخاله في الزلل، فيكون ذلك سبباً إلى زواله من مكان إلى مكان بذنبه.

---

(١) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج١، ص١٨١(بتصرف يسير).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، م١، ج١، ص٢٥٩(بتصرف يسير).

فأخرجهما: تأكيد وبيان للزوال؛ إذ قد يمكن أن يزولا عن مكان كانا فيه إلى مكان آخر من الجنة، وليس كذلك، وإنما كان إخراجهما من الجنة إلى الأرض؛ لأنهما خُلقا منها، وليكون آدم خليفة في الأرض، ولم يقصد إبليس – لعنه الله – إخراجه منها وإنما قصد إسقاطه من مرتبته وإبعاده كما أُبعد هو؛ فلم يبلغ مقصده، ولا أدرك مراده، قال الله جلّ ثناؤه: ﴿ **ثُمَّ ٱجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ** ﴾ ( طه: ١٢٢) فصار عليه السلام خليفة الله في أرضه بعد أن كان جاراً له في داره. (١)

﴿ **وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** ﴾: أي موضع قرار ومستمتع إلى وقت انقضاء آجالكم، قوله عزَّ وجل ﴿ **فتلقى آدم** ﴾ أي فتلقن، والتلقي هو قبول عن فطنة وفهم، وقيل هو التعلم، ﴿ **مِنْ رَبه كَلِمَاتٍ** ﴾ أي لقنه الله تعالى كلمات وعلمه إياها فكانت سبب توبته. (٢)

وبعد نزول آدم وحواء من الجنة إلى الأرض، بدأ تسلسل ذريتهما، وبدأ التناسل البشري في الأرض، التي سخَّرها الله ﷻ مسبقاً؛ تمهيداً لنزول خليفته إليها، وهيأها له، ولنسله من بعده،

حيث بدأ هذا التسخير بخلق العديد من أنواع الحياة النباتية والحيوانية، فلعبا دوراً هاماً في ازدهار الحياة الأرضية، كما ولعبت بقاياهما دوراً مهماً في استقبال المراحل التالية، ومن ثَم تكوين كل من النفط والغاز، تمهيداً لحياة هذا المخلوق المكرم، ونسله من بعده، والذي لا يتعدَّ أقدم أثر له على الأرض المائة ألف سنه، والله تعالى أعلى وأعلم.(٣)

لذلك يقول الله تعالى آمراً خلقه بتقواه: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾ (النساء:١).

والتقوى عبادته وحده لا شريك له، وقد نبههم بقدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة، وهي آدم عليه السلام يقول تعالى: ﴿ **وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا** ﴾ وهي حواء عليها السلام خلقت من ضلعه الأيسر، من خلفه وهو نائم، فاستيقظ فرآها فأعجبته، فأنس إليها وأنست إليه، وقوله: ﴿**وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً** ﴾ أي: وذرأ منهما، أي: من آدم وحواء، رجالاً كثيراً ونساء، ونشرهم في أقطار العالم على اختلاف أصنافهم وصفاتهم وألوانهم ولغاتهم.(١)

---

(١) انظر: (الجامع لأحكام القرآن) القرطبي، ، م١، ج١، ص٢٥٩.

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن،ج١، ص٥١ (بتصرف يسير).

(٣) من آيات الإعجاز العلمي٤، النبات في القرآن الكريم، ج١، ص١٤٩(بتصرف).

(١) انظر: (تفسير القرآن العظيم) ابن كثير، ج٢، ص٨٤٣.

وهكذا بدأت الحياة البشرية على كوكب الأرض، بنزول آدم وحواء إليها، وبِدْء عملية التناسل البشري، وتعمير هذه الأرض على مر العصور والأزمان، وقد بعث الله تعالى إلى خليفته في الأرض العديد من الأنبياء والرسل حيث يقول تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ...** ﴾ (المؤمنون: ٤٤)؛ لإرشادهم إلى جادة الصواب؛ ولتقويم ما تُفسده النفس البشرية، ولتبليغها سنن الله تعالى، وقوانين تعمير هذه الأرض؛ حتى لا يزيغ الإنسان عن الحق، وعن الغاية التي خُلِق لأجلها، فكان أوّل نبي بُعث لقومه آدم عليه الصلاة والسلام، أما خاتم الأنبياء والمرسلين، فالحبيب محمد ﷺ أرسله الله تعالى؛ رحمة للعالمين، وخاتماً للأنبياء والمرسلين، عن أبي هريرةﷺ عن النبي ﷺ قال: **(مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله، فجعل الناس يُطِيفُونَ به يقولون: ما رأينا بنياناً أحسن من هذا، إلا هذه اللبنة، فكنتُ أنا تلك اللبنة).** [(١)]

ويقول الله سبحانه: ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** ﴾ (الأحزاب: ٤٠)، ويقول أيضاً: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وأنزل معه القرآن الكريم هدىً ورحمةً للناس أجمعين فيما اختلفوا فيه ﴿ **وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (النحل: ٦٤).

وجعل الله تعالى الدين عنده الإسلام، حيث يقول عزَّ من قائل: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ..**﴾ (آل عمران:١٩)، وجعل القرآن الكريم دستور البشرية إلى قيام الساعة، ونهاية هذا الكون، وفيه تبيان لكل شيء﴿... **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾ (النحل: ٨٩)، وقد تحدَّث خاتم الأنبياء والمرسلين عن النهاية المتمثلة بقيام الساعة، وربطها ببعثه ﷺ فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ( **بُعثت أنا والساعة كهاتين، قال: وضم السبابة والوسطى).**[(١)]

وبذلك تنتهي قصة الكون من البداية إلى خلق الخليفة وإسكانه الأرض، وإرسال الرسل والأنبياء من بعده، والآن وبعد مرور أكثر من ألف وأربعمائة عام على موت خاتم الأنبياء محمدﷺ ، قد آن الحديث عن نهاية هذا الكون، بما فيه من مخلوقات شتى، وهذا ما سيأتي في الفصل القادم والأخير بإذن الله تعالى.

---

[(١)] صحيح البخاري: كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، ص٩٠٠.

[(١)] صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قُرْب الساعة، ص١١٣٠، ح٢٩٥١.

# الفصل الرابع

# آيات نهاية الكون والإعجاز العلمي فيها

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: آيات نهاية السماء وأجرامها والإعجاز العلمي فيها**
- **المبحث الثاني: آيات نهاية الأرض والإعجاز العلمي فيها**

# الفصل الرابع

# آيات نهاية الكون والإعجاز العلمي فيها

كان الحديث في الفصول السابقة عن بداية هذا الكون، وتسخير ما فيه لمن فضَّله الله تعالى على كثير ممن خلق، وجعله خليفة له في أرضه، بما فيها من مخلوقات، فكان الحديث مطولاً عنها، وعن الحكمة من تسخير بعضها، وانتهى الحال في الفصل السابق بقصة خلق أبينا آدم عليه السلام وأمنا حواء –عليها السلام–، وكيف أن المعصية كانت السبب في إخراجهما من وطن بني آدم الأصلي، ألا وهو الجنة، فخرجا منها، وسكنا الأرض وكُتب عليهما، وعلى نسلهما أن إبليس عدوهم إلى قيام الساعة، وتتابعت الرسل والأنبياء؛ لإرشادهم إلى جادة الصواب والطريق المستقيم، طريق العودة إلى وطنهم أجمعين، فكان خاتم الأنبياء والمرسلين هو محمد بن عبد الله – عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم– حيث بعث رحمة للعالمين، وأنزل معه الخالق سبحانه كتاباً فيه تبيان لكل شيء، فورد فيه من أخبار البداية ما جاء الحديث عنه تفصيلاً فيما مضى من فصول، أما هذا الفصل وهو الأخير في هذا البحث، ففيه الحديث عن ما تتزلزل القلوب بذكره، وتشيب الولدان لهوله، ألا وهو أحداث القيامة، ونهاية هذا الكون البديع، خاصةً أنّ هناك من أشراط الساعة التي تحدّث عنها الرسول ﷺ قد تحققت، ومنها ما جاء في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال ﷺ: **(إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنا وتشرب الخمر، ويكثر النساء، ويقل الرجال، حتى يكون لخمسين امرأة قيّم واحد).**[1]

في هذا الفصل ستتتبع الباحثة الآيات الواردة في القرآن الكريم عن أخبار هذه النهاية، نهاية السماوات وأجرامها، والأرض وما فيها، في محاولة لفهم ما سيحدث، في حدود الاجتهاد دون الجزم بأي حدث إلا إذا جاء الخبر الأكيد فيه، وستتوقف الباحثة عند يوم الحساب حيث الناس إلى جنة أو نار والعياذ بالله، فهنا تنتهي دار الحياة الدنيا بيومها الآخر، وتأتي دار الخلود، وهي الدار التي يعجز الإنسان عن وصفها ووصف ما فيها، سواء وصف ما أعدّه الخالق الباري للمؤمنين من ثواب وجزاء لصبرهم، حيث يُسكنهم الجنة، ويُمتعهم بما فيها من نعيم، أو بوصف ما أعدّه للمشركين من عذاب أليم في نار الخلود– والعياذ بالله–.

---

[1] سنن الترمذي: كتاب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في أشراط الساعة، ص٤٩٩، ح ٢٢٠٥، قال عنه صحيح.

## المبحث الأول: آيات نهاية السماء وأجرامها والإعجاز العلمي فيها

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: آيات نهاية أجرام السماء والإعجاز العلمي فيها**
- **المطلب الثاني: آيات نهاية السماء وتبديلها والإعجاز العلمي فيها**

## المبحث الأول: آيات نهاية السماء وأجرامها والإعجاز العلمي فيها

### المطلب الأول: آيات نهاية أجرام السماء والإعجاز العلمي فيها

تحدَّث الخالق سبحانه عن نهاية أجرام السماء من شمس وقمر وكواكب ونجوم في الكثير من الآيات، فرَّق سبحانه بينها في التعبير عن نهايتها، فعبَّر عن نهاية الشمس بلفظ التكوير، وعن نهاية النجوم بالطمس، وفي موضع آخر بالانكدار، أما الكواكب فجاء التعبير بالانتثار.

في هذا المبحث سترصد الباحثة – بإذن الله تعالى– هذه الأوصاف لنهاية أجرام السماء، مع محاولة فهم سبب التفريق بينها في وصف نهايتها.

**أولاً: تكوير الشمس:** جاء ذكر نهاية الشمس بتكويرها في قوله تعالى: **﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾** (التكوير:١)، والمقصود بتكوير الشمس: فساد جرمها لتداخل ظاهرها في باطنها بحيث يختل تركيبها فيختل؛ لاختلاله نظام سيرها. (١)

وهذا ما ذهب إليه الإمام ابن عاشور، أما الإمام النسفي ففسَّر التكوير بذهاب الضوء من كُوِّرت العمامة إذا لففتها، أي يلف ضوءها لفاً، فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق. (٢)

**ثانياً: جَمْعُ الشمس والقمر:** ففي موضع آخر تحدَّث الله ﷻ عن جَمْعِ الشمس والقمر معاً في سياق الحديث عن أهوال يوم القيامة حيث يقول الله تعالى: **﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ *وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ *وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ * يَقُولُ ٱلإنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾** (القيامة:٧-١٠).

وقد ذكر العلماء عدة أقوال في معنى جَمْع الشمس والقمر، فقيل:

١) جُعِلا أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران.

٢) وقيل: يجمع بينهما في ذهاب الضياء.

٣) وقيل يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى. (٣)

وهذه الأقوال الثلاثة ذكرها كل من الإمام البغوي والقرطبي، وأضاف الإمام القرطبي قولاً رابعاً حيث قال:

---

(١) انظر: (التحرير والتنوير) م١٥، ج٣٠، ص١٤١

(٢) انظر: (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) النسفي، م٢، ج٤، ص٤٩٠.

(٣) انظر: (معالم التنزيل في التفسير والتأويل) البغوي، م٥، ص٣٠٣ (الجامع لأحكام القرآن) القرطبي، م١٠، ج١٩، ص٧٢.

" وقيل: هذا الجمع أنهما يجتمعان ولا يفترقان، ويقربان من الناس، فيلحقهم العرق لشدّة الحر؛ فكأن المعنى يجمع حرهما عليهم".[1]

ونقل الإمام الطبري قولاً عن مجاهد حيث قال: ﴿ **وجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمَرُ** ﴾ أي كُوِّرا يوم القيامة. [2]

وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(الشمس والقمر مُكورتان يوم القيامة)**.[3]

**ثالثاً: تناثر الكواكب:** وأشار الله تعالى لمآل الكواكب في سورة الانفطار حيث قال عزَّ من قائل: ﴿**وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ**﴾ (٢)، وفي معنى الانتثار ذهب الإمام الطبري إلى أن انتثار النجوم هو بمعنى تساقطها. [4]

وقال الإمام ابن عاشور إن الانتثار: " هو مطاوع النثر ضد الجمع، وضد الضم، فالنثر هو رمي أشياء على الأرض بتفرق، وأما التفرق في الهواء فإطلاق النثر عليه مجاز كما في قوله تعالى: ﴿ **فجعلناه هباء منثوراً**﴾ (الفرقان: ٢٣ ) فانتثار الكواكب مستعار لتفرق هيئات اجتماعها المعروفة في مواقعها، أو مستعار لخروجها من دوائر أفلاكها، فتبدو مضطربة في الفضاء بعد أن كانت تلوح كأنها قارّة، فانتثارها تبددها وتفرق مجتمعها، وذلك من آثار اختلال قوة الجاذبية التي أقيم عليها نظام العالم الشمسي." [5]

**رابعاً: طمس النجوم وانكدارها:** وذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ** ﴾ (المرسلات: ٨)، وطَمْسُها: زوال نورها. [6]

ورجح الإمام الرازي أن يكون المراد مُحِقت ذواتها، وجعل معنى الطمس موافق للنثر في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ** ﴾ (الانفطار: ٢) وكذلك الانكدار في قوله سبحانه: ﴿ **وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ** ﴾ (التكوير: ٢) مع احتمال أن يكون المراد مُحقت أنوارها.[7]

وجاء التعبير عن نهاية النجوم بالانكدار في قوله ﷻ: ﴿ **وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ** ﴾ (التكوير : ٢).

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، م١٠، ج١٩، ص٧٢.

[2] انظر: (جامع البيان) م١٤، ج٢٩، ص١٩٤.

[3] صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر بحسبان، ص٦٧٣ ، ح٣٢٠٠.

[4] انظر: (جامع البيان) الطبري، م١٥،ج٣٠، ص٩٣.

[5] التحرير والتنوير، م١٥، ج٣٠، ص١٧١.

[6] المرجع السابق، م١٤، ج٢٩، ص٤٢٤.

[7] انظر: (االتفسير الكبير) ج٣٠، ص٢٦٩.

أي انفجرت وتناثرت، وقيل تهافتت وتناثرت، وقد نقل الإمام القرطبي قولاً أن انكدار النجوم هو تغيرها فلا يبقى لها ضوء؛ لزواله عن أماكنها. [١]

وقد فُسِّر الانكدار بالتساقطِ والانقضاضِ أيضاً، ومعنى تساقطها: تساقط بعضها على بعض واصطدامها؛ بسبب اختلال نظام الجاذبية الذي جعله الله سبحانه لإمساكها إلى أمد معلوم. [٢]

والله أعلم ما هي النجوم التي يصيبها هذا الحادث؟ وهل هي طائفة من النجوم القريبة من الأرض، والتي تبلغ مئات الملايين من النجوم، أم هي النجوم جميعها، والتي لا يعلم عددها ومواضعها إلا الله تعالى، فوراء ما يرى العلماء منها بمراصدهم مجرات وفضاءات لا يُعرف لها عدد ولا نهاية[٣].

من خلال ما سبق يتبين أن الله ﷻ وصف نهاية الشمس والنجوم عامة بعدة أوصاف يُمكن إجمالها فيما يلي:

١) **الطمس:** وهو زوال نورها.

٢) **الانكدار:** وهو التهافت والتناثر.

٣) **التكوير:** وتكوير الشمس فساد جرمها وذهاب ضوئها.

٤) **الانتثار:** وهذا الوصف اختصت فيه الكواكب، وانتثار الكواكب أي تساقطها.

وبالنظر إلى علوم الفلك الآن، فإنها تُؤكد أن سائر النجوم – ومن ضمنها الشمس – تنتهي وينطفئ نورها بعد أن تشيخ، وقد شرح علماء الفلك ذلك على النحو التالي: من المعروف أن الشمس مثلاً، تعتبر نجماً متوسطاً بالنسبة لباقي النجوم، وهي عبارة عن كرة من الغازات المتقدة، تتزن منذ وجودها بتأثير قوتين رئيستين متساويتين ومتضادتين هما:

١) القوة الناشئة عن الحرارة العالية، حيث تولِّد ضغطاً هائلاً يدفع الغاز إلى الخارج.

٢) القوة التجاذبية التي تجذب الغاز نحو مركز الشمس.[٤]

وبتساوي القوتين، تستقر الشمس دون انقباض أو انتفاخ، وهي على هذا الحال منذ ملايين السنين، تُولِّد الطاقة بانتظام، عن طريق تحويل الهيدروجين إلى هيليوم في باطنها، ويقدِّر العلماء أن الشمس الآن هي في مرحلة الشباب بالنسبة للنجوم، ويتوقع العلماء أن الشمس في

---

[١] انظر:(الجامع لأحكام القرآن)القرطبي، م١٠، ج١٩، (فتح العليم) أ.د. أحمد شوقي إبراهيم،ج٣٠، ص١٨١.

[٢] انظر: (التحرير والتنوير) م١٥، ج٣٠، ص١٤٢

[٣] في ظلال القرآن، سيد قطب، م٦، ص٣٨٣٨ (بتصرف يسير).

[٤] الكون، د. منصور حسب النبي، ص٣٧٥ (بتصرف).

المستقبل يُوشك غاز الهيدروجين فيها على النفاذ، فيزداد تركيز الهيليوم في باطنها، ويقف التفاعل النووي مؤقتاً، فتتغلب الجاذبية فوراً فينكمش القلب وينقبض انقباضاً مروعاً، فترتفع درجة حرارته بشكل هائل، وتتمدد كرة الشمس، وتزداد مساحة السطح الخارجي لها حتى تبتلع كوكبي عطارد والزهرة، ويُقدر العلماء أن سطحها سيتمدد ليصل إلى الغلاف الجوي للأرض، وبهذا تبتلع الشمس القمر، وتصبح الشمس بذلك عملاقا أحمر، وتستحيل الحياة على الأرض.(١)

وترى الباحثة أنه يمكن إسقاط هذه النظرية على الحديث الشريف: عن المقداد ﷺ عن النبي ﷺ: **( إذا كان يوم القيامة أُدنيت الشمس من العباد حتى تكون قيد ميل أو اثنين)** قال سليم بن عامر: لا أدري أي الميلين عنى، أمسافة الأرض أم الميل الذي يكحل به العين، قال: **(فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق بقدر أعمالهم، فمنهم من يأخذه إلى عقبيه ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه ومنهم من يأخذه إلى حِقْوَيْه ومنهم من يلجمه إلجاماً).**(٢)

أما ما سيحدث بعدها، فيُقدِّر العلماء أن الشمس ستتمدد، ويصبح حجمها عملاقاً، بحيث لا تستطيع الإمساك بأطرافها، وستفقد ما يزيد من ثلث كتلتها، لتصبح لباً عارياً صغيراً حرارته شديدة، ويتوقف نبض التفاعلات النووية في الباطن، لتبرد الشمس تدريجياً، ويتصاغر حجمها كثيراً، فتصبح قزماً أبيض صغيراً، وينطفئ نورها(٣).

والأنواع الأكبر حجماً من الشمس، نهايتها تختلف قليلاً عن نهاية الشمس، فهي تنفجر وتتناثر مادتها، وهناك الكثير من هذا النوع من النجوم ما تم رصد انفجاره وتناثر أجزائه في الكون، ومن أمثلة هذه النجوم ما يسمى بالنجوم النوفا والسوبر نوفا، والنوع الأول ينتهي بنثر أجزاء من مادته في الفضاء، أما السوبر نوفا فهي تنفجر عن بَكرة أبيها، وتتناثر مادتها كلها في الفضاء، ويصاحب ذلك انفجار كوني هائل، مثل الذي حدث عام ١٠٥٤م، حيث قال العلماء أن انفجار نجم سوبر نوفا قد أحدث انفجاراً مروعاً بعث ضوءاً هائلاً، وقال العلماء إن مادة النجم لا تزال تتناثر حتى اليوم في الفضاء.(١)

---

(١) انظر: (الكون) د. منصور حسب النبي، ص٣٧٥ ،٣٧٦.

(٢) سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن الرسول ﷺ، باب ما جاء في شان الحساب والقصاص، ص٥٤٥، ح ٢٤٢١، وقال عنه حديث حسن صحيح.

(٣) (كتاب الإعجاز٧) ، بحث: حياة النجوم بين العلم والقرآن الكريم، أ.د. محمد صالح النواوي، ص١٣(بتصرف).

(١) فتح العليم في تفسير القرآن الكريم وبيان أوجه الإعجاز فيه، أ.د.أحمد شوقي إبراهيم، ج٣٠، ص١٨٢ (بتصرف).

بعد هذا العرض لنهايات النجوم من الناحية العلمية، ترى الباحثة والله تعالى أعلم أن وصف الله ﷻ لنهاية النجوم بالتكوير، وجمع الشمس والقمر في حالة الشمس، وطمس النجوم وانكدارها في الآيات الكريمات: ﴿ **إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ** ﴾(التكوير: ١)، ﴿ **وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ**﴾(القيامة: ٩)، ﴿**وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ**﴾(الانفطار: ٢)، ﴿ **فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ** ﴾ (المرسلات : ٨)، ﴿ **وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ** ﴾ (التكوير : ٢)

هذه الأوصاف تنطبق على نهايات النجوم بأنواعها التي تمكَّن العلماء من رصدها في عصر تقدم العلوم، وهي أيضاً إشارة إلى نهاية النجوم عن بكرة أبيها يوم القيامة، والبيان فيما يلي:

١) قوله تعالى: ﴿**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ** ﴾: دلالة واضحة على نهاية الشمس بالتكوير، هذه الحقيقة التي غابت عن العلماء إلى حين أثبتوها بأنفسهم حديثاً، من خلال رصد نهاية العديد من النجوم المتوسطة، بحيث أكَّدوا أن الشمس سيأتي عليها يوم ينتهي فيه وقودها، وتنطفئ وينتهي دورها.

ومن الطريف أن من العلماء من يبحث عن طرق لإنقاذ البشرية من هذا اليوم، بنقلهم إلى كواكب أبعد لكن المشكلة في نظرهم تكمن في بناء سفن تكفي الناس كلهم [1]، ولو نظروا إلى القول الحق في هذه المسألة، لعلموا أن في هذا اليوم النهاية لكل ما في الكون، فأينما ذهبوا سيحلُ بهم الموت.

٢) أما قوله عزّ من قائل: ﴿ **وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ**﴾: فهو تعبير دقيق عن الكائن بعد المرحلة التالية لمرحلة العملقة الحمراء – كما سمَّاها العلماء تعبيراً عن التمدد الهائل للشمس عند ارتفاع درجة حرارتها–، بحيث تبتلع الشمسُ القمرَ.

٣) وقوله ﷻ: ﴿**وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ**﴾ : تعتقد الباحثة والله تعالى أعلم أن ذلك يُمكن إسقاطه على تناثر كواكب المجموعة الشمسية بعد انفلات عقد قوة جاذبية الشمس لكواكبها بعد انكماشها على نفسها وتكورها، فبذلك تنفلت باقي الكواكب الدائرة حولها وتنتثر، وكذلك الحال مع كافة الكواكب التابعة للشموس الأخرى في مجرة درب التبانة، والمجرات الأخرى.

٤) وجاء التعبير بالطمس في قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ** ﴾ ؛ ليشمل جميع أنواع النجوم، فقد أثبت العلماء أن جميع النجوم بلا استثناء تنتهي ويزول نورها مع اختلاف طريقة النهاية حسب نوع النجم.

---

[1] الكون، د. منصور حسب النبي، ص٣٧٦ (بتصرف).

٥) فالنجوم السوبر نوفا تختلف نهايتها عن الشمس، أو أي نجم متوسط حيث تكون نهايتها بالانفجار، وتناثر أجزاءها في الفضاء، ولذلك جاء التعبير بقوله سبحانه: **﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾** (التكوير : ٢).

ومن خلال ما سبق يتبين الإعجاز القرآني في وصف نهاية النجوم ويتجلَّى ذلك في عدة مسائل:

١) سبق القرآن الكريم للحديث عن نهاية النجوم، وبهذه الدقة الرائعة في انتقاء الألفاظ، في زمن لم تتوفر فيه أدنى وسائل الرصد الفلكي للنجوم، فأنّى لمحمد ﷺ بهذه الحقائق، إن لم تكن من لدن خالق هذا الكون، بما فيه من نجوم.

٢) إجمال القرآن الكريم هذه الحقائق مجتمعة في خمس آيات، بحيث وصف فيها نهاية هذا النوع من المخلوقات، وإشارته إلى أن ذلك سيكون بداية النهاية لكل شيء في هذا الكون، فهذه الآيات إلى جانب إمكانية إسقاطها على نهاية النجوم في الدنيا، هي أيضاً وصف لنهاية هذه النجوم بجميع أنواعها في الآخرة، وما الصور التي التقطها علماء الفلك لنهايات النجوم في السنوات الأخيرة إلا صورة مصغرة جداً مما سيحدث عند نهاية الكون، " فهذه المشاهد وغيرها التي تعبر عن الانقلاب الكوني في سور شتى من القرآن توحي بانفراط عقد هذا الكون المنظور، انفراطاً مصحوباً بقرقعة ودوي وانفجارات هائلة، لا عهد للناس بها فيما يرونه من الأحداث الصغيرة التي يستهولونها ويروعون بها فهذه أشبه شيء – حين تقاس بأهوال يوم الفصل– بلعب الأطفال التي يفرقعونها في الأعياد، حين تقاس إلى القنابل الذرية والهيدروجينية! وليس هذا سوى مثل للتقريب، وإلا فالهول الذي ينشأ من تفجر هذا الكون وتناثره على هذا النحو أكبر من التصور البشري على الإطلاق."[١]

٣) ويظهر السبق والتأكيد القرآني بالإشارة إلى حتمية مجيء هذا اليوم، حتى لو ادَّعى العلماء إمكانية الهروب منه، بانتقال الناس إلى كواكب أخرى، فهم بذلك نسوا انفراط عقد القوة الجاذبة لهذه الكواكب بنهاية الشمس، وما مكَّن الله تعالى العلماء من رصد بعض النماذج من نهايات النجوم، إلا للإشارة إلى حتمية مجيء يوم الفصل﴿ **إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا** ﴾(النبأ: ١٧)

---

[١] في ظلال القرآن، سيد قطب، م٦، ج٢٩، ص٣٧٩٢.

**المطلب الثاني: آيات نهاية السماء وتبديلها والإعجاز العلمي فيها.**

تحدَّث الخالق سبحانه عن نهاية السماء في القرآن الكريم في الكثير من المواضع، وعبَّر عن هذه النهاية في سياق الحديث عن أحداثها بأوصاف مختلفة، ما بين الكشط والانفطار والانشقاق والصعق وغيرها.

وفي محاولة لفهم الأحداث ستجتهد الباحثة في ترتيبها من خلال سياق الآيات، مع إيراد ما جاء في كتب التفسير من معاني هذه الأوصاف، فيكون الترتيب – والله جلَّ جلاله أعلى وأعلم – كالتالي:

١) صَعْقُ من في السموات والأرض: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ** ﴾ (الزمر: ٦٨).

والصور قرن يُنفخ فيه، كما جاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال ﷺ: ( **قرنٌ يُنفخ فيه**)[١]، وورد أن الصور من لؤلؤة بيضاء في صفاء الزجاجة به ثقب دقيقة بعدد الأرواح، وفي وسطه كوة كاستدارة السماء والأرض[٢]، وفي الحديث عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : (**كيف أنعمُ وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن حتى يُؤمر بالنفخ فينفخ**).[٣]

٢) تبديل السماوات: ﴿ **يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ﴾ (إبراهيم: ٤٨).

أما خطوات التبديل فتتمثل في الآتي:

أ- الطي: ﴿ **يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ** ﴾ (الأنبياء : ١٠٤).

واختلف أهل التأويل في السجل، فقال السُّدي: السجل ملك، وقال ابن عباس ومجاهد والأكثرون: السجل الصحيفة، وقيل هو كاتب كان يكتب للنبي ﷺ[٤]، وطيها تكوير نجومها، ومحو رسومها، أو هو ضد النشر أي يجمع وتطوى ﴿**كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ** ﴾ أي الصحيفة ﴿ **لِلْكُتُبِ** ﴾

---

[١] سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في شأن الحشر، ص٥٤٧، ح ٢٤٣٠، وقال عنه: حديث حسن.

[٢] انظر: (روح المعاني) الألوسي، م١٣، ج٢٤، ص٤٣، (فتح القدير) الشوكاني، ج٤، ص٥٤٤.

[٣] سنن الترمذي: كتاب القيامة ، باب ما جاء في شأن الصور، ص٥٤٨، ح٢٤٣١، وقال عنه: حديث حسن.

[٤] انظر: (جامع البيان) الطبري، م١٠، ج١٧، ص١١٩ ،١٢٠.

أي للمكتوبات أي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة، وغيرهم للكتاب، وقيل: السجل: ملك يطوي كتب بني آدم إذا رفعت إليه.[١]

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ **(يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟)**[٢]

ب- الانفطار: ﴿ **إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ** ﴾ انفطار السماء يتبعه انتثار الكواكب وتفجير البحار بدليل قوله تعالى: ﴿ **إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ * وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ * وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ** ﴾ إذن هي السماء الدنيا، بما فيها من كواكب، وبما في أرضها من بحار، والانفطار بمعنى الانشقاق كما ذكر ذلك الإمام الطبري.[٣]

أما الإمام السمرقندي فقد قال في قوله تعالى: ﴿ **إِذَا ٱلسَّمَاء ٱنفَطَرَتْ** ﴾ يعني: "انفجرت؛ لهيبة الرب تبارك وتعالى، ويقال انفجرت لنزول الملائكة لقوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلاً** ﴾ (الفرقان: ٢٥)." [٤]

ت- الانفراج: ﴿ **وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَتْ** ﴾ (المرسلات:٩) ويأتي بعد طمس النجوم، وبعدها ينسف الله تعالى الجبال فيذرها قاعاً صفصفاً: ﴿ **فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ * وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ** ﴾ (المرسلات: ٨-١٠).

والفُرجة: الفتحة في الجدار ونحوه، فيكون المراد بـ ﴿ **فُرِجت**﴾ تفرّق ما كان ملتحماً من هيكلها، يقال: فرج الباب إذا فتحه، فإذا أريد بالسماء الجنس أي جميع السماوات التي يُعبِّر عنها أحياناً بالكواكب السيارة، جاز أن يكون فَرج السماوات، حدوث أخاديد عظيمة في الكواكب زيادة على طمس نورها، وإذا أريد بالسماء فرد معين معهود، وهي ما نشاهده كالقبة الزرقاء في النهار، وهي كرة الهواء، فمعنى ﴿ **فرجت** ﴾: فساد عناصر الجو، بحيث تصير فيه طرائق مختلفة الألوان تبدو كأنها شقوق في كرة الهواء، كما في قوله تعالى: ﴿**إذا السماء انشقت**﴾ (الانشقاق:١) ، وكل ذلك مفض إلى انقراض العالم الدنيوي بجميع نظامه ومجموع أجسامه. [٥]

---

[١] انظر: (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) النسفي، م٢، ج٣، ص١٣٧، ١٣٨.

[٢] صحيح مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ص١٠٧٤، ح ٢٧٨٧.

[٣] انظر: (جامع البيان) م١٥، ج٣٠، ص٩٣.

[٤] بحر العلوم، ج٣، ص٤٥٤.

[٥] انظر: (التحرير والتنوير) م١٤، ج٢٩، ص٤٢٤.

٣) شق السماء ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ للحساب، ودليل ذلك قوله تعالى بعد الحديث عن انشقاقها: ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ (الحاقة: ١٧ –١٨) حيث يَنزل رب العزة ويُعْرَض العباد لا تخفى لهم خافية، وكذلك سياق الآية الكريمة: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾ (الفرقان: ٢٥) فربط بين تشقق السماء بالغمام، ونزول الملائكة، ودليله أيضاً قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَاصِي وَٱلْأَقْدَامِ﴾ (الرحمن: ٣٧-٤٦).

ففي الثلاثة مواضع السابقة ربط الله ﷻ بين وصف حال السماء بالانشقاق، والحساب، وهذا ما أثبته سياق الآيات فيكون والله تعالى أعلم الانشقاق حاصل للسماء المستبدلة، حيث يُحاسب العباد على أرضها، أما الكشط فيكون بعد الحساب ونشر الصحف، حيث تكشط السماء عن الجحيم والجنة بمنطوق قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ (التكوير: ١٠-١٤).

ولاحظت الباحثة في قول الإمام ابن عاشور في هذه الآية، ما يُؤيد أن كشط السماء يكون بعد الحساب ونشر الصحف، حيث ذكر رحمه الله تعالى احتمال أن يكون المراد إزالة تقع يوم القيامة؛ لأنها ذكرت في أثناء أحداث يوم القيامة بعد قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ (التكوير: ٧-٨) وقوله: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ (التكوير:١٠) ، فالظاهر أن ذلك بعد انشقاق السماء وانفطارها، تعرج الملائكة بين السماء المنشقة وأرض المحشر حتى يتم الحساب، فإذا قضي الحساب، أزيلت السماء من مكانها وكشطت، والمكشوط عنه هو عالم الخلود[١] ، وجاء في معنى الكشط: الجذب والكشف والإزالة، كما يكشط الإهاب عن الذبيحة.[٢]

وحال السماء في هذا اليوم يصفه سبحانه في قوله: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ ( المعارج:٨)

---

[١] انظر: (التحرير والتنوير) م١٥، ج٣٠، ص١٤٩.

[٢] انظر: (جامع البيان) الطبري، م١٥، ج٣٠، ص٨٠، (الكشاف) الزمخشري، ج٤، ص٢٢٣.

والمهل: ما أذيب من النحاس والرصاص والفضة، وقال مجاهد: هو القيح من الصديد والدم، وقيل هو: عكر الزيت، شبه السماء به في سوادها وانكدار نجومها يوم القيامة، وقيل: هو ما أذيب من الفضة ونحوها. (١)

ومن الجدير بالذكر أن الإمام الطبري نقل قولاً عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه–، أنه تلا قوله تعالى: **﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأرْضِ والسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلّهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ ﴾** (إبراهيم:٤٨) فقال: " يُجاء بأرض بيضاء، كأنها سبيكة فضة، لم يُسْفك فيها دم، ولم يُعمل عليها خطيئة، قال: فأوّل ما يحكم بين الناس فيه في الدماء." (٢)

فالملاحظ تشابه الوصف للسماء والأرض، حيث شبَّه السماء بالمهل: وهو ما أذيب من الفضة، كما قال أهل التفسير، وجاءت الأخبار بأن أرض الحساب تكون كأنها سبيكة فضة، وبذلك يُمكن استنتاج أن المُهل هو وصف للسماء التي سيجري على أرضها الحساب والله تعالى أعلم، وقد تكون مادة هذه الأرض أصلها صخور الجبال حيث إن الله ﷻ في سياق وصفه لحال الجبال في قوله تعالى: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً * لاَّ تَرَىٰ فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً ﴾** (طه: ١٠٥ – ١٠٧) لم يتحدث عن إزالة الجبال عن بكرة أبيها، وإنما ينسفها سبحانه ويذرها قاعاً صفصفاً، وهذا دليل على أنها الأثر الوحيد المتبقي من أرض الدنيا، وأن أثرها باقٍ إلى يوم الحساب والفصل، هذا والله سبحانه أعلى وأعلم.

وفي محاولة لفهم أحداث النهاية، وتقريب الصورة دون الجزم بالأمر؛ لأنه أمر غيبي لا يعلمه إلا الله تعالى، فهناك بعض الدراسات العلمية التي اعترفت مؤخراً أن زوال الكون بما فيه من سماوات وأرض هو حدث حقيقي، والمسألة هي مسألة وقت ليس إلا.

فقد اكتشف علماء الطبيعة منذ سنوات قليلة، جسيمات ذرية مضادة للجسيمات الذرية العادية، حيث أصبح العلماء الآن تلقائياً يبحثون عن الجسيم المضاد، لأي جسيم ذري جديد مكتشف، ومن خواص الجسيمات المضادة، أنها تفنى بمجرد تقابلها مع الجسيمات العادية المناظرة لها؛ لتحولهما معاً إلى طاقة، وذلك في عملية إفناء ذرية معروفة لدى العلماء، ولكنهم لا يستطيعون التمييز بين المادة والمادة المضادة لها، إلا إذا تقابلتا فتحدث الكارثة بفنائهما وتحولهما إلى طاقة، ويعتقد العلماء أن هذا ما سيحدث للكون حيث ستتوقف عملية التمدد والتوسع، فيبدأ

---

(١) انظر: (فتح القدير) الشوكاني، ج٥، ص٣٣٣، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) ابن عطية الأندلسي، ج١٦، ص١٠٩.

(٢) جامع البيان، م٨، ج١٣، ص٢٩٠.

الكون في الانكماش، وعندها تلتقي المادة مع المادة المضادة، ويتحول الجميع إلى طاقة، ويزول الكون.(١)

وترى الباحثة أن هذا التصور الذي صاغه العلماء بعد أن أصبحت حقيقة نهاية الكون حدث لا بد منه، والكون سائر إليه، يُمكن إسقاطه على الآيات كالتالي:

١) حقيقة أن كل مادة لها مضاد، حتى أصبح العلماء تلقائياً يبحثون عن مضاد المادة بمجرد اكتشافها، قد تحدث القرآن عنها في العديد من المواضع منها قوله سبحانه: ﴿ **وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ (الذاريات: ٤٩).

٢) أما حقيقة توسع الكون، أخبر عنها الخالق سبحانه بقوله تعالى: ﴿ **وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** ﴾ (الذاريات: ٤٧)، وهذا ما تم إثباته في الفصل الأول من هذا البحث.

٣) وانكماش الكون على نفسه بمجرد سيطرة قوة الجاذبية على قوة الاندفاع، واندماجها في نقطة الأصل، وهي البيضة الكونية الأولية، هذا ما أشارت إليه صريح الآية الكريمة: ﴿ **يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ** ﴾ (الأنبياء: ١٠٤).

أما النفخ في الصور الذي جاء ذكره في بداية أحداث الساعة، فيمكن تخيله من خلال العلوم الحديثة وخاصة علم الصوت، وانتقال الصوت إجمالاً يعتمد على مركز الهزة وشدة التردد والوسط الناقل، وأثبت علمياً أن الصوت يُحمل بموجات كهرومغناطيسية، وبالنفخ في الصور يتولد الصوت، ويُرسَل عبر مادة الكون، فهي الوسط الناقل، أما مركز الهزة هنا هو الكون كله، أما شدة التردد للموجة الصوتية الناتجة، فتتناسب طردياً مع قطر البوق، ولو قُدِّر لأكثر دول العالم تقدماً صنع بوق لا يصل إلَّا إلى ($١٠^{-٢٠}$) من حجم البوق الذي سيحمله إسرافيل عليه السلام، ثم نُفخ فيه، لرّجت الأرض رجة تمحوها وتمحو كل أثر للوجود؛ بسبب الاهتزازات الهائلة التي ستصدر عن النفخ في هذا البوق، فما بالك ببوق قطره كقطر السموات الهائلة الحجم فإنه بالتأكيد سيؤدي إلى اهتزازات صوتية عالية الشدة، تتحرك على إثرها جميع موجودات الكون ومخلوقاته حركة شديدة، فيصعق من في السموات والأرض.(٢)

وبهذا يتبين الإعجاز القرآني بسبقه للعلوم البشرية في إثبات حقيقة زوال السموات والأرض مع عجز العلماء عن تفصيل هذه الأحداث أو الجزم بها، فيبقى أمر الساعة والحاصل

---

(١) انظر: (الكون) د. منصور حسب النبي، ص٣٨٢، ٣٨٣.

(٢) المنظار الهندسي في القرآن الكريم، د.خالد العبيدي، ص٥٠٩ (بتصرف).

بها في علمه سبحانه، وهو القادر في أي وقت على الإيذان بقيامها، فأمره سبحانه ما بين الكاف والنون: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ** ﴾(الأنعام: ٧٣) وهو سبحانه: ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ (يس: ٨٢) ، وقد أشار سبحانه بشكل مجمل إلى آلية ذلك ، مع بقاء زمن حدوث ذلك في علمه سبحانه، فهو القائل وقوله الحق: ﴿ **يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا** ﴾ (الأحزاب: ٦٣).

ويقول أيضاً:﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ (الأعراف: ١٨٧).

## المبحث الثاني: آيات نهاية الأرض والإعجاز العلمي فيها

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: تبديل الأرض غير الأرض، ونسف جبالها**
- **المطلب الثاني: تسجير البحار وتفجيرها**

## المبحث الثاني: آيات نهاية الأرض والإعجاز العلمي فيها

### المطلب الأول: تبديل الأرض غير الأرض، ونسف جبالها

تحدَّث الله تعالى عن الأحداث الجارية للأرض يوم القيامة في العديد من الآيات، وصف فيها سبحانه نهاية الأرض بصفات عدة، فجاء الوصف بالدك والزلزلة والرجفة والمد والرج والبروز، وربط الله ﷻ في بعض الأحيان بين الآيات المتحدثة عن نهاية الأرض، والجبال، وفي مواضع أخرى انفرد فيها الحديث عن نهاية الأرض خاصة، عند الحديث عن زلزلتها ومدها وإخراج ما في باطنها، كما انفرد الحديث عن نهاية الجبال في الكثير من الآيات وعبَّر عنها بالنسف أو البس أو التسيير، وجاء وصف حالها بعدة أوصاف، بالعهن المنفوش والقاع الصفصف، وفي موضع بالسراب، وآخر بالهباء المنبث.

أما الآيات التي أفرد الله تعالى فيها الحديث عن نهاية الأرض، فهي كالتالي:

**١)** الآية الأولى أشار فيها سبحانه إلى تبديل الأرض الحالية بأرضٍ جديدة يبرز فيها الناس للواحد القهار، حيث يقول سبحانه: **﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾** (إبراهيم: ٤٨).

وقال الإمام الطبري في هذه الآية: " معنى ذلك: يوم تبدّل الأرض التي عليها الناس اليوم في دار الدنيا غير هذه الأرض، فتصير أرضاً بيضاء كالفضة"[١]، وفي الحديث عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: **(يحشر الناس يوم القيامة على أرضٍ بيضاء، عَفْرَاء، كَقُرْصَة النَّقِيِّ، ليس فيها علم لأحد).**[٢]

**٢)** الآية الثانية تحدَّث فيها سبحانه عن زلزال الأرض حيث يُخرِج هذا الزلزال بمجرد حدوثه أثقال الأرض، يقول تعالى:

**﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾** (الزلزلة: ١– ٢)

---

[١] انظر: (جامع البيان) م٨، ج١٣، ص٢٨٩.

[٢] صحيح مسلم: كتاب صفة يوم القيامة والجنة والنار، باب البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، ص١٠٧٥، ح٢٧٩٠.

وزلزال الأرض هو زلزالها المخصوص بها، عند قيام الساعة حتى يتكسر كل شيء عليها، فتخرج ما في جوفها من الأموات والدفائن.(١)

وفسَّر الإمام ابن عاشور ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا** ﴾ أي حُركت تحريكاً شديداً حتى يُخيل للناس أنها خرجت من حيزها؛ لأن فعل زلزل مأخوذ من الزّلل وهو زَلَق الرِّجلين، وأضيف ﴿**زلزالها** ﴾ إلى ضمير الأرض؛ لإفادة تمكّنه منها وتكرره، حتى كأنه عرف بنسبته إليها؛ لكثرة اتصاله بها، والأثقال: جمع ثِقْل وهو المتاع الثقيل، ويطلق على المتاع النفيس، وإخراج الأرض أثقالها ناشئ عن انشقاق سطحها، فتقذف ما فيها من معادن ومياه وصخر، وذلك من تكرر الانفجارات الناشئة عن اضطراب داخل طبقاتها، وانقلاب أعاليها أسافل والعكس.(٢)

٣) الآية الثالثة جاء فيها الحديث عن مد الأرض وتخلِّيها عمَّا فيها، حيث يقول عزّ من قائل: ﴿ **وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ** ﴾ (الانشقاق : ٣- ٤).

وقد ربط بعض المفسرين بين مد الأرض المذكور في هذه الآية واندكاك الجبال، حيث نقل الإمام الألوسي قولاً للضحاك وغيره مفاده: أن ﴿ **مُدَّتْ** ﴾ بمعنى بُسطت باندكاك جبالها، وزيدت سعة وبسطة وسويت، حتى صارت قاعاً صفصفاً، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، وإلقاء ما فيها يتمثل في إلقائها لما في جوفها من الموتى والكنوز، وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شيء من ذلك، كأنها تكلَّفت في ذلك أقصى جهدها، فصيغة التفعل للتكلف، وقيل تخلت ممن على ظهرها من الأحياء، وقيل مما على ظهرها من جبالها وبحارها(٣).

٤) والرابعة وصفت الحدث بتشقق الأرض عنهم سراعاً: يقول تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ**﴾ (ق:٤٤).

وقد فسَّر الإمام السمرقندي تشقق الأرض في قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ**﴾ أي تصدع الأرض، وخروج الناس من القبور سراعاً.(٤)

ونقل الإمام السيوطي قولاً عن مجاهد ﷺ حيث قال: تُمطر السماء عليهم حتى تشقق الأرض عنهم.(٥)

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، ج٥، ص٥٦٣ (بتصرف).

(٢) انظر: (التحرير والتنوير) م١٥، ج٣٠، ص٤٩١، ٤٩٢.

(٣) انظر: (روح المعاني) الألوسي، م١٦، ج٣٠، ص١٤١.

(٤) بحر العلوم، ج٣، ص٢٧٤(بتصرف يسير).

(٥) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، م٧، ص٦١٢

وقد انفرد الحديث أيضاً عن الأرض في قوله سبحانه: ﴿ **كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا**﴾ (الفجر:٢١) على خلاف ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً**﴾ (الحاقة: ١٤).

في الآيات السابقة أفرد الله تعالى الحديث فيها عن الأرض فقط، والحاصل لها يوم القيامة، أما الآيات التالية فقد اقترن فيها ذكر الأرض بالجبال، فالحدث حاصل لهما معاً، وهذه الآيات هي:

١) آية يصف فيها سبحانه نهاية الأرض والجبال بالدك: ﴿ **وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً** ﴾ (الحاقة : ١٤).

٢) آية تصف رجفةً تصيب الأرض والجبال معاً: ﴿ **يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً** ﴾ (المزمِّل: ١٤).

٣) ورجةٌ تصيب الأرض، وبسَّةٌ تصيب الجبال حيث قال ﷻ: ﴿ **إِذَا رُجَّتِ ٱلأَرْضُ رَجّاً * وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسّاً** ﴾ (الواقعة: ٤-٥)

وقد فسَّر الإمام الطبري الدكة في الآية الأول بالزلزلة، حيث قال: فزلزلتا زلزلة واحدة، ونقل قولاً لابن زيد، في تفسير الدك الحاصل للأرض والجبال حيث قال: صارت غباراً[١].

والرجفة في الآية الثانية: فهي أيضاً الزلزلة والرعدة الشديدة، كما فسَّرها الإمام الشوكاني، أما الكثيب المهيل: فالكثيب: الرمل المجتمع، والمهيل: الذي يمرّ تحت الأرجل، وقال الضحاك، والكلبي[٢]: المهيل الذي إذا وطئته بالقدم زلّ من تحتها، وإذا أخذت أسفله انهال[٣].

ورج الأرض في الآية الثالثة هو التحريك الشديد حتى ينهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء[٤].

أما البَسُّ يطلق بمعنى التفتت، وهو تفرّق الأجزاء المجموعة، والهباء: ما يلوح في خيوط شعاع الشمس من دقيق الغبار فيكون معنى قوله تعالى: ﴿ **وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسّاً**﴾ : أي فتتت فتاً[٥].

وقد نقل الإمام ابن كثير عدة أقوال في قوله تعالى: ﴿**فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنبَثّاً** ﴾ :

---

(١) انظر: (جامع البيان) م١٤، ج٢٩، ص٦٠.

(٢) العلّامة الأخباري أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي المفسر. وكان أيضاً رأساً في الأنساب إلا، تُوفي سنة ست وأربعين ومائة. انظر: (سير أعلام النبلاء) الذهبي ، ج٦، ص٢٤٨.

(٣) انظر: (فتح القدير) الشوكاني، ج٥، ص٣٦٧.

(٤) انظر: (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) النسفي، م٢، ج٤، ص٣١٧.

(٥) انظر: (التحرير والتنوير) ابن عاشور، م١٣، ج٢٧، ص٢٨٤، (تفسير القرآن العظيم) ابن كثير، ج٧، ص٣٣٨٥.

١) عن علي ﷺ: هباء منبثاً كوهج الغبار يسطع ثم يذهب، فلا يبقى منه شيء.

٢) وورد عن ابن عباس ﷺ في قوله: ﴿ **فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنبَثّاً** ﴾ الهباء الذي يطير من النار إذا اضطرمت يطير منه الشرر، فإذا وقع لم يكن شيئاً.

٣) وقيل المنبث: الذي قد ذرته الريح وبثته.[١]

وانفرد الحديث عن الجبال في بعض الآيات، منها ما جاء جواباً لسؤالٍ عن حال الجبال يوم القيامة، فقال الله تعالى واصفاً حالها:

﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً * لاَّ تَرَىٰ فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً** ﴾(طه: ١٠٥– ١٠٧) .

وقد اختلف المفسرون بالضمير في قوله: ﴿ **فَيَذَرُهَا** ﴾وذكروا أن ذلك فيه وجهان:

١) أنه راجع إلى الأرض وإن لم يجرِ لها ذكر، نظير هذا القول في هذه الآية، قوله تعالى: ﴿**مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ** ﴾ (فاطر: ٤٥).

٢) أنه راجع إلى منابت الجبال، والمعنى: فيذر مواضعها التي كانت مستقرة فيها من الأرض قاعاً صفصفاً.[٢]

والقاع: المُسْتَوِى من الأرض، وقيل: مستنقع الماء، والصفصف: المستوى الأملس الذي لا نبات فيه ولا بناء، فإنه على صف واحد في استوائه، وقوله: ﴿ **لاَّ تَرَىٰ فِيهَا عِوَجاً وَلآ أَمْتاً** ﴾ الأمت: النتوء اليسير، أي ليس فيها اعوجاج ولا ارتفاع بعضها على بعض، بل هي مستوية.[٣]

وقيل إن السائلين هم منكرو البعث من قريش، فقالوا على سبيل الاستهزاء: كيف يفعل ربك بالجبال يوم القيامة؟، وقيل: السائلون هم جماعة من ثقيف، وقيل: أناس من المؤمنين.

فجاءت الإجابة: ﴿ **فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبّى نَسْفاً** ﴾ والفاء؛ للمسارعة إلى إزالة ما في ذهن السائل من بقاء الجبال، فهم بظنهم أن هذا الكون المُشاهَد لا يتبدل، أو للمسارعة إلى تحقيق الحق؛ حفظاً من أن يتوهم ما يَقضي بفساد الاعتقاد[٤].

---

[١] انظر: (تفسير القرآن العظيم) ج٧، ص٣٣٨٥.

[٢] انظر: (أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن) الشنقيطي، ج٤، ٥١٤.

[٣] انظر: (المرجع السابق)، ص ٥١٤، ٥١٥.

[٤] انظر: (روح المعاني) الألوسي ، م٩، ج١٦، ص٣٨٢.

وقد نقل الإمام السيوطي قولاً لابن عباس ومجاهد في قوله تعالى: ﴿ **فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً * لاَّ تَرَىٰ فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً** ﴾ " قال: مستوياً لا نبات فيه لا ترى وادياً ولا رابية، وعن مجاهد في قوله: ﴿**قاعاً صفصفاً**﴾ قال: مستوياً لا ترى فيه خفضاً ولا ارتفاعاً."[١]

أما النسف في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ**﴾ (المرسلات : ١٠) فهو: قلع أجزاء الشيء بعضه عن بعض، وتفريقه مثل الهدم، ونسف الجبال: دكها وقلعها من أماكنها، ومصيرها تراباً مفرقاً، كما قال تعالى: ﴿ **وكانت الجبال كثيباً مهيلاً** ﴾ (المزمل: ١٤).[٢]

أما التسيير الذي اختص وصفه للجبال في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ**﴾ (التكوير: ٣) فهو بمعنى تسيير الجبال عن وجه الأرض وإبعادها، أو تسييرها في الجو تسيير السحاب وانتقالها من أماكنها، بارتجاج الأرض وزلزالها.[٣]

كما جاء في مواضع أخرى وصف آخر خاص بحال الجبال يوم القيامة، منها قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ** ﴾ (المعارج: ٨-٩)

والعِهن هو الصوف، شبّه الجبال به في انتفاشه وتخلخل أجزائه، وقيل: هو الصوف المصبوغ ألواناً، فيكون التشبيه في الانتفاش، وفي اختلاف الألوان، لأن الجبال منها بيض وسود وحمر.[٤]

وفي سورة القارعة وصف الله سبحانه العهن بالمنفوش، حيث يقول عزَّ من قائل:﴿ **وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ** ﴾ (القارعة : ٥) أي: المندوف؛ لتفرق أجزائها وتطايرها في الجو.[٥]

وفي سياق تفسيره للآية الكريمة قال الإمام الطبري: " ذُكر أن الجبال تسير على الأرض وهي في صورة الجبال كالهباء." [٦]

---

[١] الدر المنثور، ج٥، ص٥٩٩.

[٢] انظر: (التحرير والتنوير) ابن عاشور، م١٤، ج٢٩، ص٤٢٤، (مجمع البيان في تفسير القرآن) الطبرسي، ج١٠، ص٢٠٤.

[٣] انظر: (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) النسفي، م٢، ج٤، ص٤٩٠، (التحرير والتنوير) ابن عاشور، م١٥، ج٣٠، ص١٤٢.

[٤] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ج١٦، ص١٠٩، ١١٠ (بتصرف).

[٥] انظر: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) البيضاوي، ج٥، ص٥٢٢.

[٦] جامع البيان، م١٥، ج٣٠، ص٣١٣.

واختصت الجبال بوصف السراب يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً * يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً * وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً * وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً** ﴾ (النبأ : ١٧-٢٠).

﴿ **وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً** ﴾: أي لا شيء كما السراب يظنه الرائي ماء، وليس بماء.[1]

وترى الباحثة - والله تعالى أعلى وأعلم- أن هناك احتمالاً أن تكون الأرض التي سيحدث فيها الزلزال هي الأرض التي ستتشقق عن الناس لخروجهم للحساب، وكذا الآيتان في سورتي (الانشقاق) و (ق)، فالمقصود بالأرض فيهما الأرض التي سيجري عليها الحساب، بعد أحداث نهاية الكون الحالي، وتَبَدُّل الأرض غير الأرض، بمنطوق قوله سبحانه: ﴿ **يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ﴾ (إبراهيم: ٤٨).

ودليل ذلك، السياق الذي جاءت فيه الآيات: ففي الزلزلة أتبع سبحانه الحديث عن زلزال الأرض بقوله سبحانه: ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾ (الزلزلة: ٨) وهي إشارة ليوم الحساب، وكذلك السياق في سورة الانشقاق حيث يقول الله تعالى: ﴿ **إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا ٱلأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * يٰأَيُّهَا ٱلإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاَقِيهِ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُ وَرَآءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُوراً * وَيَصْلَىٰ سَعِيراً** ﴾ ( ١-١٢).

فالإشارة إلى لقاء الله تعالى وقتها، هو دليل على أن هذا الوقت هو الذي تُعرَض فيه الأعمال على الله ﷻ، بحيث يرى كل إنسان ما كتب في كتابه.

وكذلك الأمر في سورة (ق) حيث يقول تعالى: ﴿ **وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ * نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ** ﴾ (٤١-٤٥)

فما تراه الباحثة أن سياق الآيات هو حديث عن خروج الناس من الأرض سريعاً في يوم الخروج، وهو الوقت الذي يبعث الله تعالى فيه الموتى للحساب، والحساب يكون على أرض غير

[1] انظر: ( الجامع لأحكام القرآن) القرطبي، م١٠، ج١٩، ص١٢٥.

الأرض الحالية، فبذلك تكون الأرض المنشقة هي الأرض التي سيجري عليها الحساب، والله تعالى أعلم.

ومن الملاحظ أن في الآيتين الكريمتين ﴿**إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ**﴾ و ﴿ **يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ**﴾، قد جاء التعبير بما سيحدث للسماء والأرض فيهما بالانشقاق، وهذا يوحي بارتباط فعل الانشقاق بالوقت الذي يحين فيه موعد الحساب حيث تنشق السماء، وتُمَدَّ الأرض؛ لإلقاء ما فيها، وهم البشر يبعثون للحساب، فتتشقق سريعاً حتى يُحشروا للعرض على رب العباد.

وما يدعم هذا الاستنتاج قوله تعالى: ﴿ **وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ** ﴾ (الحاقة: ١٦ -١٨)

علماً أن هذه الأحداث تأتي متتالية فهي كالعقد إذا انفلت انفلتت حبَّاته، وقد عبَّر الله تعالى عن هذه الأحداث مجتمعة باليوم الآخر حيث يقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا**﴾(النساء: ١٣٦)، فالقيامة وأحداثها والحساب يدخلان في أحداثه.

وترى الباحثة أن في أحداث النهاية -وفق هذا التصور- شبه بأحداث البداية حيث كان الحدث الأكبر بالاضطرابات والانفجار العظيم، ثم كان مدُّ الأرض وتمهيدها لقدوم الإنسان، وتشقيقها بإنزال الماء عليها؛ لإحياء الأرض وإنباتها.

وكذلك يكون الحال يوم الحساب -والله أعلم- حيث تضطرب الأرض بزلزلتها، فتُمد ثم تتشقق بإنزال الماء عليها، فتَنْبُت أجساد الناس كما نبت النبات، ودليل إنزال الماء لإحياء الناس وإخراجهم، قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ (الأعراف: ٥٧)

وبذلك تجتمع الآيات الأربعة في الحديث عن الحاصل في الأرض المستبدلة في يوم الحساب، بعد استبدال الأرض الحالية.

وتُجْمل الباحثة ترتيب الأحداث من خلال سياق الآيات كالتالي:

١) تبديل الأرض بغيرها تمهيداً لإنشاء أرض الحساب: ﴿ **يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ﴾ (إبراهيم: ٤٨).

٢) يكون التبديل والتغيير للأرض والجبال معاً:

أ- بالدك: ﴿ **وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً** ﴾ (الحاقة : ١٤).

ب- والرج: ﴿**إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّاً * وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّاً** ﴾ (الواقعة: ٤-٥)

ت- والرجف: ﴿**يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً**﴾ (المزّمّل:١٤).

ويختلف حال الجبال بالحدث الحاصل، ولكن النتيجة النهائية ينسفها الله تعالى فيذرها قاعاً صفصفاً، فبالتالي تبقى مادتها، وتكون في الأرض الجديدة التي سيحاسب الله عزّ وجل عباده عليها كالسراب والعهن المنفوش.

٣) الأرض الجديدة التي سيجري عليها الحساب يحدث لها التالي:

**أ-** تُزَلزل بمنطوق قوله تعالى: ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا** ﴾ (الزلزلة: ١- ٢)

ب- تُمد لإلقاء ما فيها: ﴿ **وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ** ﴾ (الانشقاق:٣- ٤).

ت- يُنَزَّلُ الماء عليها لإخراج الموتى وإحيائهم: ﴿ ... **فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ (الأعراف: ٥٧)، فالماء جعل الله تعالى منه كل شيء حي: ﴿ ... **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**﴾ (الأنبياء: ٣٠)، وكذلك يُحيي الله سبحانه به الموتى يوم الحساب.

وفي الحديث أيضاً عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ **(ما بين النفختين أربعون)**، قال:أربعون يوماً؟؟ قال: **(أَبَيْتُ)**، قال: أربعون شهراً؟ قال: **(أَبَيْتُ)**، قال: أربعون سنةً، قال: **(أَبَيْتُ)**، قال: **(ثم يُنزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البَقْلُ ليس من الإنسان شيءٌ إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عَجْبُ الذَّنَبِ ومنه يُركب الخلقُ يوم القيامة)**[1]

ث- تتشقق الأرض بعد إنزال الماء عليها عن الموتى لحشرهم للحساب: ﴿ **يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ**﴾ (ق:٤٤)

هذا والله تعالى أعلم،،

---

[1] صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً، ص١٠٥٠، ح٤٩٣٥.

**المطلب الثاني: تسجير البحار وتفجيرها.**

أشار الله تعالى إلى نهاية البحار يوم القيامة بالتسجير والتفجير، جاء ذلك في سورتي التكوير والانفطار، حيث يقول تعالى: ﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ** ﴾ (التكوير:٦)، وسُجِّرَتْ بمعنى أُحميَتْ وأوقدت أو مُلئتْ بتفجيرِ بعضِها إلى بعضٍ حتَّى تعودَ بحراً واحداً، من سجَّر التنورَ إذا ملأَهُ بالحطبِ؛ ليحميَهُ، وقيلَ: مُلئتْ نيراناً تضطرمُ بهَا لتعذيب أهلِ النارِ، وعن الحسنِ يذهبُ ماؤُها حتَّى لا يبقى فيها قطرةٌ[١].

﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ** ﴾ (الانفطار:٣) أي: فتحت وفُجِّر بعضها في بعض, وصارت بحراً واحداً ففاضت واختلط العذب بالملح.[٢]

" وتفجير البحار انطلاق مائها من مستواه وفيضانه على ما حولها من الأرضين، كما يتفجر ماء العين حين حفرها؛ لِفساد كرة الهواء التي هي ضاغطة على مياه البحار، وبذلك التفجير يعمّ الماء على الأرض فيهلك ما عليها ويختل سطحها."[٣]

أمّا قوله تعالى: ﴿**وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ**﴾ (الطور: ٦) فالْمَسْجُورِ: المملوء أو الموقد.[٤]

والمعنى: أي الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور، وقيل: هو اليابس الذي ذهب ماؤه ونضب، وقيل: هو المختلط العذب بالملح، وبعض المفسرين جعلوا هذه الآية في سياق الإشارة إلى تسجير البحار يوم القيامة، كما ورد عن ابن عباس ﷺ قوله: وذلك ما روي أن الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة ناراً، فيزاد بها في نار جهنم.[٥]

ومنهم من قال إنه بحر في السماء تحت العرش.[٦]

إجمالاً يُمكن الأخذ بالآيتين ﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ** ﴾ ﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ** ﴾ والتي أجمع المفسرون أنها إشارة إلى تفجير البحار يوم القيامة.

---

[١] انظر: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود، ج٦، ص٤٨٨، ٤٨٩، (تفسير الإمام مجاهد بن جبر) ص٧٠٧.

[٢] انظر: (معالم التنزيل في التفسير والتأويل) البغوي، م٥، ص٣٣٠، (بحر العلوم) السمرقندي، ج٣، ص٤٥٤.

[٣] التحرير والتنوير، ابن عاشور، م١٥، ج٣٠، ص١٧١، ١٧٢.

[٤] انظر: (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) النسفي، م٢، ج٤، ص٢٧٧.

[٥] انظر: (لباب التأويل في معاني التنزيل) الخازن، م٤، ج٦، ص٢٤٩.

[٦] انظر: (جامع البيان) الطبري، م١٣، ج٢٧، ص٢٥.

وحين يقع هذا فإن نيراناً هائلة لا يتصور مداها عقل تنطلق من البحار، فإن تفجير قدر محدود من الذرات في القنبلة الذرية أو الأيدروجينية يحدث هذا الهول الذي عرفته الدنيا؛ فكيف إذا انفجرت ذرات البحار على هذا النحو، فإن الإدراك البشري يعجز عن تصور هذا الهول.[١]

وبالبحث في علوم البحار، هل هناك حقائق يمكن ربطها بهاتين الآيتين، وتفسيرهما بها؟ والإجابة نعم، ففيما سبق كان الحديث عن نهاية النجوم والشمس، وكيف أن نهاية الشمس تكون بتمددها حتى تبتلع الكواكب المحيطة بها، ومن ثم تصل إلى كوكب الأرض فتبتلع قمره، وتقترب إليه بدرجة كبيرة جداً، بحيث يهرب غلافه الغازي، وترتفع درجة حرارة الأرض بشكل لا يُمكن استيعابه، أما علاقة ذلك بالبحار: فمن المعروف أن البحار عبارة عن ماء، واقتراب الشمس بهذا القدر إلى الأرض سيؤدي إلى تبخر مياه البحار والمحيطات، وتفجيرها واشتعالها نظراً لتحلل الماء إلى عنصريه الهيدروجين القابل للاشتعال والأكسجين المساعد على الاشتعال.[٢]

وكما في علم البحار الحديث أنه: " يوجد في أعماق المحيطات السفلى أيدروجين طليق يتكون من ذرات ثقيلة، كذلك يوجد نوع من الماء يسمى بالماء الثقيل، ومن الممكن تحطيم إحدى هذه الذرات بفعل ضغط كهربائي صاعقة مثلاً أو بفعل حرارة هائلة تندلع من باطن الأرض الملتهبة عبر شق بحيث يحدث انكسار في صخور القاع النارية، وهذه الذرات لها خاصية اشتعال سريع وشديد فإذا حدث ذلك فإن المياه الموجودة في المحيطات والبحار ستتحول جميعاً إلى نار هائلة وجحيم بحيث تجف كلها في وقت قصير." [٣]

وترى الباحثة – والله سبحانه أعلم – أن ما أشارت إليه علوم البحار من إمكانية اشتعال مياه البحار والمحيطات جميعاً، إذا تعرضت إحدى ذرات الماء الثقيل لضغط هائل أو درجات حرارة هائلة، يمكن ربط تلك الإشارة بما ستصل إليه الشمس من درجات حرارة عالية، بحيث تكون هي سبب تفجير البحار.

وإجمالاً فإن الله ﷻ جعل لكل شيء سبباً، فتفجير البحار وتسجيرها لا بد أن يكون له سبب كامن في أعماق هذه البحار – والله أعلم–، إذن فهي إشارة واضحة إلى وجود مادة هذا

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، م٦، ص٣٨٣٩ (بتصرف).

(٢) الكون، د.منصور حسب النبي، ص٣٧٧ (بتصرف).

(٣) انظر: (المياه والبحار)، د. خالد العبيدي، ص٦٣ ،٦٤، نقلاً عن كتاب الاكتشافات العلمية الحديثة ومدلولاتها في القرآن الكريم، د.سليمان عمر قوقش.

التسجير وأصلها، وهو ما تحدَّث عنه العلماء من وجود ذرات ثقيلة، قد تنفجر إذا تعرضت لدرجات حرارة هائلة، جاءت هذه الإشارة قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام، في حين أن العلماء قد توصلوا إلى وجود هذه المادة في زمن تطور العلوم وأجهزة الرصد والمتابعة، فهل بعد هذا الإعجاز إعجاز؟ مع التأكيد على احتمال وجود سبب آخر خفي لا يعلمه إلا الله تعالى، وأنه سبحانه قادر على كل شيء، فأمره ما بين الكاف والنون، ﴿ **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ (النحل:٤٠).

في نهاية هذا الفصل وبعد سرد هذه الدراسات العلمية يتجلَّى الإعجاز الرباني في الدقة والسبق في الحديث عن حقيقة نهاية هذا الكون وزواله، وكذا انفراده سبحانه بالحديث عن كيفية ذلك، حتى ولو توصل العلماء إلى وضع تصور لفهم النهاية، ففهمهم هذا جاء متأخراً حيث كانت قناعتهم أن هذا الكون ثابت لا يفنى، وإنما هو أزلي، في حين أن القرآن الكريم قد أثبت زوال السموات والأرض في كتابه العزيز منذ زمن بعيد.

وإيراد ما جاء في العلم من تصورات للنهاية، ليس بسياق الإثبات- والعياذ بالله- وإنما هو في سياق بيان الإعجاز الرباني لأهل هذا العصر الذي تميزت فيه العلوم، وشطح العلماء بتفكيرهم، فظنوا أنهم أوتوا من العلم الكثير، ﴿ **... وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ (الإسراء: ٨٥).

وهو أيضاً في سياق تجديد الإيمان واليقين بالله الخالق عزّ وجل فمثل هذه الآيات لها عظيم الأثر في نفوس المؤمنين الصادقين، وللأسف أن بعض المسلمين ممن يعارضون الكتابة في الإعجاز العلمي يقولون إنهم ليسوا بحاجة لمثل هذه الأدلة لزيادة إيمانهم، وينسون ما جاء على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ (البقرة: ٢٦٠).

وهذا عهدُ هذه الرسالة منذ البداية حتى النهاية، ومبدأ الباحثة في ذلك بلى ليطمئن قلبي، وبذلك يتحقق الإيمان بإذن الله تعالى، ويزداد الذين آمنوا إيماناً، فيثبتوا في هذه الدنيا الزائلة، خاصة أن الشواهد والأحداث أجمعت على قرب النهاية التي جاء الحديث عنها.

وفي ختام هذا البحث المتواضع، وبعد التدبر في هذه الأحداث الجسام للنهاية، لا يسع الباحثة إلا أن تذكر نفسها وقارئ هذه السطور بقوله سبحانه:

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ** ﴾ (الحج: ١)

وبقوله عزّ من قائل: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ** ﴾ (لقمان: ٣٣)

والحمد لله رب العرش العظيم،،

## الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، له الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، أشكره سبحانه أن ألهمني فكرة البحث والتدبر في آيات الله وإعجازه في الحديث عن بداية الكون ونهايته؛ لما فيه من إشارات تضيء سبيل الدعاة الموحدين، ولآلئٍ حسانٍ تمس قلوب المؤمنين وعبرٍ للعالمين، فأحمده تعالى أن أنار لي السبيل حتى أنهيت بحثي المتواضع هذا، وأسأله سبحانه أن يجعل فيه القَبول، والفائدة للناس أجمعين، بما خلصت فيه من نتائج مفضية إلى ثبات ويقين.

### أولاً: النتائج:

أما أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة:

١) تبين للباحثة من خلال البحث في المعاني اللُّغوية للفظة الإعجاز أن الإعجاز في اللغة ورد بمعنى الفوت والسبق، والتأخر عن الشيء، والقصور عن فعله.

٢) استنبطت الباحثة من خلال تعريفات العلماء للإعجاز العلمي تعريفاً جامعاً ومانعاً وهو: "ربط المكتشفات والحقائق العلمية والدراسات المثبتة بما تطرق له القرآن الكريم من حقائق وإشارات تظهر سبقه للعلم المعاصر بوسائله وتقنياته وتثبت توافق كتاب الله ﷻ المنظور "الكون" لكتاب الله المقروء "القرآن الكريم" وصِدْق الوحي والنبوة ".

٣) من أبرز العلماء القدامى المعارضين لتفسير القرآن تفسيراً علمياً "الإمام الشاطبي" ومن المحدثين "الشيخ محمود شلتوت" شيخ الأزهر الأسبق، والشيخ أمين الخولي.

٤) يعدُّ الإمام الغزالي والرازي من العلماء القدامى المعتدلين في القول بالإعجاز العلمي، وأما المعتدلون المحدثون فمنهم الشيخ محمد رشيد رضا، والأستاذ مصطفى صادق الرافعي، والدكتور محمد عبد الله دراز، ومن المعاصرين أيضاً: د. عبد المجيد الزنداني، ود.زغلول النجار، ود.منصور حسب النبي، ود. كارم غنيم، وغيرهم.

٥) ترى الباحثة أن الحقائق القرآنية تُفسر بالحقائق العلمية الثابتة، أما إذا وقع التوافق بين دلالة قطعية النص، وبين نظرية علمية، يُمكن الاستفادة منها في فهم مدلول الآية، وفي هذه الحالة تعتبر الآية دليلاً على صحة تلك النظرية، ويُرتقى بها إلى مقام الحقيقة، أمَّا إذا وقع التعارض، رُفضت هذه النظرية؛ لأن العلم بالنقل، آكد من العلم بالعقل.

٦) إن القرآن الكريم لا تنتهي عجائبه ولا يَخلقُ على كثرة الرد، وما يتوصل إليه أي باحث في مجاله من فهم وتصورات للآية الكريمة في زمانٍ ما، حسب ما توفر لديه من معطيات ومعارف، ليس منتهى الفهم.

٧) إن من دلائل القصور العلمي أخذ الأقوال التي تُنقل عن قدامى المفسرين بلا بصيرة، واعتبارها قضايا مسلمة، من باب التقليد لأصحابها، دون النظر فيما تستند إليه أو تعول عليه من أدلة واعتبارات، وهي أقوال صحيحة النسبة إلى أصحابها من جهة الرواية، ولكنها مردودة أحياناً من جهة الدراية، وليس هذا بمستغرب ما دامت هذه الأقوال صادره اجتهاداً عن غير معصوم فكل بشر يصيب ويخطئ.

٨) من الضوابط التفصيلية في قضية التعامل مع الإعجاز العلمي احترام قدسية كلام الله ﷻ واعتبار القرآن متبوع لا تابع، وأصل يُرجع إليه.

٩) تُعدُّ نظرية الانفجار العظيم في رأي الباحثة الأكثر موافقة لدلالة الآية التي تتحدث عن الفتق والرتق، أو ما يسمى بنظرية الفتق بعد الرتق، مع التأكيد على أن الباب مفتوح لاجتهادات العلماء وإبداعاتهم في تفسير الآية، وفهم مدلولاتها حسب ما توفر من علوم.

١٠) تبين من خلال البحث بطلان نظرية الكون الثابت، وباتت حقيقة توسع الكون حقيقة علمية، فالكون ليس مجرد فراغ ثابت المعالم لا يتغير كما كان يُعتقد في عهد قريب، وإنما هو بناء محكم بناه الله سبحانه "بأيد" أي بقوة وحكمة، مما يوحي باستمرار عملية توسع الكون وتمدده.

١١) لم يتوصل العلم الحديث إلى تقسيم دقيق لمراحل خلق الكون ولم تعدُ محاولاته عن كونها نظريات واجتهادات، فالأصل هو ما جاء في كتاب الله تعالى أن خلق السماوات والأرض استمر ستة أيام بمفهومها وتقديرها الخاص وعلى مراحل ثلاثة مرحلة خلق المادة الأساسية للسماوات والأرض وفتقها، ومرحلة دحي الأرض وتقدير أقواتها وجعل الرواسي فيها وتجهيزها لهبوط الإنسان، ومرحلة قضاء السماوات السبع.

١٢) تبين للباحثة السبق القرآني لحقيقة اتصاف السماء بصفة الرجع فمنطوق الآية القرآنية يشمل مفهوماً أوسع من كون المقصود بالرجع هو رجع المطر فقط .

١٣) يظهر من خلال البحث دقة التعبير القرآني بوصف السماء بذات الحبك حيث يتجلّى في ذلك الدقة البالغة والجامعة لكل صفات السماء، وما بها من طرائق وقوى تربط بين أجزائها.

١٤) ثبت من خلال البحث أيضاً بما لا يدع مجالاً للشك الإعجاز القرآني التاريخي في إخباره بأن الإنسان الضعيف سيصل إلى مرحلة من الزمان يركب فيها طبقاً عن طبق، وهذا ما تجسد من خلال الرحلات العديدة إلى الفضاء الخارجي، وانتقال الإنسان من كوكب إلى كوكب.

١٥) أثبتت الدراسات الكونية أن القمر تابع صغير للأرض لا ينبعث منه ضوء من تلقاء نفسه؛ لأنه ليس متوهجاً توهجاً ذاتياً كالشمس، وهو جرم بارد يعمل عمل المرآة العاكسة إذ يعكس جزءاً من ضوء الشمس الساقط عليه إلى الأرض، ولولا الله ثم نور القمر لكانت ليالي الأرض معتمة أبد الدهر.

١٦) تبين للباحثة دقة التعبير القرآني في التفريق بين النور والضياء، وقد تجلَّى هذا الفرق من خلال استعراض العديد من الآيات التي فرق الله سبحانه فيها بين الضياء والنور فالضياء هو الذي ينبثق مباشرة من جسم مشتعل مضيء بذاته وحين يسقط هذا الضياء على جسم معتم ينعكس النور.

١٧) يعدُّ القمر وسيلة من وسائل إتمام عملية المد والجزر، وهما قوتان من قوى الأرض سخرهما الله ﷻ للإنسان، تعملان على تفتيت صخور الشواطئ، وتكوين أنواع عديدة من الرسوبيات، كما تعملان على تركيز العديد من الثروات المعدنية ذات الكثافة العالية في رمالها.

١٨) إن من أعظم نعم الله ﷻ على خليفته في أرضه، محو إنارة الليل، وإبقاء آية إنارة النهار؛ لأنه لولا تبادل ظلام الليل مع نور النهار ما استقامت الحياة على الأرض، ولا استطاع الإنسان الإحساس بالزمن، ولا الشعور بتاريخ الأحداث.

١٩) إن سرعة تعاقب الليل والنهار الآن تختلف عن سرعتهما عند نشأة الأرض حيث إنه سبحانه وصف تعاقب الليل والنهار في سياق الحديث عن خلق السماوات والأرض بالحثيث، بينما لم يصف هذا التعاقب بهذا اللفظ في مواضع أخرى.

٢٠) ثبت علمياً كروية الأرض وانبعاجها حيث كان أول من تكلَّم في مسألة انبعاج الأرض من العلماء نيوتن وكان ذلك بعد نزول القرآن وإقراره لهذه الحقيقة بأكثر من ألف عام.

٢١) يُؤكد التعبير القرآني بوضوح حقيقة ترتيب دحي الأرض بعد بناء السماء ورفعها، حيث كانت الأرض غير مدحوة عند خلقها، ثم دُحيت لتناسب هبوط الإنسان عليها.

٢٢) أصبح من الثابت علمياً أن حديد الأرض ليس منها، وإنما أُرسل إليها من الفضاء الكوني، حيث أكَّدت الدراسات العلمية الحديثة أن إنتاج عنصر الحديد يحتاج إلى درجات حرارة

عالية وهائلة، لا يمكن أن تكون الأرض وسطاً ملائماً لوجودها، لذلك جاء التعبير القرآني "وأنزلنا" الذي يفيد الإنزال من علو ويبقى هذا التفسير في إطار الاجتهاد البشري.

٢٣) تحدَّث العلم عن دور الجبال في تخزين المياه وتكوين الأنهار العذبة، حيث أشار القرآن الكريم في ربط معجز ومبهر بين الجبال الشامخات والمياه العذبة، والتي تُعد من مقومات بقاء الخليقة على سطح الأرض.

٢٤) ثبت من خلال العلم الحديث حقيقة وتدية الجبال، والتي أثبتها القرآن الكريم قبل ألف وأربعمائة عام ويزيد، وقد كان الاعتقاد السائد أن الجبال هي مجرد بروزات من القشرة الأرضية ليس لها أصول عميقة في الأرض ولا جذور ثابتة.

٢٥) لاحظت الباحثة خلال البحث الترابط الوثيق بين الجبال والسحاب من حيث نوعي الحركة الأفقية والرأسية، فالجبال تتحرك حركة أفقية ممتطية الصفائح التكتونية للأرض، كذلك السحاب تتحرك في حركة دائمة أفقية ممتطية الرياح، وكما أن الجبال تتحرك حركة رأسية إلى أعلى، وكذا السحاب يتحرك نامياً إلى أعلى.

٢٦) لم يتعرف العلم الحديث على تصنيفات الجبال وألوانها وصفة تجدد مواردها، إلَّا في مرحلة تقدم العلوم الأرضية، في حين أن هذه الحقيقة القرآنية حملها القرآن الكريم للناس وأنار لهم بها طريق المعرفة، من خلال آياته الباهرة، وإشاراته المنيرة.

٢٧) تحدَّث القرآن الكريم بدقة متناهية عن ترتيب مراحل تكوين السحاب الركامي خطوة خطوة مشيراً إلى التدرج الزمني بين كل خطوة والتي تليها في دقة يَعجز البشر عن محاكاتها.

٢٨) تبين من خلال البحث أن للقرآن الكريم السبق في الحديث عن نهاية النجوم بدقة رائعة في زمن لم تتوفر فيه أدنى وسائل الرصد الفلكي، وما الصور التي التقطها علماء الفلك لنهايات بعض النجوم في السنوات الأخيرة، إلَّا صورة مصغرة جداً لما سيحدث في نهاية الكون.

٢٩) إن ما أشارت إليه علوم البحار من إمكانية اشتعال مياه البحار والمحيطات مع نهاية الكون ما هو إلا مطابقة لتلك الحقيقة العلمية القرآنية التي تتحدث عن تسجير البحار وذلك قبل ألف وأربعمائة عام ويزيد، في حين أن العلماء قد توصلوا لهذه الحقيقة في زمن تطور العلوم وأجهزة الرصد والمتابعة.

٣٠) سجَّل القرآن الكريم سبقه للعلوم البشرية في إثبات حقيقة زوال السموات والأرض مقابل عجز العلماء عن تفصيل هذه الأحداث أو الجزم بها، حيث يبقى أمر الساعة، وما سيحصل بها في علمه وحده سبحانه.

٣١) وأخيراً، تعتبر الباحثة أن أي حقيقة علمية قرآنية تتحدث عن بداية الكون أو نهايته هي حقيقة مسلَّم بها دون شك أو نقاش؛ لأنها من لدن حكيم خبير، وأن اجتهادات العلماء في ذلك قد تحتمل الصواب والخطأ، وهو جهد بشري قابل للقَبول والرد.

**ثانياً: التوصيات:**

في ختام هذا البحث لا يسع الباحثة إلا أن توصي نفسها وقارئ هذه السطور بتقوى الله عزَّ وجل، واتباع النهج القرآني في النظر والتفكر بآيات كتاب الله تعالى، الذي يضمن عدم الشطط في معرفة ما لم يشهده الإنسان من البدايات، وكذا الحال في نهاية هذا الكون.

كما وتوصي الباحثة بضرورة إعادة النظر في طريقة التعامل مع آيات القرآن الحكيم والتدبر في معانيه، إذ إن فيه من أصول العلوم ما يُؤهل أمة الإسلام العظيم لسيادة العالم.

ووصية الباحثة لطلبة العلم بضرورة سَبْر أغوار آيات كتاب الله المقروء؛ للاستدلال بها على كتابه المنظور، الذي يشهد بوحدانية الخالق وعظيم قدرته، مع ضرورة الالتزام بالضوابط الأصيلة للتعامل مع الآيات؛ لضمان عدم الإفراط أو التفريط واتباع المنهج الوسطي الذي أراده الله تعالى في التعامل مع كتابه العزيز في الفهم والتدبر ثم الإتباع الذي يُوصل إلى تحقيق الغاية، ألا وهي خلافة الأرض على مراده سبحانه.

والله ولي التوفيق،،

# الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الأعلام المترجم لهم
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

## فهرس الآيات القرآنية

| م. | الآية | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|---|
| | سورة البقرة | | |
| ١. | ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ ﴾ | ١٧ | ٨٩ |
| ٢. | ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ | ٢٢ | ١٢٢، ١٦١ |
| ٣. | ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ | ٣٠ | ١٧٢،١٧٣، ١٧٨ |
| ٤. | ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ | ٣١ | ١٧٨ |
| ٥. | ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ | ٣٤ | ١٧٩ |
| ٦. | ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ ﴾ | ٣٥ | ١٨٠ |
| ٧. | ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ | ٣٦-٣٧ | ١٨٠ |
| ٨. | ﴿ ... وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ | ١٦٤ | ١٤٥ |
| ٩. | ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ | ١٦٤ | ١٥٥-١٥٩ |
| ١٠. | ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ | ٢٥٩ | ١٧٦ |
| ١١. | ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ | ٢٦٠ | ١٢١ |
| | سورة آل عمران | | |
| ١٢. | ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ ... ﴾ | ١٩ | ١٨٥ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١٣. | ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ | ٥٩ | ١٧٤ |
| ١٤. | ﴿ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ﴾ | ١٥٥ | ١٨٢ |
| ١٥. | ﴿... لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ ...﴾ | ١٨٧ | ٢٣ |
| سورة النساء | | | |
| ١٦. | ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ | ١ | ١، ١٧٩ |
| ١٧. | ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً ﴾ | ٨٢ | ٢٤ |
| ١٨. | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا ﴾ | ١٣٦ | ٢١٤ |
| سورة المائدة | | | |
| ١٩. | ﴿ ... فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ | ١٠٠ | ١٤٤ |
| سورة الأنعام | | | |
| ٢٠. | ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ | ٣٨ | ٣١ |
| ٢١. | ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ | ٧٣ | ٢٠٣ |
| ٢٢. | ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ | ٩٧ | ١٠٧ |
| ٢٣. | ﴿ وهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ | ٩٩ | ١٦٦ |
| سورة الأعراف | | | |
| ٢٤. | ﴿ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ | ١٢ | ١٧٩ |
| ٢٥. | ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا | ٢٠ | ١٨٢ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | | وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ | |
| ٥٨،٦٥،٦٦ ١٠٣،١٤٥، | ٥٤ | ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ | ٢٦. |
| ٢١٦، ٢١٤ | ٥٧ | ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ | ٢٧. |
| ٢٠٣ | ١٨٧ | ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ | ٢٨. |
| | | **سورة يونس** | |
| ٩٣ ،٩٠ ،٨٨ | ٥ | ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ | ٢٩. |
| | | **سورة هود** | |
| ٤٩ | ٧ | ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ | ٣٠. |
| ٣٦ | ٨٨ | ﴿...وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ | ٣١. |
| | | **سورة الرعد** | |
| ٩٧ ،٨٠ | ٢ | ﴿اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ | ٣٢. |
| ١٠٣ | ٣ | ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ | ٣٣. |
| ١٦٧ | ٤ | ﴿ تُسقَى بماء واحد ونُفضّل بعضَها على بعضٍ في الأكل﴾ | ٣٤. |
| ١٦٤ | ١٣ | ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ | ٣٥. |

| | | | |
|---|---|---|---|
| سورة إبراهيم | | | |
| ٣٦. | ﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ ﴾ | ٣٢ | ١٥٨ |
| ٣٧. | ﴿وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ | ٣٣ | ٩٤ |
| ٣٨. | ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ | ٤٨ | ١٩٧، ٢٠٦، ٢١٣، ٢١٥ |
| سورة الحجر | | | |
| ٣٩. | ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَآ أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ | ٢٢ | ١٤٦ |
| ٤٠. | ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مسنون﴾ | ٢٨ | ١٧٦ |
| ٤١. | ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ | ٢٦ | ١٧٦ |
| ٤٢. | ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّاجِدِينَ * قَالَ يٰإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ ٱلسَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ | ٣٠-٣٣ | ١٧٩ |
| سورة النحل | | | |
| ٤٣. | ﴿ يُنبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ | ١١ | ١٦٣ |
| ٤٤. | ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ | ١٢ | ١٠٦، ٩٤ |
| ٤٥. | ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ * وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ | ١٣،١٢ | ٢٣ |
| ٤٦. | ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ، وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ | ١٥ | ١٣٣ |
| ٤٧. | ﴿ وَعَلامَاتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ | ١٦ | ٩٣، ١٠٦ |
| ٤٨. | ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ | ٤٠ | ٢١٩ |
| ٤٩. | ﴿ ... فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ | ٤٣ | ٣٠ |
| ٥٠. | ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ | ٦٤ | ١٨٥ |
| ٥١. | ﴿ وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ | ٨١ | ١٣٢ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ | | |
| ٥٢. | ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ | ٨٩ | ٣٢، ١٨٥ |
| سورة الإسراء | | | |
| ٥٣. | ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ | ١٢ | ١٠٠ |
| ٥٤. | ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ | ٥٩ | ٢٥ |
| ٥٥. | ﴿ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾ | ٦٢ | ١٧٩ |
| ٥٦. | ﴿... وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ | ٨٥ | ٥٣، ٢٢٠ |
| ٥٧. | ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ | ٨٨ | ١، ١٨، ١٠٩ |
| ٥٨. | ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ | ١٠١ | ٢٥ |
| سورة الكهف | | | |
| ٥٩. | ﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ | ٥١ | ١٧٠ |
| سورة طه | | | |
| ٦٠. | ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً﴾ | ٥٣ | ١٢٢ |
| ٦١. | ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً * لاَّ تَرَىٰ فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً ﴾ | ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ | ٢٠١ ٢١٠ |
| ٦٢. | ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ | ١٢٢ | ١٨٢ |
| سورة الأنبياء | | | |
| ٦٣. | ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ | ٢٢ | ٩٩ |
| ٦٤. | ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا | ٣٠ | ٤٣ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ | | ٤٤<br>٤٩<br>٥٧<br>٦٤<br>١٤٥<br>٢١٦ |
| ٦٥. | ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ | ٣١ | ١٣٢ |
| ٦٦. | ﴿ ... سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ | ٣٧ | ١٥٧ |
| ٦٧. | ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ | ١٠٤ | ١٩٧<br>٢٠٢ |
| ٦٨. | ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ | ١٠٧ | ١٨٥ |
| | **سورة الحج** | | |
| ٦٩. | ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ | ١ | ٢٢٠ |
| ٧٠. | ﴿ ... وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ | ٥ | ١٦٨ |
| ٧١. | ﴿ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ | ٤٧ | ٥٩<br>٦١ |
| ٧٢. | أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ | ٦٥ | ٧٨<br>٨٢ |
| | **سورة المؤمنون** | | |
| ٧٣. | ﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ | ١٨ | ١٥٩ |
| ٧٤. | ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَٰدِرُونَ * فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ | ١٨<br>١٩ | ١٦٣ |
| ٧٥. | ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ... ﴾ | ٤٤ | ١٨٤ |
| ٧٦. | ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ | ٨٠ | ٢٤ |
| | **سورة النور** | | |
| ٧٧. | ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى | ٤٣ | ١٤٩ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ | | |
| سورة الفرقان | | | |
| ٧٨. | ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ | ٦ | ١٢١ |
| ٧٩. | ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلاً ﴾ | ٢٥ | ١٩٨ ١٩٩ |
| ٨٠. | ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً﴾ | ٦١ | ٩٠ |
| سورة النمل | | | |
| ٨١. | ﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ | ٦١ | ١٢٣ |
| ٨٢. | ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ | ٨٨ | ١٣٨ |
| ٨٣. | ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلاَّ مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ * وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ * مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ * وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ | ٨٨<br>٩٠ | ١٤٠ |
| سورة العنكبوت | | | |
| ٨٤. | ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ | ٢٠ | ٤٢، ١٧٠ |
| ٨٥. | ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ، بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ | ٤٨، ٤٩ | ٢٩ |
| سورة الروم | | | |
| ٨٦. | ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ | ٤٨ | ١٤٨ |
| سورة لقمان | | | |
| ٨٧. | ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ | ١٠ | ٨٠ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ | | |
| .٨٨ | ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ | ١١ | ١٧١ |
| .٨٩ | ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ | ٣٣ | ٢٢١ |
| | سورة السجدة | | |
| .٩٠ | ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ | ٥ | ٥٩، ٦٢ |
| .٩١ | ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾ | ٧ | ١٧٠ |
| | سورة الأحزاب | | |
| .٩٢ | ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ | ٤٠ | ١٨٥ |
| .٩٣ | ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ | ٦٣ | ٢٠٣ |
| .٩٤ | ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ | ٧٢ | ١٣١ |
| | سورة فاطر | | |
| .٩٥ | ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ | ٩ | ١٣٩ |
| .٩٦ | ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ | ٢٧ | ١٤٢ |
| .٩٧ | ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾ | ٤١ | ٧٧ |
| .٩٨ | ﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ | ٤٥ | ٢١٠ |
| | سورة يس | | |
| .٩٩ | ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ | ٣٨ | ٩٧ |
| .١٠٠ | ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ | ٣٩ | ٩٠ |
| .١٠١ | ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي | ٤٠ | ٩٤، ٩٧ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ | | |
| ١٠٢. | ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ | ٨٢ | ٢٠٣ |
| | سورة الصافات | | |
| ١٠٣. | ﴿ وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ | ٧ | ١٠٧ |
| ١٠٤. | ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ | ١١ | ١٧٦ |
| | سورة ص | | |
| ١٠٥. | ﴿أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ | ٧٦ | ١٧٩ |
| | سورة الزمر | | |
| ١٠٦. | ﴿أَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ | ٦ | ١٢٦ |
| ١٠٧. | ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ | ٦٨ | ١٩٧ |
| | سورة غافر | | |
| ١٠٨. | ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَاراً وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ | ٦٤ | ١٢٣ |
| | سورة فصلت | | |
| ١٠٩. | ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ | ٩ | ٦٠ |
| ١١٠. | ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ | ١١ | ٤٣، ٥٤ |
| ١١١. | ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ* وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ* ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ* فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ | ٩-١٢ | ٦٠ |
| ١١٢. | ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ | ١٢ | ٦٠ |
| ١١٣. | ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ | ٥٣ | ٧٩ |
| | سورة الزخرف | | |
| ١١٤. | ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَاوَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ | ١٣ | ٩٥ |
| | سورة الجاثية | | |
| ١١٥. | ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ | ١٣ | ١٦٩ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ | | |
| | سورة محمد | | |
| ١١٦. | ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ | ٢٣ | ٢٣، ١٢٥ |
| | سورة ق | | |
| ١١٧. | ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ | ٦ | ٧٧ |
| ١١٨. | ﴿ والْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ | ٧ | ١٦٤ |
| ١١٩. | ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ | ٤٤ | ٢١٦ |
| | سورة الذاريات | | |
| ١٢٠. | ﴿ وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ | ٤٧ | ٤٣، ٤٧، ٥٠، ٥٢، |
| ١٢١. | ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ | ٤٨ | ١٢٢ |
| ١٢٢. | ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ | ٤٩ | ٢٠٢ |
| ١٢٣. | ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ | ٥٦ | ١٧٢ |
| | سورة الطور | | |
| ١٢٤. | ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ | ٦ | ٢١٧ |
| ١٢٥. | ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْراً وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْراً﴾ | ٩ – ١٠ | |
| | سورة النجم | | |
| ١٢٦. | ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ | ٣–٥ | ٧٤ |
| | سورة القمر | | |
| ١٢٧. | ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ | ١٧ | ٢٣ |
| | سورة الرحمن | | |
| ١٢٨. | ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ | ٥ | ٩٥ |
| ١٢٩. | ﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ | ٧ | ٩٦ |
| ١٣٠. | ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَاصِي وَٱلْأَقْدَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَٰذِهِ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * وَلِمَنْ | ٣٧–٤٦ | ١٩٩ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ | | |
| سورة الواقعة | | | |
| ١٣١. | ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجّاً * وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسّاً ﴾ | ٤–٥ | ٢٠٩، ٢١٥ |
| ١٣٢. | ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ | ٥٨–٥٩ | ١٧١ |
| ١٣٣. | ﴿ لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ | ٧٠ | ١٥٦ |
| سورة الحديد | | | |
| ١٣٤. | ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ | ٢٥ | ١٢٦ |
| سورة الملك | | | |
| ١٣٥. | ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ | ٣ | ٨٣ |
| ١٣٦. | ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ﴾ | ٥ | ١٠٧ |
| ١٣٧. | ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ ﴾ | ٣٠ | ١٥٦ |
| سورة الحاقة | | | |
| ١٣٨. | ﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ | ١٤ | ٢٠٨، ٢١٥ |
| ١٣٩. | ﴿ وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ | | ١٩٩، ٢١٤ |
| سورة المعارج | | | |
| ١٤٠. | ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ | ٨ | ٢٠٠ |
| ١٤١. | ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴾ | ٨–٩ | ٢١٢ |
| سورة نوح | | | |
| ١٤٢. | ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ | ١٥ | ٨٣ |
| ١٤٣. | ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَموَاتٍ طِبَاقاً وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً ﴾ | ١٦ | ٨٨ |
| ١٤٤. | ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ بِسَاطاً * لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً ﴾ | ١٩،٢٠ | ١٢٢ |
| سورة المزمل | | | |
| ١٤٥. | ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً ﴾ | ١٤ | ٢٠٨، ٢١٥، ٢١١ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| سورة القيامة | | | |
| ١٤٦. | ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ *وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ * وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ * يَقُولُ ٱلإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾ | ٧-١٠ | ١٨٩ |
| ١٤٧. | ﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ | ٩ | ١٩٤ |
| سورة المرسلات | | | |
| ١٤٨. | ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ | ٨ | ١٩١، ١٩٤ |
| ١٤٩. | ﴿ وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَتْ ﴾ | ٩ | ١٩٩ |
| ١٥٠. | ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ | ١٠ | ٢١١ |
| ١٥١. | ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاء فُرَاتًا﴾ | ٢٧ | ١٣٥ |
| سورة النبأ | | | |
| ١٥٢. | ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ | ٧ | ١٢٢، ١٣٦، ١٣٨ |
| ١٥٣. | ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً ﴾ | ١٣ | ٩٠ |
| ١٥٤. | ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴾ | ١٧ | ١٩٦ |
| ١٥٥. | ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً * يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً * وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً * وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً ﴾ | ٢٠ | ٢١٢ |
| سورة النازعات | | | |
| ١٥٦. | ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا....وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا، أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا﴾ | ٢٧،٣٠، ٣١ | ١١٤ |
| ١٥٧. | ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا، أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا﴾ | ٣٠،٣١ | ١١٤ |
| ١٥٨. | ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا، فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا، إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ﴾ | ٤٢-٤٤ | ٣٥ |
| سورة عبس | | | |
| ١٥٩. | ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبّاً ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلأَرْضَ شَقّاً فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً وَعِنَباً وَقَضْباً وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً وَحَدَآئِقَ غُلْباً وَفَاكِهَةً وَأَبّاً مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴾ | ٢٥-٣٢ | ١٦٢ |
| سورة التكوير | | | |
| ١٦٠. | ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ | ١ | ١٨٩، ١٩٤ |
| ١٦١. | ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾ | ٢ | ١٩١، ١٩٤، ١٩٥ |
| ١٦٢. | ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ | ٣ | ٢١١ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١٦٣. | ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ | ٦ | ٢١٧ |
| | سورة الانفطار | | |
| ١٦٤. | ﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴾ | ٢ | ١٩١، ١٩٤ |
| ١٦٥. | ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ | ٣ | ٢١٧ |
| | سورة الانشقاق | | |
| ١٦٦. | ﴿إذا السماء انشقت﴾ | ١ | ١٩٩ |
| ١٦٧. | ﴿ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ | ٣- ٤ | ٢٠٧، ٢١٥ |
| ١٦٨. | فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ، وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ، وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ، لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ﴾ | ١٦-١٩ | ٨٥ |
| ١٦٩. | ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ | ٢٠،٢١ | ٨٦ |
| | سورة الطارق | | |
| ١٧٠. | ﴿ وَٱلسَّمَاءِ وَٱلطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلطَّارِقُ * ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾ | ١-٣ | ١٠٧، ١٠٨ |
| ١٧١. | ﴿وَالسَّماءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ | ١١ | ٧١ |
| ١٧٢. | ﴿ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾ | ١٢ | ١٣٤ |
| | سورة الفجر | | |
| ١٧٣. | ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ | ٢١ | ٢٠٨ |
| | سورة الشمس | | |
| ١٧٤. | ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ | ٦ | ١١٦ |
| | سورة الزلزلة | | |
| ١٧٥. | ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ | ١- ٢ | ٢٠٧، ٢١٥ |
| ١٧٦. | ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ*وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ | ٨ | ٢١٣ |

# فهرس الأحاديث النبوية



| م. | نص الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ١. | (إذا كان يوم القيامة أُدنيت الشمس من العباد حتى تكون قيد ميل ...) | ١٤٢ |
| ٢. | (الشمس والقمر مُكورتان يوم القيامة) | ١٤٠ |
| ٣. | (اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل) | ١٠ |
| ٤. | (إنّ من أشراط الساعة أن يُرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنا ...) | ١٣٧ |
| ٥. | (بُعثت أنا والساعة كهاتين، قال: وضم السبابة والوسطى) | ١٣٥ |
| ٦. | (جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ فقال: ﷺ: قرنٌ يُنفخ فيه) | ١٤٥ |
| ٧. | (خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً، ثم قال: اذهب فسلم على أولئك...) | ١٣٢ |
| ٨. | (كيف أنعمُ وصاحب القرن قد التقم القرن ...) | ١٤٥ |
| ٩. | (ما بين النفختين أربعون)، قال:أربعون يوماً؟؟ ...) | ١٥٩ |
| ١٠. | (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر...) | ١٣ |
| ١١. | (مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله...) | ١٣٥ |
| ١٢. | (من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ) | ٧ |
| ١٣. | (من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار) | ٧ |
| ١٤. | (يحْشَرُ الناس يوم القيامة على أرضٍ بيضاء...) | ١٥٢ |
| ١٥. | (يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه...) | ١٤٦ |

## فهرس الأعلام المترجم لهم


| م. | العلم | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ١. | ابن منظور | ٢ |
| ٢. | الفيروز أبادي | ٢ |
| ٣. | مرتضى الزبيدي | ٢ |
| ٤. | مجاهد | ٢٩ |
| ٥. | قتادة | ٥٠ |
| ٦. | عكرمة | ٥٠ |
| ٧. | الزجاج | ٥٠ |
| ٨. | ابن الأعرابي | ٥٣ |
| ٩. | الضحاك | ٥٣ |
| ١٠. | إياس بن معاوية | ٥٨ |
| ١١. | السدي | ٥٩ |
| ١٢. | أبو الفضل | ١٠٥ |
| ١٣. | عبيد الله بن عمير الليثي | ١١١ |
| ١٤. | الكسائي | ١٣٠ |
| ١٥. | ابن جبير | ١٣١ |
| ١٦. | الكلبي | ١٥٤ |

## فهرس المصادر والمراجع

**القرآن الكريم.**

١) التفسير الكبير: الإمام فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني، دار الكتب العلمية–طهران، ط٢.

٢) الإتقان في علوم القرآن: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار التراث– القاهرة.

٣) الجامع لأحكام القرآن:أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الفكر،بيروت – لبنان(١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م)

٤) الأرض في القرآن الكريم: د. زغلول النجار،دار المعرفة، بيروت لبنان، طبعة خاصة(١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م).

٥) الأساس في التفسير: سعيد حوي، دار السلام –القاهرة، ط١(١٤٠٥هـ–١٩٨٥م).

٦) أسس ومبادئ البحث العلمي في دراسة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم: أ.د.عبد الحي حمودة الأعصر، دار البشير– القاهرة.

٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، الرئاسة العامة لادارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض– السعودية(١٤٠٣هـ–١٩٨٣م).

٨) الإعجاز الإلهي في خلق الإنسان: د. محمد نبيل النشواتي، دار القلم –دمشق، ط١(١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م).

٩) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د.عبد السلام اللوح، مطبعة آفاق– غزة.

١٠) الإعجاز العلمي في علوم الأحياء: أحمد المرسي حسين جوهر

١١) إعجاز القرآن الكريم: د.فضل حسن عباس

١٢) إعجاز القرآن الكريم في وصف أنواع الرياح والسحاب والمطر: هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة– مكة المكرمة، ط٢(١٤٢١هـ).

١٣) الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط٥(١٩٨٠م).

١٤) الآيات الكونية في ضوء العلم الحديث: د.منصور حسب النبي، دار المعارف– القاهرة.

١٥) آيات معجزات من القرآن الكريم وعالم النبات: د.نظمي خليل أبو العطا، دار جميل.

١٦) بحث المدلول العلمي للجبال في القرآن الكريم: أ.د.زغلول النجار، كتاب الإعجاز٦.

١٧) تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم: أبي الليث نصر محمد بن أحمد بن، إبراهيم السمرقندي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١(١٤١٣هـ–١٩٩٣م).

١٨) البحر المحيط في التفسير:محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، دار الفكر، بيروت –لبنان(١٤١٣هـ–١٩٩٢م).

١٩) البدء والإنسان كيف كان؟: حامد عوض الله

٢٠) بناء الكون: د.هشام طالب، دار المعرفة ، بيروت– لبنان، ط١(١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م).

٢١) تاج العروس في شرح القاموس: محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، دار الهداية (١٣٨٩هـ – ١٩٧٠م).

٢٢) التحرير والتنوير:سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع–تونس.

٢٣) تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: القاضي محمد بن محمد بن مصطفى العماوي الحنفي، دار الفكر، بيروت–لبنان، ط١(١٤٢١هـ–٢٠٠١م).

٢٤) تفسير الإمام مجاهد بن جبر: مكتبة الفلاح، ط١ (١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م).

٢٥) تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل: الإمام القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن أبي القاسم عمر بن محمد بن أبي الحسن علي البيضاوي الشيرازي الشافعي، دار الفكر، بيروت –لبنان، (١٤١٦هـ–١٩٩٦م).

٢٦) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل:علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢(١٣٧٥هـ–١٩٥٥م).

٢٧) تفسير القاسمي محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي، دار إحياء الكتب العربية

٢٨) تفسير القرآن العظيم: د. عبد الله شحاته، دار غريب –القاهرة.

٢٩) تفسير القرآن العظيم: الإمام الحافظ أبي الفداء ابن كثير، دار القرآن الكريم بيروت– لبنان، دار ابن حزم، ط١(١٤١٩هـ–١٩٩٨م).

٣٠) تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل: الإمام الجليل أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار النفائس، بيرت –لبنان ط١(١٤١٦هـ–١٩٩٦م)

٣١) التفسير الوسيط: د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر بيروت – لبنان ط١(١٤٢٢هـ-٢٠٠١م). .

٣٢) التفسير والمفسرون:الدكتور محمد حسين الذهبي،ج١، مطبعة المدني، ط٦(١٤١٦هـ-١٩٩٥م)

٣٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن:الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط١(١٤٢١هـ-٢٠٠١م).

٣٤) حياة النجوم بين العلم والقرآن الكريم :أ.د. محمد صالح النواوي.

٣٥) خلق الإنسان في القرآن الكريم: د. زغلول النجار، دار المعرفة، طبعة خاصة(١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

٣٦) خلق الكون بين العلم والإيمان: د. محمد باسل الطائي، دار النفائس ط١(١٤١٨هـ-١٩٩٨م).

٣٧) الدر المنثور في التفسير بالمأثور:الإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، دار الفكر (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)

٣٨) روح البيان في تفسير القرآن: الإمام الشيخ إسماعيل حقّي بن مصطفى الحنفي الخلوتي البروسوي، دار الكتب العلمية، ط١(١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

٣٩) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار الفكر ، بيروت- لبنان.

٤٠) الرياح والسحب: د.م.خالد العبيدي، سلسلة ومضات إعجازية من القرآن الكريم والسنة النبوية، الكتاب الخامس، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١(١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)

٤١) السماء في القرآن الكريم: د. زغلول النجار، دار المعرفة (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

٤٢) سنن الترمذي:الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سوْرَة الترمذي، مكتبة المعارف- الرياض، ط٢(١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

٤٣) سير أعلام النبلاء:الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط٣(١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)

٤٤) صحيح البخاري:الإمام شيخ الحفاظ البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بَردِزْبه، مكتبة الإيمان- المنصورة (١٤٣٢هـ-٢٠٠٣م).

٤٥) صحيح مسلم:الإمام أبو الحسين مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري، دار الكتب العلمية(بيروت-لبنان)، ط٥(٢٠٠٨).

٤٦) فتح البيان في مقاصد القرآن: صديق بن حسن بن علي الحسين القِنوجي البخاري، المكتبة العصرية(١٤١٠هـ-١٩٨٩م).

٤٧) فتح العليم في تفسير القرآن الكريم وبيان أوجه الإعجاز العلمي فيه: أ.د. أحمد شوقي إبراهيم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة (٢٠٠٦).

٤٨) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير:محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الخير، ط١(١٤١٣هـ-١٩٩٢م).

٤٩) في رحاب التفسير: الشيخ عبد الحميد كشك، المكتب المصري الحديث (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

٥٠) في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، ط٣٢ (١٤٣٢هـ-٢٠٠٣م).

٥١) القاموس المحيط: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، محمد الدين الشيرازي، الفيروز أبادي، مؤسسة الرسالة، ط١( ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)

٥٢) قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وضوابط التعامل معها: د.زغلول النجار، نهضة مصر-القاهرة، ط٣( ٢٠٠٨م).

٥٣) الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار الفكر.

٥٤) الكون في القرآن الكريم: بهاء الدين اليماني، دار النفائس بيروت-لبنان، ط١(١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

٥٥) الكون في فكر الإنسان قديماً وحديثاً: د. أحمد مدحت إسلام، دار الفكر العربي، ط١( ١٤٢٢هـ،٢٠٠١م).

٥٦) الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم: د. منصور حسب النبي، دار الفكر العربي-القاهرة (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

٥٧) كيف نتعامل مع القرآن العظيم: د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، ط٧ (٢٠٠٩)

٥٨) لسان العرب: الإمام العلامة محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار المعارف، ط١.

٥٩) مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار الفكر بيروت –لبنان، (١٤١٤هـ–١٩٩٤م).

٦٠) محاضرة تأملات في آيات الجبال بالقرآن الكريم:د. أحمد المزين، ٢٠١١/٤م، مركز الإعجاز العلمي للبحوث والدراسات الإسلامية– فلسطين

٦١) محاضرة بعنوان: الفتق والرتق في القرآن الكريم، د. أحمد المزين، مركز الإعجاز العلمي للبحوث والدراسات – فلسطين، ٢٠١١/٣.

٦٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: الإمام القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بتارودانت (١٩١١هـ–١٩٩١م).

٦٣) المشكاة " كتاب غير دوري يصدر عن المجمع العلمي لبحوث القرآن والسنة بجمهورية مصر العربية": أ.د.كارم السيد غنيم، بحر العلوم للطباعة والنشر، ط١.

٦٤) المعارف الكونية بين العلم والقرآن:موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء، إشراف الدكتور منصور حسب النبي، مركز عباد الرحمن لبيان علوم القرآن–السعودية، دار الفكر العربي(١٤١٨هـ–١٩٩٨م).

٦٥) معالم التنزيل في التفسير والتأويل: أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، دار الفكر، بيروت–لبنان، ط١(١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م).

٦٦) المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم: د. زغلول النجار، مكتبة الشروق الدولية، ط١(١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م).

٦٧) مقال الفرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي:مجلة الإعجاز ١٢، مجلة فصلية تصدر عن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٦٨) مقال تفنيد حجج المعارضين: أ.غازي توبة مجلة الإعجاز العلمي١٧.

٦٩) مقال المعارضون للإعجاز العلمي:أ.د.كارم غنيم، كتاب الإعجاز ٣، كتاب غير دوري يصدر عن جمعية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة–جمهورية مصر العربية.

٧٠) مقال من الإعجاز إلى الإنجاز:أحمد حسن رضوان، كتاب الإعجاز ٦ .

٧١) مقال الظواهر الجغرافية بين الآيات القرآنية والنظريات العلمية:د.حسني حمدان الدسوقي حمامة، كتاب الإعجاز ٣.

٧٢) مقال حركات الأرض بين العلم والقرآن: (كتاب الإعجاز ١)

٧٣) مقال وتدية الجبال بين القرآن والعلم:الدكتور أحمد المزين، جريدة الرسالة – فلسطين.

٧٤) من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:أ.د.حسن أبو العينين، مكتبة العبيكات.

٧٥) من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (١-٢):د.زغلول النجار، تقديم أحمد الفراج، مكتبة الشروق الدولية، ط١٣(١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م).

٧٦) من آيات الإعجاز العلمي"٤"، النبات في القرآن الكريم:د. زغلول النجار، مكتبة الشروق الدولية، ط٤(١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

٧٧) من آيات الله في أرضه وسماه: أ.د. حيدر سليم عنان، دار المقداد-فلسطين (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

٧٨) من علم الفلك القرآني: د. عدنان الشريف، دار العلم للملايين ط١(١٩٩١).

٧٩) من علوم الأرض القرآنية: د. عدنان الشريف، دار العلم للملايين، ط٢(١٩٩٤م).

٨٠) مناهل العرفان في علوم القرآن: الإمام محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة.

٨١) المنظار الهندسي للقرآن الكريم: م.خالد فائق العبيدي، دار المسيرة- الأردن، ط٢ (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

٨٢) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:دار المحبة- دمشق، دار آية – بيروت، ط١(١٤٢٥هـ -٢٠٠٥م).

٨٣) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: أ.د. محمد راتب النابلسي، دار المكتبي، ط٣، (١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م).

٨٤) المياه والبحار: د. خالد العبيدي، سلسلة ومضات إعجازية من القرآن الكريم والسنة النبوية، الكتاب السادس، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١(١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)

٨٥) نظم الدرر في تناسب الآي والسور: الإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان.

٨٦) وجوه من الإعجاز العلمي: أ. مصطفى الدباغ.

٨٧) ملتقى المهندسين العرب:

http://www.arab-eng.org/vb/t٢٥٢٦٢٢.html

## فهرس الموضوعات


| الموضوع | م. |
|---|---|
| الإهداء | ب |
| شكر وتقدير | ج |
| المقدمة | د |
| تمهيد: وفيه وقفات مع الإعجاز العلمي | ١ |
| أولاً: تعريف الإعجاز لغة واصطلاحاً | ٢ |
| ثانياً: تعريف الإعجاز العلمي | ٤ |
| ثالثاً: الإعجاز العلمي بين المؤيدين والمعارضين | ٦ |
| رابعاً: ضوابط علم الإعجاز العلمي | ١٩ |
| **الفصل الأول: آيات بداية الكون والإعجاز العلمي فيها** | ٢٥ |
| **المبحث الأول: الكون بين الفتق والرتق** | ٢٨ |
| **المبحث الثاني: اتساع الكون وتمدده** | ٣٣ |
| **المبحث الثالث: دخانية الكون** | ٣٦ |
| **المبحث الرابع: أيام خلق الكون** | ٣٩ |
| **الفصل الثاني: آيات وصف السماء وأجرامها والإعجاز العلمي فيها** | ٤٦ |
| **المبحث الأول: آيات وصف السماء والإعجاز العلمي فيها** | ٤٩ |
| المطلب الأول: وصفها بذات الرجع | ٥٠ |
| المطلب الثاني: وصفها بذات الحبك | ٥٣ |
| المطلب الثالث: رفعها بغير عمد | ٥٧ |
| المطلب الرابع: وصف طبقات السماء | ٥٩ |
| **المبحث الثاني: آيات وصف أجرام السماء والإعجاز العلمي فيها** | ٦٢ |
| المطلب الأول: الشمس والقمر | ٦٣ |
| المطلب الثاني: الليل والنهار | ٧٢ |
| المطلب الثالث: آيات النجوم | ٧٦ |
| المطلب الرابع: الشهب والنيازك | ٧٩ |
| **الفصل الثالث: الإعجاز العلمي في آيات خلق الأرض وما فيها** | ٨١ |
| **المبحث الأول: الإعجاز العلمي في آيات خلق الأرض** | ٨٣ |
| المطلب الأول: دحي الأرض | ٨٤ |
| المطلب الثاني: بسط الأرض وتمهيدها | ٩٠ |

| | |
|---|---|
| المطلب الثالث: إنزال الحديد | ٩٣ |
| **المبحث الثاني: الإعجاز العلمي في آيات خلق ما في الأرض** | ٩٦ |
| المطلب الأول: حكمة خلق الجبال وحركتها وألوانها | ٩٧ |
| المطلب الثاني تصريف الرياح وتسخير السحاب | ١٠٧ |
| المطلب الثالث: تسخير النبات وإحياء الأرض بالماء وإسكانه فيها | ١١٧ |
| المطلب الرابع: خلق الإنسان واستخلافه في الأرض لإعمارها | ١٢٦ |
| **الفصل الرابع: آيات نهاية الكون والإعجاز العلمي فيها** | ١٣٦ |
| **المبحث الأول: آيات نهاية السماء وأجرامها والإعجاز العلمي فيها** | ١٣٨ |
| المطلب الأول: آيات نهاية أجرام السماء والإعجاز العلمي فيها | ١٣٩ |
| المطلب الثاني: آيات نهاية السماء وتبديلها والإعجاز العلمي فيها | ١٤٥ |
| **المبحث الثاني: آيات نهاية الأرض والإعجاز** العلمي فيها | ١٥١ |
| المطلب الأول: تبديل الأرض غير الأرض ونسف جبالها | ١٥٢ |
| المطلب الثاني: تسجير البحار وتفجيرها | ١٦٠ |
| **الخاتمة:** | ١٦٤ |
| النتائج | ١٦٤ |
| التوصيات | ١٦٨ |
| الفهارس: | ١٦٩ |
| فهرس الآيات القرآنية | ١٧٠ |
| فهرس الأحاديث النبوية | ١٨٣ |
| فهرس التراجم والأعلام | ١٨٤ |
| فهرس المصادر والمراجع | ١٨٥ |
| فهرس الموضوعات | ١٩١ |

ملخص البحث باللغة العربية

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

# ملخص البحث باللغة العربية

موضوع البحث من موضوعات القرآن الكريم الهامة، حيث يبحث في بداية هذا الكون ونهايته، ويُظهر وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني، ألا وهو الإعجاز العلمي، والذي يُعدُّ في هذا الزمان وسيلة جديدة معاصرة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى تتماشى ولغة العصر، وسارت الباحثة خلال البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، وقد اشتمل على تمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

تحدثت الباحثة في التمهيد عن وقفات مع الإعجاز العلمي، أما الفصل الأول فقد كان بعنوان آيات بداية الكون والإعجاز العلمي فيها، تحدثت فيه الباحثة عن الكون بين الفتق والرتق واتساع الكون وتمدده، وعن دخانية الكون وأيام خلقه.

أما الفصل الثاني فقد جعلته الباحثة بعنوان: آيات وصف السماء وأجرامها والإعجاز العلمي فيها، تناولت فيه الباحثة الحديث عن وصف السماء، ووصف أجرامها والإعجاز العلمي فيها.

والفصل الثالث هو بعنوان الإعجاز العلمي في آيات خلق الأرض وما فيها، تحدثت الباحثة فيه عن دحي الأرض وبسطها وتمهيدها، وعن حكمة خلق الجبال وحركتها وألوانها، وعن تصريف الرياح وتسخير السحاب، وعن تسخير النبات وإحياء الأرض بالماء، وعن خلق الإنسان واستخلافه في الأرض لإعمارها.

أما الفصل الرابع والأخير فقد جعلته الباحثة بعنوان آيات نهاية الكون والإعجاز العلمي فيها، حيث تحدثت الباحثة عن نهاية السماء وأجرامها، وعن تبديل الأرض ونسف جبالها وتسجير بحارها، وختمت الباحثة بحثها بمجموعة من النتائج والتوصيات.

واشتمل البحث على مجموعة من الفهارس خدمت البحث خدمة جيدة وهو فهرس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والتراجم والأعلام والمصادر والمراجع والموضوعات، كما اشتمل البحث على ملخص باللغة العربية وآخر بالانجليزية.

Abstract

The subject of such research one of the Quran most important subjects, in which it discuses the issue of universe; and show one of miraculous nature of Quran which is the scientific inimitability that has been considers as a modern means of invocation (of Allah).

The researcher has gone through the research on the inductive analytical approach; it has included an introduction, four chapters and a conclusion.

The researcher talked in the introduction about stops at the scientific miracles, but the first chapter was entitled beginning of the universe verses and the miracles in it, the researcher talked about the universe between the hernia and darn, breadth of the universe and its expansion, and about the universe smoke and the creation days

The second chapter entitled by the researcher: the sky description verses, celestial bodies and the scientific miracles in it, in which the researcher dealt with the sky description, celestial bodies' description, and the scientific miracles in it.

The third chapter was entitled the scientific miracles in the earth creation verses and what's belong .the researcher talked about the earth spread, it's expand and flatten and about the mountains creation wisdom, its movement and its colors. And about the winds inflection, harnessing the clouds and about harnessing the plant, reviving the earth with water, the creation of man and being a calefaction earth for reconstruction.

The fourth and final chapter, the researcher has made it entitled: the verses of the universe end and the scientific miracles in it.
The researcher talked about the end of the sky, its celestial bodies, earth switch, blow up mountains, and seas become as blazing.

She concluded with a group of results and recommendations.
The researcher included a group of indexes that served the research a good service, it is the Qur'an verses index, the hadiths, dictionaries, the well known, sources, references and topics.

The research included a summary in Arabic and another in English.